

# التبشير والاستشراج

مرضخ ونفد

تأليف

دكتور

عبد البصير علي علي  
مدرس الدعوة والثقافة الإسلامية  
بكلية أصول الدين والدعوة  
بطنطا

دكتور

محمّد السعد علي شبيب  
الأستاذ الدعوة والثقافة الإسلامية  
المسلمة بكلية أصول الدين والدعوة  
بطنطا

لقد وقع الطبع ملاحظ

١٤٣٦ هـ - ٢٠١٥ م





بسم الله الرحمن الرحيم

## المقدمة

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ، وأنزل القرآن مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ، ومهيماً عليه ، وحفظه من التحريف والتبديل الذي لحق بالكتب السماوية السابقة . والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي بين لنا معالم المنهج الإلهي الحكيم حتى لا نضل الطريق وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين .

### وبعد .

فإن تحقيق الحصانة الدينية والفكرية والثقافية والحضارية في ضوء هدايات الوحي ومكتسبات العقل لحماية المجتمع المسلم من الغزو الفكري والإفك التبشيري وعلله وتصوراته وتأويلاته الفاسدة وشبهاته الباطلة من الأمور الضرورية في هذه المرحلة التي نمر بها الآن .

وذلك لأن هذا الإفك التبشيري والاستشراقي يحاول أن يتسلل إلى المجتمع المسلم لنقض عقيدته ، أو التوهين منها والتشكيك في ثوابتها ، أو إقصاء القيم والأخلاق الربانية من الحياة الإسلامية مع التركيز على صناعة النفاق العلماني الذي يدور في فلكه وتبعيته .

خاصة وأن هذا الإفك أصبح له من الآليات والإمكانيات المتوفرة<sup>(١)</sup> والظروف المحيطة ما جعله قادراً على توجيه التشكيك في عقائدها<sup>(٢)</sup> وترائنا ، وأفكارنا واجتهاداتنا ، ومؤسساتنا الإسلامية .

ن.م.د. ربة  
عصم (٢٦)

وأصبحت أقوال المبشرين الموجهة ضد الإسلام سافرة بلا حياء فيقول " روبرت ماكس " أحد المنصرين الأمريكيين : " لن نتوقف جهودنا وسعينا في تنصير المسلمين حتى يرتفع الصليب في سماء مكة ، ويقام قداس الأحد في المدينة " (١) .

ويقول "ويليم جيفورد" : " متى توارى القرآن ومدينة مكة عن بلاد العرب ، يمكننا حينئذ أن نرى العربي يتدرج في سبيل الحضارة التي لم يبعده عنها إلا محمد وكتابه " أما المبشر الأمريكي "هنري جيب " فيقول : " المسلمون لا يفهمون الأديان ولا يقدرونها قدرها .. إنهم لصصوص وقثلة ومتأخرون ، وأن التبشير سيعمل على تمدينهم " ويقول القس " جيرى فاين " : " إن محمداً هو الشيطان نفسه " (٢) . ولم يقف الإفك التبشيري عند المنصرين بل تخطاه إلى رجال السياسة والعدل ، فوزير الدفاع الأمريكي " ويليام ج . بوكين " يقول : " إن إلها أكبر من إله المسلمين .. إن إلها حقيقي ، وإله المسلمين صنم " (٣) .

أما وزير العدل الأمريكي " جون أشكروفت " فيقول : " إن المسيحية دين أرسل الرب فيه ابنه ليموت من أجل الناس ، أما الإسلام فهو دين يطلب الرب فيه من الشخص إرسال ابنه ليموت من أجل هذا الرب " .

هذه قطرة من المحيط الذي يختزنه إفك التبشير .

(١) الزحف إلى مكة . حقائق ووثائق عن مؤامرة التنصير في العالم الإسلامي ، د/ عبد الوود شلبي . ص ١٣ . مطبعة الزهراء للإعلام العربي ١٩٨٩ م  
(٢) الدين في القرار الأمريكي . محمد السماك . ص ٦٠ . مطبعة بيروت ٢٠٠٣ م والإسلام في عيون غربية . د/ محمد عمارة ص ٥٢ . طبعة ٢٠٠٥  
(٣) المصدر السابق . ص ٤٨ .

أما الإفك الإستشراقي فلا تقل خطورته عن سابقه لأنه يمثل  
الجزور الحقيقية التي تقدم المدد للتصير والاستعمار والعمالة الثقافية  
وذلك لأنه يملك من القدرة المادية ما يجعل له اليد الطولى في هذا  
الخصوص .

ففي الولايات المتحدة الأمريكية وحدها أكثر من عشرة  
آلاف مركز للبحوث والدراسات التي ترصد كل ما يجري في العالم  
الإسلامي لدراسته وتحليله ومقارنته بأصوله التراثية ، والتاريخية ،  
ومناابعه العقائدية ، ثم مناقشته مع صانعي القرار لتبنى على أساسه  
الخطط والاستراتيجيات الثقافية والسياسية لتحديد وسائل التنفيذ (١) .  
كما أن هناك ترابط بين جميع المستشرقين والمبشرين في  
مختلف البلدان للتنسيق والتعاون المستمر لعقد المؤتمرات ونشر  
الدوريات والحواليات والمجلات التي تستقصي كل شئ عن  
الإسلام (٢) .

ومن هنا تأتي أهمية هذه الدراسة التي تهدف إلى تشكيل  
قناعة لدى الطالب لأهمية فهم العقيدة والشرعية والأخلاق الإسلامية  
، وتشكل لديه حصانة وقناعة ضد ما يخالف هذا النظام الإسلامي،  
أو ينقضه أو يعمل على تشويهه، وذلك لأن الإسلام هو دين البينة  
التي تبين الشئ وتوضحه ، حسياً كان هذا الشئ أو عقلياً " لِيَهْلِكَ  
مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ  
عَلِيمٌ " (٣) .

(١) مراجعات في الفكر والدعوة والحركة . عمر عبيد حسنة . ص ٣٦

(٢) هموم الأمة الإسلامية . د/ محمود حمدي زقزوق . ص ١٥٦ .

(٣) سورة الأنفال . آية رقم ٤٢ .

وهو دين البرهان الذي يقيم الحجة الفاصلة على عقائده  
وحقائقه ويدعو الآخرين إلى البرهنة على ما لديهم من مقولات  
وتصورات . قال تعالى : " يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ  
وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا " (١) . وقال عز وجل : " وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ  
إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ  
الْكَافِرُونَ " (٢) .

كما أن هذه الدراسة تنطلق من قوله تعالى : " ادْعُ إِلَى سَبِيلِ  
رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ " (٣) وقوله  
عز وجل : " وَلَا تَجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ " (٤) .

ولهذا عرضنا من خلال هذه الدراسة للتبشير والاستشراق من  
حيث المفهوم والنشأة والدوافع والأهداف والمنطلقات والوسائل من  
خلال المنهج العلمي الصحيح .

والله نسأل أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه سبحانه وتعالى  
، وأن يجعل فيه القبول في الدنيا والآخرة وهو حسبنا ونعم الوكيل  
وَصَلِّ اللَّهُمَّ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

أ . د / ملامح لسعد علي شعيب

(١) سورة النساء . آية رقم ١٧٤ .

(٢) سورة المؤمنون . آية رقم ١١٧ .

(٣) سورة النحل . آية رقم ١٢٥ .

(٤) سورة العنكبوت . آية رقم ٤٦ .

# **الفصل الأول**

## **مذمل**

**ويشتمل على أربعة مباحث**

**المبحث الأول : التعريف بالتبشير**

**المبحث الثاني : دائرة التبشير المسيحي**

**المبحث الثالث : ميزانية التبشير**

**المبحث الرابع : تاريخ التبشير في العالم الإسلامي**



**أولاً : التبشير في اللغة :**

الباحث في المعاجم اللغوية يجد أن كلمة التبشير تدور حول معنى الفرح والسرور . يقال بشرته وأبشرته فبشر وأبشر وبشر . واستبشر<sup>(١)</sup> : أي فرح ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَغَدَا عَلَيْهِ حَقٌّ فِي الثَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمْ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْقَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾<sup>(٢)</sup> ، وتأتي بمعنى التبشير بالخير مثل قوله ﴿ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴾<sup>(٣)</sup> والبشارة هي أول خبر يتلقاه الإنسان بما يسره ، واستعمالها فيما يسر أكثر ، وإذا كانت بمعنى الشر فهي تأتي مقيدة مثل قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن كَثِيرًا مِّنَ الْأَخْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لِيَآكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾<sup>(٤)</sup> والمبشر هو الذي يبشر الناس بأمر خير أو شر<sup>(٥)</sup> .

**ثانياً : التبشير في الاصطلاح :**

يتردد مصطلح التبشير في كثير من الكتابات العربية ، وهو مرادف لمصطلح التنصير ، والتبشير هو التعبير النصراني لحملات

(١) أساس البلاغة : تأليف جابر الله أبي القاسم الزمخشري ج ١ ص ٤٧ طبعة الهيئة العامة لقصور الثقافة .

(٢) سورة التوبة . آية ١١١ .

(٣) سورة التوبة . آية رقم : ٣١ .

(٤) سورة التوبة . آية رقم : ٣٤ .

(٥) لسان العرب : ابن منظور ج ٤ . ص ٦١ .

التنصير وله عند المسيحيين تعريفات مختلفة بحسب العصور التي مرت بها المسيحية . فهو تارة بمعنى إرسال مبعوثين ليبلغوا رسالة الإنجيل لغير المؤمنين بها ، أو محاولة إيصال تعاليم العهد الجديد لغير المؤمنين بها ، أو إيصال الأخبار السارة من وجهة نظرهم إلى الأفراد والجماعات . ليقبلوا يسوع المسيح رباً مخلصاً ، وأن يعبدوه من خلال عضوية الكنيسة<sup>(١)</sup> .

وقيل إن التبشير هو "الدعوة إلى النصرانية ومحاولة دفع الناس إلى الدخول فيها بشتى الوسائل المشروعة وغير المشروعة" . أو هو " هجوم المسيحية على الديانات المستوطنة في البلاد التي يتوجه إليها المستوطنون المسيحيون للتبشير فيها خصوصاً الإسلام " .

والمبشرون هم الذين يجندون أنفسهم للقيام بمهام التبشير سواء أكانوا من العاملين أو العاملات في السلم الكنيسي أو المتطوعين أو المتطوعات من ذوي الاختصاصات الأخرى<sup>(٢)</sup> .

ويقول الدكتور القرضاوي : إن النصارى " اختاروا هذا الاسم لأن الإنجيل معناه في اللغة اليونانية البشرى ، فأصبح التبشير اصطلاحاً على دعوة الناس للدخول في الديانة النصرانية ، وإن كان اصطلاح التنصير متداولاً رغم أنه ليس كل تبشير تنصيراً فقد ينتج

(١) إبراهيم عكاشة على : التبشير النصراني في جنوب السودان وادي النيل ص ٢٤-٢٥ دار العلوم بالقاهرة ١٩٨٢ .

(٢) دراسات في التبشير والاستشراق د/عبد المنعم أبو شعيشع ص ١٦٠ مكتبة الأزهر الحديثة



التبشير تنصيرا وقد لا ينتج" (١).

### ثالثاً : مفهوم المبشر ووظيفته:

المبشر هو الشخص الذي تخصص في دراسة اللاهوت المسيحي والذي يقوم بتبليغ المسيحية إلى جميع الناس ، والنصارى يذكرون أن المسيح كان يبشر ويعلم الناس في الهيكل وخراجه ، وكثيراً ما كان يعظ الجموع من البحر أو على الجبل .  
ومن ثم فلفظ مبشر تطلق في العهد الجديد على من يعظ ببشارة الخلاص منتقلاً من مكان إلى آخر لا يستقر في مكان مخصوص إنما همه التجول يعظ بالإنجيل ويؤسس الكنائس باسم المسيح ، ويدخل الناس إلى ديانته بأي وسيلة كانت .

ويبدو واضحاً مما تقدم أن من يعظ بالإنجيل ويبشر بالخلاص المسيحي يعد مبشراً عند المسيحيين بشرط أن يتحمل المشاق والصعاب مهما كانت في سبيل تحقيق غرضه ، وبشرط أن يعظ بالإنجيل في كل وقت وحين بدون ملل، ويستدلون على ذلك بما قاله بولس في رسالته إلى "تيموثاوس" وفيها يقول : " أكرز بالكلمة ، عكف على ذلك في كل وقت مناسب وغير مناسب . وبخ ، انتهر ، عظ بكل أناة وتعليم " إلى أن يقول له " احتمل المشاق . اعمل عمل المبشر ، تتم خدمتك " (٢) .

(١) مجلة الأمة القطرية عدد ٤١ ص ٣٨ .

(٢) رسالة بولس الثانية إلى تيموثاوس الإصحاح الرابع فقرة ٤-٥ .

ولهذا فالمبشر يعتبر في المفهوم المسيحي من أفضل أفراد المجتمع المسيحي ومن أعلاهم قدراً ومكانة لأنهم مساعدون للرسل ، يوضح بولس ذلك بقوله : ﴿ إن الله قسم للناس وظائفهم الكهنوتية في الحياة : فهو أعطى البعض أن يكونوا رسلاً ، والبعض أنبياء والبعض مبشرين ، والبعض رعاة ومعلمين <sup>(١)</sup> . وأن الذين اختيروا للقيام بالتبشير هم في الواقع مساعدين للرسل في أعمالهم ورفاق لهم في أسفارهم ومستقبلين للرسل في بلادهم المختلفة <sup>(٢)</sup> .

### **المبحث الثاني : دائرة التبشير المسيحي**

كان التبشير في بداية المسيحية قاصراً على بني إسرائيل فقط حيث أن المسيح أرسل إلى بني إسرائيل والمسيح نفسه يوضح هذه الحقيقة في رده على إحدى النساء فقد جاء في إنجيل متى : " ثم خرج يسوع من هناك وانصرف إلى نواحي صور وصيدا وإذا امرأة كنعانية خارجة من تلك التخوم صرخت إليه قائلة ارحمني يا سيد يابن داود . ابنتي مجنونة جداً فلم يجيبها بكلمة . فتقدم تلاميذه وطلبوا إليه قائلين اصرفها لأنها تصيح وراءنا فأجاب وقال لم أرسل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة " <sup>(٣)</sup> لكنه اتسع حتى شمل العالم أجمع ، بل أصبح التبشير - في نظرهم - فرضاً على المسيحيين وذلك منذ دخول "بولس" اليهودي للمسيحية حيث قام هو وأصحابه بهذا الدور

(١) رسالة بولس إلى أهل أفسس الإصحاح الرابع فقرة : ١١

(٢) سفر أعمال الرسل الإصحاح عشرون فقرة ٥-٤ .

(٣) إنجيل متى الإصحاح الخامس عشر فقرة : ٢٢-٢٥ .

خير قيام / وارتحلوا من بلدة إلى أخرى في خدمة التبشير كما ذكر  
سفر أعمال الرسل قولهم : " ثم خرجنا في الغد نحن رفقاء بولس ،  
وجئنا إلى قيصرية فدخلنا بيت فليبي المبشر إذا كان واحداً من السبعة  
وأقمنا عنده " (١) .

#### الغاية تبرر الوسيلة عند المبشرين :

إن بولس هو الذي أخرج المسيحية من بني إسرائيل إلى  
الدائرة العالمية " واختط لنفسه قاعدة سار عليها في عمله التبشيري  
وهي أن الغاية تبرر الوسيلة - وما زالت هذه القاعدة حتى الآن لدى  
جميع المبشرين - وكانت غايته كسب أكبر عدد من البشر لدعوته  
الجديدة ، من أجل ذلك لم يتورع عن اللجوء إلى مختلف الوسائل  
لاقتناص الناس " (٢) . ولذلك لم يكن لديه حرج من استخدام الكذب  
واستباحة كل المحرمات وتصرف عن التعاليم التي جاء بها المسيح  
عليه السلام بل نقضها وجاء بعقيدة من نفسه (٣) .

ومنذ هذا الوقت وإلى الآن وأعمال التبشير تزداد يوماً بعد يوم  
وزدادت الحركات التبشيرية في السنوات الأخيرة بصورة مروعة  
ومذهلة من قبل خاصة بعد انتهاء الحرب الباردة بين أمريكا وروسيا  
ثم الانتصارات العدوانية التي حققتها أمريكا في العالم الإسلامي ،  
والتي من أهدافها تقصير أكبر عدد من المسلمين .

(١) سفر أعمال الرسل الإصحاح الحادي والعشرون فقرة : ٨ .

(٢) حقيقة التبشير بين الماضي والحاضر : أحمد عبد الوهاب ص ٣٧ ط ١٩٨١ .

(٣) انظر : رسالته الأولى لأمل كورنثوس الإصحاح التاسع فقرة : ١٩ - ٢٣ .

بلغت ميزانية التبشير في العالم إلى أرقام خيالية فمن الباحثين من يقول : " إن ميزانية التبشير في العالم بلغت في عام ١٩٩٠ مئة وأربعة وستين مليار دولار أمريكي ١٦٤٠٠٠٠٠٠٠٠ سنوياً وفي عام ١٩٩٢ وصلت الميزانية إلى مئة وواحد وثمانين مليار دولار أمريكي .

وفي نشرة وزعتها الندوة العالمية للشباب الإسلامي جاء فيها أن عدد النصاري في العالم يبلغ ملياراً وسبع مئة وعشرين مليون ١٧٢١٠٠٠٠٠٠ نسمة وبلغ عدد المنظمات التبشيرية في العالم أربعة وعشرين ألفاً وخمس مئة وثمانين ٢٤٥٨٠ منظمة ، وعدد المنظمات العاملة في مجالات الخدمة يزيد عن عشرين ألفاً وسبع مئة ٢٠٧٠٠ منظمة ، ويبلغ عدد المنظمات التي تبعث منصرين متخصصين في مجالات التبشير والإغاثة ثلاثة آلاف وثمان مئة وثمانين ٣٨٨٠ منظمة ويزيد عدد المعاهد التبشيرية على ثمانية وتسعين ألفاً وسبع مئة وعشرين معهداً تبشيراً ، ويبلغ عدد المنصرين المتفرغين للعمل خارج إطار المجتمع النصراني أكثر من مئتين وثلاثة وسبعين ألفاً وسبع مئة وسبعين ٢٧٣٧٧٠ منصرأ والذي يظهر لي أن هذا الرقم الأخير متواضع جداً ، ويزيد عدد الكتب المؤلفة لأغراض التبشير عن اثنين وعشرين ألفاً ومئة ٢٢١٠٠ كتاب في لغات ولهجات متعددة ، وبلغ عدد النشرات والمجلات

الدورية المنتظمة ألفين ومنتين وسبعين ٢٢٧٠ نشرة ومجلة ، توزع  
منها ملايين النسخ بلغات مختلفة ، ويزيد عدد محطات الإذاعات  
التنصيرية على ألف وتسع مئة ١٩٠ ألف إذاعة ، تبث إلى أكثر من  
مئة دولة وبلغاتها وذكرت النشرة أن مجموع التبرعات التي حصل  
عليها المنصرون لعام واحد حوالي مئة وواحد وخمسين مليار  
١٥١٠٠٠٠٠٠٠٠٠ دولار أمريكي<sup>(١)</sup> .

من خلال هذه الإحصائية يتضح لنا الدور الخطير للتبشير وما  
تملكه المؤسسات التنصيرية من أموال ضخمة وأعداد كبيرة من  
المنصرين والمنصرات ومنظمات ومعاهد ومحطات تلفزيونية  
وإذاعية وكلها مسخرة للهجوم على الإسلام ومع هذا فالغرب بقيادة  
أمريكا يعمل بكل وسائل الضغط على تجفيف منابع الإسلام تحت  
مسمى تجفيف منابع الإرهاب .

كما يتضح لنا ما أحدثه التنصير من خلل في العالم الإسلامي  
خاصة بعد أن تأسست جمعيات تنصيرية في إفريقيا واسيا

#### **المبحث الرابع : تاريخ التبشير في العالم الإسلامي**

في كتاب " مشروع التبشير " الذي ألفه القس " أدوين بلس "   
البروتستانتي يقول : إن تاريخ التبشير المسيحي يرجع إلى صدر

---

(١) التنصير مفهومه وأهدافه ووسائله للدكتور / علي إبراهيم الحميد . ص ١٢ . ط مكتبة  
النوبة . الرياض - السعودية

النصرانية .. وأن " ريموند لول "(١) الأسباني هو أول من تولى التبشير بعد أن فشلت الحروب الصليبية في مهمتها فتعلم " لول " اللغة العربية بكل مشقة وجال في بلاد الإسلام وناقش علماء المسلمين في بلاد كثيرة (٢).

ثم يذكر القس " ادوين بلس " في كتابه هذا : " أن الدين الإسلامي هو العقبة القائمة في طريق تقدم التبشير بالنصرانية في إفريقيا . والمسلم فقط هو العدو للدود لنا لأن انتشار الإنجيل لا يجد معارضا لا من جهل السكان ولا من وثنيهم ولا من مناضلة الأمم المسيحية وغير المسيحية .

ودخل المبشرون الكاثوليك ربوع إفريقية منذ القرن الخامس عشر ، ثم جاءت بعدها إرساليات التبشير البروتستانتية من إنجليزية وألمانية وفرنسية (٣) . وأخذت قوافل التبشير تتوافد على وسط إفريقيا وشرقها وغربها وجنوبها من جميع الدول الأوروبية بدون استثناء .

أما آسيا فهي الأخرى لم تسلم من هجمات التبشير والتنصير خاصة في الهند ومنطقة الجزيرة العربية . وبدأت المؤتمرات التبشيرية تعقد بين الحين والحين لوضع الخطط والاستراتيجيات التي سوف نتحدث عنه في المبحث القادم .

(١) ريموند لول ١٢٣٥-١٣١٥ م راهب فرنسيسكاني مارس التنصير في شمال إفريقيا وبعد من أخطر المنصرين وأشهرهم على الإطلاق على مر التاريخ حتى أن المنصر "زويمر" اعتبره أستاذه وقوته . وخطته التي وضعها للتنصير تعد هي النماذج والدستور الذي سار عليه المنصرون بعده كالتعليم والتدريس والتطبيب (٢) الغارة على العالم الإسلامي . تأليف شاتيليه لخصها ونقلها إلى العربية محب الدين الخطيب ص ١٢ . المطبعة السلفية . (٣) المصدر السابق ص ١٥ .

## **الفصل الثاني**

### **المؤتمرات التبشيرية الموجهة للمسلمين**

ويشتمل على خمس مباحث

**المبحث الأول :** مؤتمر القاهرة التنصيري ١٩٠٦

**المبحث الثاني :** مؤتمر أدنبرج التنصيري ١٩١٠

**المبحث الثالث :** المؤتمر الألماني التنصيري

**المبحث الرابع :** مؤتمر لكنو التنصيري ١٩١١

**المبحث الخامس :** مؤتمر كلورادو والوسائل التنصيرية التي

اتخذها ١٩٧٨م





## **الفصل الثاني : المؤتمرات التبشيرية الموجهة للمسلمين**

تعتبر المؤتمرات التبشيرية من أبرز الوسائل التي استغلها المبشرون في عملهم التبشيري لتصوير المسلمين ، ولهذا عنى المبشرون بالمؤتمرات عناية فائقة، ورصدوا لها الأموال الضخمة، وتعاونت المنظمات التبشيرية في العمل على إنجاح هذه المؤتمرات . وترجع فكرة عقد المؤتمرات إلى القس المنصر "صامونيل زويمر"<sup>(١)</sup> حيث دعا إلى " عقد مؤتمر عام يضم جميع إرساليات التبشير البروتستانتية ، وكان الهدف من ذلك نشر الإنجيل بين المسلمين ، وقد أعلن هذه الفكرة عام ١٩٠٦ ، ووضع الكيفية التي يكون عليها ، فوضعت فكرته على بساط البحث في مدينة "ميسور" بولاية أكدا في الهند ثم عرض الاقتراح على مؤتمر التبشير الذي ينعقد في مدينة " ندراس " الهندية "<sup>(٢)</sup> .

وقد تعددت المؤتمرات التبشيرية بعد ذلك ومنها ما يلي :

### **المبحث الأول : مؤتمر القاهرة التنصيري ١٩٠٦**

في يوم ١٤ إبريل ١٩٠٦ افتتح مؤتمر التبشير الأول في القاهرة في ظل الاستعمار الإنجليزي البغيض لمصر ، ومن منطلق النكاية للمصريين عقد في بيت الزعيم " أحمد عرابي " الذي نفاه

(١) صامونيل زويمر : ١٨٦٧-١٩٥٢ رئيس المنصرين في الشرق العربي . لأكثر من خمسين عاما . تولى تحرير مجلة "عالم الإسلام" وهي مجلة تبشيرية تهتم بدراسة شئون المسلمين لوضع الخطط والعقبات في طريق تقدم المسلمين أو نشر الإسلام . وله مصنفات كثيرة عن الإسلام وكلها تنم عن تعقيب أحرق ، أهمها : "الإسلام" و "الإسلام في جنوب أفريقيا " انظر : نجيب العقيلي ج ٣ ص ١٠٥ .  
(٢) الغارة على العالم الإسلامي ص ١٩ .

الإنجليز بسبب معارضته لهم وبلغ عدد مندوبي إرساليات التبشير ٦٢ بين رجال ونساء ، وكان عدد مندوبي إرساليات التبشير الأمريكية التي في الهند وسوريا والبلاد العثمانية وفارس ومصر واحداً وعشرين ، ومندوبو إرساليات التبشير الإنجليزية خمسة واشتركت في المؤتمر الإرساليات الإسكتلندية والإنجليزية المنفردة والألمانية والهولندية والسويدية وإرسالية التبشير الدنمركية الموجودة في بلاد العرب .

وانتخب القسيس "زويمر" رئيساً للمؤتمر ، وعين معه نائب رئيس وكتبة ، وحددت أيام الجلسات .

#### أهم المسائل التي تباحث فيها المؤتمر :

وقد تباحث المؤتمر في أمور كثيرة لتسهيل وتيسير عملية التنصير بين المسلمين منها ما يلي :

- ١- ملخص إحصائي عن عدد المسلمين في إفريقية والسلطنة العثمانية ، والهند ، وفارس ، والملايو ، والصين ، والنشرات التي ينبغي إذاعتها بين المسلمين المتنقلين والمسلمين العوام للتنصير والارتداد ، ووسائل إسعاف المسلمين المضطهدين .
- ٢- بحث المؤتمر الصعوبات التي يمكن أن تحول دون تبشير المسلمين العوام ، وأهم الوسائل التي تجب على الإرساليات التبشيرية ومنها تعلم اللهجات العامية ودراسة القرآن ، وكيفية مخاطبة الناس مع الخبرة الكافية بعلم النفس وعلم الاجتماع .

٣- بحث المؤتمر النشرات التي ينبغي للمبشرين إذاعتها لتتصير المسلمين وقد اقترح أحد المندوبين نشر كتب في الموضوعات الدينية الآتية : أسماء وألقاب المسيح التي في الأنجيل ، طبيعة الخطيئة الأصلية ، ضرورة الغفران ، الجنة وكيفية الحصول عليها ، الروح القدس وأعماله ، عقيدة سر التجسد ، الإنسان فرد اجتماعي وخالقه ليس كذلك ، وأن الإله الاجتماعي يشمل الثالوث ، الشيطان وكيفية الخلاص منه .

٤- كما بحث المؤتمر وضع النساء في العالم الإسلامي وخطبت إحدى المبشرات وحثت المبشرين على الرفق بالمرأة المسلمة وذكرت بعض تجاربها في هذا الشأن كما بحث المؤتمر مسألة تعدد الزوجات عند المسلمين ، وما يجب اتخاذه في هذا الشأن .

٥- كما خاض المؤتمر في عرض العقيدة النصرانية والمناظرة فيها والوسائل التي يجب أن يتسلح بها المبشر لنشر مبادئها .

٦- وخاض المؤتمر فيما يجب تنفيذه في مصر كما تحدثوا عن أهم معاهد التبشير التي أسست في مصر سنة ١٨٥٤ مع نشر أهم الكتب التي تعمل على تنصير المسلمين ، ومنها كتاب " ميزان الحق " الذي ألفه القسيس "فنذر" وهو يعد من أهم الكتب التي اعتمد عليها المبشرون في ترويج أفكارهم الباطلة ، وكتاب "الهداية" وهو في أربعة أجزاء ألف في الرد على

الذين طعنوا في النصرانية ، كما تناقشوا في مجهودات المنصرين والتي أسفرت عن تنصر مئة وخمسون مسلماً في هذا الوقت .

٧- وتباحث المؤتمر قضية التنصير في جزيرة العرب وتحدث "زويمر" عن كتابه الذي سماه " مهد الإسلام " وقال " ولیم جيفورد بالكراف " : " متى تواري القرآن ومدينة مكة عن بلاد العرب يمكننا حينئذ أن نرى العربي يتدرج في سبيل الحضارة التي لم يبعده عنها إلا محمد وكتابه " ثم تعرض المؤتمر للأزهر الشريف ووضعوا الخطط التي تعوق رسالته ، وتعوق رسالة خريجه كما وضعوا الوسائل التي تتفر المسلمين من الأزهريين .

٨- طالب سكرتير المؤتمر لمواجهة الأزهر إنشاء معهد مسيحي لتنصير الممالك الإسلامية " قيل أن تكوين الجامعة الأمريكية في مصر كان تنفيذاً لتلك الوصية " (١) .

#### **//المبحث الثاني : مؤتمر أدنبرج التنصيري ١٩١٠**

عقد هذا المؤتمر في شهر سبتمبر ١٩١٠ في مدينة أدنبرج الألمانية وقد حضره ١٢٠٠ مندوب منهم ٥٠٢ من إنجلترا و ٥٠٥ من الأمريكان والباقي من دول العالم المختلفة وقد نشرت أعمال هذا المؤتمر ومناقشاته في تسعة مجلدات ، وكانت أهم أعماله تدور حول

(١) المصدر السابق . ص ٢١ - ٢٣ .

المسائل الإسلامية ، بل إنه يعد من المؤتمرات الاستعمارية الدينية ولم تكن أعماله حبر على ورق ، بل تحولت إلى واقع مرير في العالم الإسلامي وقد دعى إليه الرئيس الأمريكي "رذوفلت" ولكنه اعتذر وحضر بالنيابة عنه خطيب أمريكا المشهور المستر " براين " .

#### أهم المسائل التي تباحث فيها المؤتمر :

تباحث المؤتمر في أمور كثيرة تتعلق بالتصوير منها ما

يلي :

- ١- قيمة الأموال التي ترصد لقضية التبشير حيث ذكرت مجلة الشرق المسيحي التي تصدرها جمعية التصوير الشرقية الألمانية أن إرساليات التبشير الإنجليزىة والأرلندية تنفق في السنة ٢,١٠٠,٠٠٠ جنيه في سبيل التبشير . وجمعيات التبشير الأمريكية والكندية تنفق ٢,٠٠٠,٠٠٠ جنيه وجمعيات التبشير الأسترالية والإفريقية والآسيوية والهولندية تنفق ٣٠٠,٠٠٠ جنيه وما تنفقه جمعيات التبشير البروتستانتية في باقي القارة الأوروبية يبلغ ٧٠٠,٠٠٠ جنيه .
- ٢- وتباحث المؤتمر في عدد المبشرين البروتستانت في هذا الوقت فوجدوا أن عددهم يبلغ ٩٨٣٨٨ مبشراً بعضهم لجان يبلغ عدد أعضائها ٥,٥٠٠,٠٠٠ ويبلغ عدد النساء والرجال الوطنيين وغير الوطنيين من موزعي التوراة الذين يشتركون في التبشير والوعظ ٩٢,٩١٣ وعدد المعاهد الكنيسية ١٦,٦٧١ وعدد إرساليات التبشير العامة ٣٤٧٨ وعدد الأساتذة والتلاميذ الذين هم تحت إشراف

المبشرين ١,١٩٠,٦٠٢ وتوجد تحت سلطتهم ٨١ مدرسة جامعة وكلية وفيها ٧,٩٩١ طالباً ولديهم ٤٨٩ مدرسة دينية لتعليم لاهوت النصرانية وتخريج المعلمين والمبشرين وفيها ١٢,٥٤٣ طالباً وهي تهيمن أيضاً على ١,٥٩٤ مدرسة ثانوية فيها ١٥٥,٤٢٠ طالباً و ٢٨,٩٠١ مدرسة ابتدائية يبلغ عدد تلاميذها ١,١٦٥,٢١٢ وعدا ذلك فالمبشرون يديرون ١١٣ مدرسة من النوع الذي يسمى روضة الأطفال وفيها ١٤,٧٠٣ طفل وأسست هذه الإرساليات ٥٥٠ مستشفى و ١٠٢٤ صيدلية لها ٤,٠٠٠,٠٠٠ من الزبائن ، ولديها ١١١ مجلساً طبياً و ٩٢ جمعية للممرضات و ٢٦٥ ملجأ للأيتام و ٨٨ ملجأ للبرص و ٢١ ملجأ للبرص أيضاً وهي خاصة بالأطفال وتدير ٢٥ مدرسة للعميان و ١١ معهداً للإسعاف و ١٠٣ مستوصفات لمدمني الأفيون و ١٥ ملجأ للأرامل هذا كله كان سنة ١٩٠٢ ومن يقارن بينه وبين ما وصل إليه هذا الإحصاء سنة ١٩١١ يرى أن هناك ارتفاعاً باهراً لأن عدد إرساليات التبشير العامة بلغ ٣٨٣٨ والإرساليات التي في الدرجة الثانية ٣٤٧١٩ وعدد الأساتذة والتلاميذ ١,٤١٢,٠٤٤ أما الجامعات والكليات فصار عددها ٨٨ وفيها ٨٦٢٨ طالباً ولدى المبشرين ٥٢٢ مدرسة دينية لتخريج المبشرين والمعلمين ، فيها ١٢,٦٧١ طالباً . وعدد المدارس العالية ١٧١٤ فيها ١٦٦,٤٤٧ طالباً وعندهم ٣٠,١٨٥ مدرسة ابتدائية عدد تلاميذها ١,٩٢٠,٣٥٧ أما المستشفيات فصار عددها ٥٧٦ والصيدليات ١٠٧٧ والمجالس الطبية لا تزال

١١١ وفيها ٨٣٠ طالباً و ٩٨ معهداً للممرضات فيها ٦٦٣ طالبة  
ويشرف على إرساليات التبشير ٥٢٠ جمعية عمومية عاملة و ٤٣٣  
جمعية لإعانتها و ٢٢ جمعية مختلفة .

وترد على صناديق إرساليات التبشير أموال كثيرة منها  
٦٠,٥٠٠,٠٠٠ فرنك في السنة تدخل في صناديق جمعيات التبشير  
البريطانية والأرلندية و ٦٧,٠٠٠,٠٠٠ فرنك في صناديق الجمعيات  
الأمريكية والكندية و ٧,٢٠٠,٠٠٠ في صناديق الجمعيات الأسترالية  
والإفريقية ، ولغة هذه الجمعيات كلها الإنجليزية وأما الإرساليات  
التبشيرية الأخرى فيرد على صناديقها ٢٠,١٠٠,٠٠٠ فرنك <sup>(١)</sup> .  
ومن يقارن بين ما كان في سنة ١٩١١م وبين ما وصل إليه  
هذا الإحصاء سنة ٢٠٠٥م يجد أن هناك ارتقاء لا يقارن على  
الإطلاق .

٣- وتتحدث مجلة العالم الإسلامي التي كان يتولى إدارتها  
القسيس صاموئيل زويبر عن مؤتمر أدنبرج عن أهمية تنصير  
المسلمين وحسن العناية بتربية المبشرين ، وإيجاد ميدان مشترك بين  
جميع العاملين في حقل التبشير والتنصير .

ثم تتحدث المجلة عن اللجان الثمانية التي تألف منها المؤتمر  
وعن عمل كل لجنة من هذه اللجان ، وجاء في تقرير اللجنة العامة ما  
يجب أن يكون حول الأمور الاجتماعية الإسلامية التي تمهد السبيل  
(١) الفارة على العالم الإسلامي : تأليف إك شاتيليه ترجمة محب الدين الخطيب ص ٤٢ .

للتصير المسلمين وحضت على توسيع نطاق التعليم الذي يشرف  
المبشرون عليه . وتوسيع إنشاء المدارس الأجنبية التي تخضع  
للمبشرين<sup>(١)</sup>.

وقد تحقق هذا كما خططوا له بل أكثر مما خططوا له فأصبح  
التعليم في العالم الإسلامي يتجه نحو الوجهة العلمانية التي تخدم الفكر  
الغربي وتحقق أهدافه .

**تعقيب :** هكذا تعقد المؤتمرات وتوضع الخطط وترصد  
الأموال الضخمة لتصير المسلمين . إن الأموال الكبيرة المشار إليها  
سابقاً حققت الكثير من النتائج يقول : " إدوارد ميدايرل " أستاذ التاريخ  
بجامعة كولومبيا بالولايات المتحدة لمجلة " الشؤون الخارجية " في  
يناير سنة ١٩٤٠ م " ماذا يمكن أن يقال الآن عن أعمال التبشير  
الأمريكي في الشرق الأدنى بعد قرن كامل من الزمان ؟ يمكننا أن  
نحشد إحصاءات هائلة تتعلق بملايين الدولارات وبألوف الأنفس التي  
ضحيت في هذا السبيل . ولكن هذه أيضاً ليست هبة كافية توازي  
النتائج التي تحققت على أيدي الإرساليات الأمريكية والمبشرين  
الأمريكيين في هذا المركز المهم من الشرق " لقد حقق التبشير نتائج  
خطيرة قطعت أوصال العالم الإسلامي ! ! .

#### **المبحث الثالث : المؤتمر الألماني التنصيري**

من المؤتمرات التبشيرية الاستعمارية المؤتمر الاستعماري

(١) المصدر السابق ص ٤٤ .



الألماني سنة ١٩١١م الذي بحث فيه المجتمعون كيفية السيطرة على العالم الإسلامي يقول ( م . ك . أكسفولد ) سكرتير جمعية التبشير في برلين وأحد المساهمين في هذا المؤتمر : " إن المؤتمر الاستعماري امتاز بمزيتين

الأولى : أنه بحث في الشئون الصناعية والاقتصادية الثانية : إجماعه على وجوب ضم المقاصد السياسية والاقتصادية إلى الأعمال الأخلاقية والدينية في سياسة الاستعمار الألماني . والذي يعن النظر في أعمال هذا المؤتمر يجد أنه سهل الطريق لجميع المبشرين يقول شاتيليه : " أفاض المبشرون وتوسعوا في القول حتى خيل للجميع أن المؤتمر الاستعماري تحول إلى مؤتمر تبشير .

وعندما حدث اختلاف بين المبشرين وأعضاء المؤتمر في وجهة النظر إلى الإسلام قام " أكسفولد " سكرتير جمعية التبشير في برلين ولفت الأنظار إلى الخطر الإسلامي في المستعمرات الألمانية في إفريقيا ، واقترح على المؤتمر الاهتمام من كل الأوجه بعاقبة الحال الحاضرة سواء في ذلك الوجهة التبشيرية ، والوجهة الفكرية ، ووجهة السلطة السياسية . ثم قال : " إن الحكومة لابد لها من القيام بتربية الوطنيين المسلمين في المدارس العلمانية ما دام هؤلاء المسلمون ينفرون من المدارس المسيحية ونحن نعترف بهذه الحقيقة بالرغم من اعتقادنا بأن المدارس العلمانية تزيد الإسلام نمواً وارتقاء .

أما قرار المؤتمر حسب ما ذكرته مجلة العالم الإسلامي فهو يتلخص في مقاومة كل عمل من شأنه توسع نطاق الإسلام ، وإزالة كل العراقيل من طريق انتشار النصرانية ، وأن الخطر الإسلامي يدعو إلى ضرورة انتباه المسيحية الألمانية لاتخاذ كل التدابير - من غير تسويق في كل الأرجاء التي لم يصل إليها الإسلام <sup>(١)</sup> .

#### **//المبحث الرابع: مؤتمر لكنو بالهند التنصيري ١٩١١**

تتابع المؤتمرات التبشيرية التنصيرية المؤتمر تلو المؤتمر دلالة على مدى اهتمامهم بوقف انتشار الإسلام وتغيير مجراه والعمل على تنصير المسلمين . ففي يوم ٢١ يناير ١٩١١م عقد في مدينة لكنو بالهند هذا المؤتمر وتعددت جلساته في باحة مدرسة " ايزابلا ثوربون" البروتستانتية الخاصة بالبنات واشترك فيه ١٦٨ مندوبا و ١١٣ مدعوا من ٥٤ جمعية تبشيرية وكان من بين المشتركين في المؤتمر القسيس "زويمر" وقد تضمن برنامج المؤتمر عدة أمور منها هذه المواد :

**الأولى :** النظر في حركة الجامعة الإسلامية ومقاصدها وطرقها والتأليف بينها وبين تنصير المسلمين .

**الثانية :** النظر في الانقلابات السياسية في العالم الإسلامي وعلاقتها بالإسلام ومركز المبشرين المسيحيين فيها .

**الثالثة :** موقف الحكومات إزاء إرساليات تبشير المسلمين .

(١) الغارة على المجتمع الإسلامي ص ٥٠ .

الرابعة : الإسلام ووسائل منع اتساع نطاقه بين الشعوب الوثنية .  
الخامسة : تربية المبشرين على ممارسة تبشير المسلمين . والمزايا  
النفسية اللازمة لذلك ، والبحث في الدروس الإعدادية ودروس  
التبشير ، وتأليف الكتب للمبشرين وللقرءاء المسلمين .  
السادسة : حركات الإصلاح الديني والاجتماعي .  
السابعة : الارتقاء الاجتماعي والنفسي بين النساء المسلمات .  
الثامنة : الأعمال النسائية .  
التاسعة : القرارات العلمية وتقارير اللجان المالية المطبوعات  
والمنشورات .

#### خطبة زويمر الافتتاحية في المؤتمر :

افتتح القسيس زويمر مؤتمر لكنو بخطبته التي قسمها إلى  
أربعة أقسام جعل القسم الأول عن الإحصاءات الإسلامية وتحدث عن  
عدد المسلمين في روسيا ونجاري والصين والهند وفي أمريكا  
والمغرب وتونس ونجد والحجاز وجزائر ماليزيا .  
وفي القسم الثاني تحدث عن الانقلابات السياسية التي حدثت  
في العالم الإسلامي وشكر الله على حدوث هذه الانقلابات في غرب  
آسيا ثم تحدث عن وضع الدولة العثمانية وما ينتظرها من الانهيارات  
والانقلابات التي قد أخذت تظهر في ماليزيا .  
وفي القسم الثالث تحدث عن الانقلابات الاجتماعية والفكرية  
وعن خطط الإصلاح الموضوعية وأشار إلى أن التقدم الاجتماعي

والعقلي يجب أن يكون مجرداً من كل صبغة دينية .

وفي القسم الرابع تحدث عن خطة الكنائس بعد مؤتمر القاهرة خاصة الخطة التي اتبعتها كنائس أوروبا وأمريكا لتتصير المسلمين .

#### أعمال لجان المؤتمر :

رأى القنتمون بمؤتمر لكنو أن تقرأ قبل الخوض في موضوعات هذا المؤتمر تقارير اللجان التي تألفت بعد مؤتمر القاهرة فقرأ الدكتور " ويتبرخت " الألماني تقريراً عن حالة المؤلفات التي صنفت لتبشير المسلمين ، وأبان أن دائرة انتشار هذه المؤلفات قد اتسعت جداً باللغات الثلاث التي هي أهم اللغات الإسلامية ويعني بها العربية والفارسية والأوردية ، وأن قسماً كبيراً من هذه المطبوعات خاص بالبلاد العثمانية ومنها ما تكرر طبعة مثل مؤلفات القسيس " فندر " ومنها ما هو مكتوب بأسلوب عصري صار يفيد التبشير منذ أخذ العالم الإسلامي يحتك بالعلوم العصرية . وأهمية هذه المؤلفات الكبيرة في الهند لأن الذين يكتبونها هم مسلمو الهند المتنصرون مثل " عماد الدين " الذي حصل من مدارس إنجلترا على لقب دكتور في اللاهوت .

ثم تليت تقارير أخرى في بيان ضرورة نشر مؤلفات في المناظرات الدينية التاريخية التي تكون مكتوبة بأسلوب عصري على ما تقتضيه حالة المسلمين في مصر ، والهند ، وسائر أقطار الشرق ثم أشاروا إلى مساعدة صحف أوروبا الكبرى للمبشرين لاهتمامها

بالأمور الإسلامية ، ومن أدلة هذا الاهتمام إنشاء مجلة العالم الإسلامي الفرنسية ، ومجلة الإسلام الألمانية ، ودائرة المعارف الإسلامية التي نشرت بثلاث لغات .

ومن المسائل التي عقد مؤتمر لكونو للبحث فيها الانقلابات السياسية في الدول الإسلامية حيث بحث المؤتمر عن وضع خطة للانقلابات العثمانية ، والانقلابات السياسية في جزيرة العرب <sup>(١)</sup> .

#### قرارات المؤتمر :

بعد أن بحث المؤتمر كل شئ يتعلق بالإسلام والمسلمين خرج المؤتمر بعدة قرارات دونوها في محضر جلساته منها :

١- يعقد المؤتمر مرة أخرى في القاهرة عام ١٩١٦م وإذا طرأت مسائل سياسية أو أمور أخرى تحول دون اجتماعه في هذه المدينة فيعقد في لندن . وكانهم يشيرون بذلك إلى قيام الحرب العالمية الأولى التي لم تكن قد وقعت بعد .

٢- وافق مؤتمر لكونو مؤتمر إرساليات التبشير الذي عقد عام ١٩١٠ على ضرورة حصر المساعي في القاهرة الإفريقية ، وأن تتكاتف جميع إرساليات التبشير لتطوف كل إفريقيا ، وتؤسس مراكز قوية في الأماكن التي هي موطن الخطر .

٣- وافق المؤتمر على ضرورة تأسيس مدرسة في مصر خاصة بالتبشير وتكون عامة لكل الفرق البروتستانتية مع التدقيق

(١) الغارة على المجتمع الإسلامي ص ٦٤ .

التام في انتقاء المبشرين الأكفاء الممتازين بصفاتهم ومواهبهم العقلية للتدريس فيها .

٤- ضرورة تنصير النساء المسلمات مع أولادهن ورفع شأنهن وهذا يتطلب دخول النساء المسيحيات في العمل مع ضرورة توسيع الإرساليات نطاق الأعمال التبشيرية التي تقوم بها النساء في إفريقيا بوجه خاص ، واختتم المؤتمر قراراته مستتهضا همة الكنائس التبشيرية في الهند لإرسال قسم من المبشرين الموجودين لديها حتى يشدوا من أزر المبشرين في إفريقيا <sup>(١)</sup> .

تعقيب : الذي يمعن النظر في جميع المؤتمرات التبشيرية التي عقدت للتصير يجد أن التبشير اتخذ العلم العلماني وسيلة إلى استبعاد الأفراد والشعوب . لقد سخر التبشير العلم الكاذب لإفساد الشعوب . ونشر الضلال فكانت المدارس والجامعات التبشيرية التي غرسها في كل مكان في العالم الإسلامي هي المعاول الهدامة لقتل المثل والأخلاق والعقائد .

يقول الأستاذ : محمد الصواف : " حينما انتبه المستعمرون إلى قوة الإسلام الهائلة ... أقاموا المؤتمرات ووضعوا المخططات ، وأجمعوا أمرهم واتفقوا على أن يولي المبشرون والمستشرقون ومستشارو حكومات المستعمرات ، عنايتهم بالمدارس وبمناهجها التعليمية لاسيما مدارس البنات والمعاهد الخاصة بهن .. من أجل هذا

(١) المصدر السابق ص ٧٤-٧٥ .

حشد الإنجليز كل قواهم من أجل حرب المناهج الإسلامية في مصر والعراق وفي كل بلد مدت لهم فيه يد .

لقد عمد الإنجليز على إخراج " القسيس دنلوب " من مجاله الديني الكهنوتي وجعلوه مستشاراً للمناهج التعليم كي يتسنى له أن يجرد الثقافة والمناهج الدراسية من كل شئ اسمه الإسلام أو التربية الإسلامية .

ومن أجل هذا كذلك ترصد أمريكا سنوياً أعظم وأضخم ميزانية في العالم لمواجهة الإسلام ، ومكافحة الإسلام في بلاد المسلمين خاصة إفريقيا . وغالبية هذه الميزانية الضخمة تصرف على الجامعات والمدارس التبشيرية <sup>(١)</sup> .

#### **//المبحث الخامس : مؤتمر كلورادو والوسائل التنصيرية التي**

##### **اتخذها ١٩٧٨**

عقد مؤتمر كلورادو في مدينة " جلين إيرى " بولاية كلورادو بأمريكا الشمالية في المدة من ١٥ : ٣٠ / ١٠ / ١٩٧٨م وكانت جلساته مغلقة ، لم يسمح لغير المشاركين بحضور أي جلسة من جلساته .

##### **سبب انعقاده :**

عقد هذا المؤتمر لتحقيق عدة أهداف تنصيرية من أهمها ما يلي :

- ١- النظر في عملية تنصير المسلمين التي تعتبر من أعظم التحديات التي واجهت الكنيسة على مر العصور ، وأصبح ذلك التحدي أكثر
- (١) المخططات الاستعمارية لمكافحة الإسلام : محمد محمود الصواف ص ٢١٢ طدار الاعتصام .

وضوحاً ، بسبب الأحداث السياسية التي تشد الأنظار نحو الأراضي الإسلامية .

٢- الانفتاح الحديث الذي يشير إلى استعداد بعض المسلمين لتقبل رسالة المسيح ، وانطلاقاً من ذلك ، فإن لجنة لوزان التصيرية تسلمت بارتياح شديد اقتراحاً لعقد هذا المؤتمر في أمريكا الشمالية<sup>(١)</sup>

٣- تحديد القضايا الأساسية التي تدعو الحاجة إلى طرحها ومناقشتها .

٤- إعداد خطة تضمن مشاركة أكبر عدد من العلماء قبل انعقاد المؤتمر ، وحضور مؤتمرين متهينين تماماً .

٥- إصدار المطبوعات المستمرة التي تتناول النشاطات التي تعقب انعقاد المؤتمر<sup>(٢)</sup> .

٦- تنصير ٧٢٠ مليون مسلم تتوزعهم ٣٥٠٠ مجموعة إسلامية في العالم ، ويبحث في المؤتمرين عزماً جديداً لتجميع طاقاتهم ، وتنسيق جهودهم للوصول إلى هذه الغاية<sup>(٣)</sup> .

#### الأبحاث التي قدمت للمؤتمر :

قدم لمؤتمر كلورادو أربعين بحثاً تمثل الجوانب النظرية ، ودراسة ميدانية حول جميع أجزاء العالم الإسلامي دون استثناء حتى الأقليات المسلمة ، وقدمت قبل انعقاد المؤتمر بستة أشهر عشرة أبحاث تصويرية استهدفت تقديم دراسة للمسلمات الأساسية وهي :

١- الكتاب المقدس والثقافة .

(١) التنصير خطة لغزو العالم الإسلامي ص٣  
(٢) المصدر السابق ص ١٨  
(٣) استراتيجية التنصير في العالم الإسلامي محمد عمارة ص ٥٧ .



- ٢- إبلاغ الكتاب المقدس إلى المسلمين في بيئات ثقافية مختلفة .
  - ٣- استمالة المسلم عن طريق تجسيد شمائل وسلوك المسيح .
  - ٤- المسلم المنتصر وثقافته .
  - ٥- كنائس ملائمة للمتصيرين في المجتمع الإسلامي .
  - ٦- صراع القوى في عملية تنصير المسلمين .
  - ٧- الظرفية والتحول .
  - ٨- منطلقات لاهوتية جديدة رفي عملية تنصير المسلمين .<sup>(١)</sup>
  - ٩- تحليل المقاومة والاستجابة لدى الشعوب المسلمة .
  - ١٠- تطبيق مقياس "أنكيل" في عملية تنصير المسلمين "<sup>(٢)</sup>
- وأما " الأبحاث الستة عشر التالية وصفت بأنها عبارة عن مفاتيح في عملية المواجهة الإسلامية – النصرانية اليوم وهي :
- ١١- اللاهوت الإسلامي .
  - ١٢- إسلام العامة أو الإسلام الشعبي .
  - ١٣- مقارنة بين وضع النصرانية والإسلام في وسط وجنوب إفريقيا
  - ١٤- مقارنة بين وضع النصرانية والإسلام في شمال القارة الإفريقية
  - ١٥- مقارنة بين وضع النصرانية والإسلام في الغرب .
  - ١٦- مقارنة بين وضع النصرانية والإسلام في الشرق الأوسط .
  - ١٧- مقارنة بين وضع النصرانية والإسلام في تركيا .
  - ١٨- مقارنة بين وضع النصرانية والإسلام في شبه القارة الهندية .

(١) التنصير خطة لغزو العالم الإسلامي ص ٤٨ .

(٢) التنصير خطة لغزو العالم الإسلامي ص ٤٨ .

- ١٩- مقارنة بين وضع النصرانية و الإسلام في جنوب شرق آسيا .
- ٢٠- مقارنة بين وضع النصرانية والإسلام في إيران .
- ٢١- مقارنة بين وضع النصرانية والإسلام في روسيا والصين .
- ٢٢- الوضع الحالي للمطبوعات ووسائل الإعلام الأخرى الموجهة للمسلمين .
- ٢٣- الوضع الراهن لترجمات الإنجيل إلى لغات المسلمين .
- ٢٤- الإرسال الإذاعي الحالي الموجه إلى المسلمين .
- ٢٥- نظرية عامة على إرساليات التنصير العامة بين المسلمين .
- ٢٦- مراجع مختارة للمنصرين العاملين بين المسلمين <sup>(١)</sup> .
- "وحددت الأربعة عشر بحثاً الباقية استجابات ملموسة اعتبرت أساسية في سبيل الوصول إلى خدمة نصرانية مؤثرة بين المسلمين وهي :
- ٢٧- الدعوة إلى التجدد الروحي .
- ٢٨- تطوير أدوات جديدة تساعد في عملية تنصير المسلمين .
- ٢٩- مستويات وأشكال ومواقع البرامج التدريبية .
- ٣٠- بناء شبكة من مراكز الأبحاث .
- ٣١- أهمية ومنهجية التخطيط الاستراتيجي .
- ٣٢- مهام تنصيرية يقوم بها منصرفون غير متفرغين إلى جانب عملهم الرسمي في البلدان الإسلامية .
- 

(١) المصدر السابق ص ٤٩ .

- ٣٣- الحاجة إلى مركز للقيادة في أمريكا الشمالية .
- ٣٤- الحوار بين النصارى والمسلمين ، وصلته الوثيقة بالتنصير .
- ٣٥- روابط أمريكا الشمالية مع إرساليات العالم الثالث التنصيرية  
والعاملة بين صفوف المسلمين .
- ٣٦- الحاجة إلى مجلة جديدة خاصة بإرساليات التنصير العاملة بين  
المسلمين .
- ٣٧- الغذاء والصحة كوسائل لتنصير المسلمين .
- ٣٨- دور الكنائس المحلية في خطة الرب لخلاص المسلمين .
- ٣٩- المداخل النصرانية إلى المرأة المسلمة وأسرتها .
- ٤٠- الوصول إلى أولئك الذين لم يتم الوصول إليهم " (١) .
- هذه الأبحاث لمؤتمر واحد من مؤتمرات التبشير والتنصير  
المسيحي وكل بحث من هذه الأبحاث يكفي في قضية التنصير ، فأين  
علماء الأمة ، وأين نتائج المؤتمرات ، والمراكز البحثية فيها لمقاومة  
هذا الغزو المنظم لتنصير المسلمين .
- تعقيب : إن البحث لا يتسع للتعقيب على أبحاث مؤتمر كلورادو  
لبيان خطورة كل بحث حيث أنهم لم يتركوا دولة من الدول الإسلامية  
إلا وقد بحثوها من حيث الموقع الجغرافي وعدد السكان والحالة  
الاجتماعية والسياسية والاقتصادية لتسهيل عملية التنصير .
- إن هذا المؤتمر وغيره يظهر مدى الحقد والمقت التبشيري للعالم

---

(١) المصدر السابق ص ٤٩-٥٠ .

الإسلامي والذي كان سبباً قوياً في الإغارة على المسلمين بشتى الأساليب والطرق والأشكال والألوان التي ما زالت تملو ، وتشتد ، وتمتد ثقافياً وفكرياً لتخريب قواعد الإسلام ، والأخلاق الإسلامية ، وإشاعة الأفكار والتيارات الهدامة <sup>(١)</sup> .

لقد وجد الغربيون أن أفضل طريق للانتصار على العالم الإسلامي وإخضاعه هو العمل على تنصيره ، فوضعوا الخطط وحاقوا المؤتمرات للغارة على الأفكار والمفاهيم الإسلامية وعلى كل ماله صلة بالإسلام ، حضارة وثقافة ، وصارت قاعدتهم التي ارتكزوا عليها هي: "إذا أربك عدوك فأفسد فكره ينتحر به، ومن ثم تستعيد" هكذا خططوا لنا ، وعقدوا المؤتمرات من أجل تنصيرنا ، فما الذي فعلناه لمواجهة ولحماية المجتمعات الإسلامية التي عانت ومازالت تعاني من التسلط التبشيري ، إننا في أمس الحاجة لمواجهة التبشير من خلال مخطط دقيق ينفذ بحكمة وبصيرة لنقد الأفكار التبشيرية وبيان حقيقة الإسلام دون تهويل أو تهويل أو تبسيط .

إن المجتمع الإسلامي في أمس الحاجة إلى العلم والمعرفة واستعمال العقل والفكر في كل ما من شأنه أن يدفع إلى التقدم والحضارة ، وهذا لا يتحقق إلا بالعمل الشاق المتواصل ، وتحقيق العدالة والبعد عن الاستبداد والظلم والطغيان. إن واقع الأمة المؤلم هو الذي دفع الغرب إلى هذا التسلط التنصيري .

(١) راجع الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية د/توفيق يوسف الواعي . ص ٧٠٧

يصور شاعر تركيا الكبير هذا الواقع المزري بقوله : "يسألني الناس أنك كنت في الشرق مدة طويلة فما الذي شهدت يا ترى ، وما عسى أن يكون جوابي ؟ إنني أقول لهم : إنني رأيت الشرق من أقصاه فما رأيت إلا قرى مقفرة ، وشعوبا لا راعي لها ، وجسورا متهدمة ، وأنهارا معطلة ، وشوارع موحشة ، رأيت وجوها هزيلة متجعدة ، وظهورا منحنية ، ورؤوسا فارغة ، وقلوبا جامدة ، وعقولا منحرفة . رأيت الظلم ، والعبودية ، واليبوس ، والشقاء ، والرياء ، والفواحش المنكرة المكروهة ، والأمراض الفاشية الكثيرة ، والغابات المحرقة ، والمواقد المنطفئة الباردة ، والحقول السبخة القاحلة ، والصور المقززة ، والأيدي المعطلة ، والأرجل المشلولة .. رأيت أنمة لا تابع لهم ، ورأيت أخا يعادي أخاه ، ورأيت نهارا لا غاية له ، ولا هدف ، ورأيت ليالي حالكة طويلة ، لا يعقبها صباح ، مسفر مشرق" (١) .

هذا التخلف أضعف الثقة بالنفس ، وأوقف عجلة التقدم والانطلاق في الشعوب الإسلامية ، وجعلها تعتمد في حل شئ على غيرها ، إن التخلف العقلي لا يكمن في عدم الذهاب إلى الجامعات ، واكتساب المعارف فقط ، بقدر ما يمكن في التبذل ، والخمول ، والنوم ، والرضا بالدون ، وموت الهممة .. (٢)

(١) المرجع السابق ص ٦٩٦ وانظر الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية. أبو الحسن الندوي. ص ٣٥.  
(٢) الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية د/توفيق يوسف الواعي ص ٦٩٨. وانظر في الغزو الفكري للدكتور : أحمد عبد الرحيم السايح ص ٦٠ .

الوسائل التبشيرية التي اتخذها مؤتمر كلورادو :

حدد المؤتمر في كلورادو عدة وسائل لم تكن مستخدمة في  
التصوير من قبل بصورة مباشرة ومن هذه الوسائل التي حددها هذا  
المؤتمر ما يلي :

أولاً: استغلال فقر المسلمين : ركز المؤتمر على هذه  
الوسيلة ولهذا جاء في نص المؤتمر : " إن المسلمين في العالم اليوم  
يواجهون احتياجات ماسة وضرورية في عدة مجالات ، منها : المياه  
العذبة ، والغذاء الصحي ، ومكافحة الأمراض والطفيليات ،  
ويحتاجون إلى جوانب روحية أساسية ،... وإن كثيراً من الحكومات  
والشعوب الإسلامية تدرك معظم الاحتياجات وترغب في العمل على  
درئها ، وهذا الوضع ينطبق بصورة واضحة على باكستان والهند  
وإندونيسيا ، ودول أخرى فيها تجمعات إسلامية كبيرة ، ونتيجة لذلك  
تبدل موقف هذه الدول التي كانت تناهض العمل التصيري ، أصبحت  
أكثر تقبلاً للنصارى ، ولكن الذين يسعون في مجال هذه الاحتياجات  
الحقيقية المحسوسة " (١) .

بل الأدهى من ذلك أنهم نهجوا منهج التبني لأطفال المسلمين  
يقول فضيلة الشيخ محمد الغزالي - رحمه الله - : " قرأت في الصحف  
نبأ هذا الكاثوليكي الذي تبني ثلاثين طفلاً مسلماً في الصومال لينشأهم  
على النصرانية بداهة ، وقلت إن جزءاً من المال العربي الضائع في  
(١) التصوير خطة لغزو العالم الإسلامي : الترجمة الكاملة لأعمال مؤتمر كلورادو ص ٧٧٧

الديه الفمر يحمر اس يحفظ مستقبل الأطفال" <sup>(١)</sup> إن أموال أغنياء المسلمين تذهب للدول الأوروبية لإنشاء المصانع والمزارع وأطفال المسلمين يموتون جوعاً في بلادهم حيث يذهب المنصر المسيحي إلى منازل المسلمين الذين لا يستطيعون الإنفاق على أولادهم .. ثم يعرض على ذويهم تبني أولادهم من قبل بعض المحسنين في البلاد الأوروبية والأمريكية ، والإنفاق عليهم من جميع الوجوه مع بقائهم في وسط أسرهم وأهلهم ، فهذا بالطبع يفرح الأسرة وكثيراً ما تبحث هي عن التبني <sup>(٢)</sup> وهكذا تتم عملية التبني بسهولة ويسر وتظل الرعاية المستمرة من المبشرين لمثل هذه الحالات ثم يلتقونهم مبادئ المسيحية وتتم عملية التصدير .

إن استغلال الفقر من الوسائل الناجحة للمنصرين ففي دولة السنغال المسلمة تقوم البعثات التبشيرية بتوقيع عقود " مع عدد من الأسر السنغالية الفقيرة تقدم بموجبها مساعدات عينية من أرز مثلاً في كل شهر على أن يكون لها حق اختيار طفل من أطفال الأسرة تربيته على حسابها ، ويكون في العقد مادة تنص على أن الأسرة مجبرة على رد ثمن المساعدات ، وعلى دفع نفقات ابنها ونفقات تعليمه إذا هي خالفت شروط العقد ، بطلب استرداد الطفل مثلاً ، وتختار البعثة التبشيرية طفلاً دون الخامسة من العمر ثم ترسله إلى مدرسة تبشيرية، وينقطع الصبي عن أهله ، وينشأ نشأة مسيحية ثم يرسل إلى فرنسا

(١) هموم داعية: محمد الغزالي . ص ١٠ ط دار البشير القاهرة .

(٢) التبشير وأثره في البلاد العربية . سعد الدين البساطي ص ١٩٧ .

لإتمام تعليمه العالي ، وبعدئذ يعود إلى السنغال ليستخدم في الأغراض التي توافق هوى فرنسا . وعندما يعود الصبي السنغالي الذي أصبح رجلاً مسيحياً فرنسياً إلى السنغال يمنح حق المواطن الفرنسي في المستعمرات من حيث المستوى الاجتماعي والوظائف <sup>(١)</sup> .

إن المنصرين يترقبون الفرصة التي تأتي على المسلم ، ويصبح فيها فقيراً لتسهيل عملية تنصيره ، ولهذا جاء في مؤتمر كلورادو ما نصه : " لا غرابة في أن تحويل مجموعات كبيرة إلى النصرانية يتم تحت ظروف وتحولات اجتماعية وثقافية رئيسية ، حيث كان المتحولون في أكثر الأحوال من تلك الطبقات التي شعرت بأنها محرومة بشكل كبير " <sup>(٢)</sup> .

لقد استخدم المنصرون كل الحيل لتنصير " الفقراء والبائسين بظاهر كاذب من الرحمة والإحسان ، وسلب أطفالهم ذكوراً وإناثاً بدعوى إيوائهم وتعليمهم حتى إذا ما جازت الحيلة على الآباء والأمهات أخذوا الأطفال إلى غير عودة ، ثم افترسوا دينهم وافترسوا قلوبهم ، وقطعوا بينهم وبين آبائهم وأمهاتهم أواصر الحنان والقربى ، وردوهم غرباء في بلادهم ، أعداء لأهلهم ، حتى إذا استعصى عليهم هؤلاء الأطفال حملوهم على ما يريدون بالضرب والجوع وغير ذلك من أنواع التعذيب والألم " <sup>(٣)</sup> .

(١) التبشير والاستعمار في البلاد العربية . ص ٣ .

(٢) التنصير خطة لغزو العالم الإسلامي - الترجمة الكاملة لأعمال مؤتمر كلورادو ص ٢٣٣

(٣) مجلة الكشكول . عدد ٦٣٥ بتاريخ ١٤ يولية ١٩٣٣ م . ص ٦ .



إن المبشرين استغلوا أوضاع العالم الإسلامي المضطرب في عملية التنصير يقول الدكتور / عبد الودود شلبي: "إن الجمعية المسيحية التي تعمل في ظروف صعبة وسط مناطق المجاعات ومعسكرات اللاجئين تقدم عطف المسيح وحنانه لأولئك المسلمين النفساء ، الذين يعيشون في بلدان مثل الصومال وباكستان ، ويضيف كاتب المقال أن أوضاع العالم الإسلامي مواتية لنا بأكثر من أي وقت مضى بسبب التمزقات والاضطرابات التي تسوده من صراعات بين السنة والشيعة إلى نزعات للتطرف ، ودعت الجميع وأثارت خوف الكثيرين من الإسلام" (١)

ثانياً: استغلال كوارث المسلمين : كما استغل المبشرون الفقر وشدة الحاجة فقد استغلوا أيضاً الكوارث والأزمات التي تلحق بالمسلمين ، والعجيب أن معظم الكوارث والأزمات هم الذين يحدثونها في المجتمع الإسلامي حتى يفقد توازنه كما حدث في العراق والسودان والصومال ولبنان وفلسطين وكشمير والتشيشان وكسوفو ، ولذلك فقد جاء في المؤتمر ما نصه :

" ولكي يكون هناك تحول فلابد من وجود أزمات معينة ومشكلات وعوامل إعداد وتهينة تدفع الناس أفراداً وجماعات خارج حالة التوازن التي اعتادواها ، وقد تأتي هذه الأمور على شكل عوامل طبيعية كالفقر والمرض والكوارث والحروب ، وقد تكون عوامل

(١) أفنقوا أيها المسلمون قبل أن تدفعوا الجزية . ص ٣١ .

معنوية مثل التفارقة العنصرية ، أو الحساسية بسبب تسامح المجتمع تجاه النفاق ، أو الوضع الاجتماعي المتدني ، وفي غياب مثل هذه الأوضاع فلن تكون هناك تحولات كبيرة إلى النصرانية <sup>(١)</sup> والمبشرون بطبيعة الحال يفرحون بالحروب في البلاد الإسلامية لأنها تحقق لهم الهدف الذي يعملون من أجله .

ومن ثم يبحثون عن الأطفال الذين فقدوا أهليهم يوضح ذلك الدكتور عبد الرحمن حبنكة : " ويفرح المبشرون بالحروب في بلاد المسلمين ، وفي هذه اللحظات يبحثون عن الأطفال الذين فقدوا أهليهم ، فيأتون إليهم فرحين بهم ، وقد حدث ذلك في الفتن السياسية التي قامت بين الطوائف اللبنانية المختلفة في السبعينات وأوائل الثمانينات من القرن العشرين ، إذ كانوا يلتقطون إلى معسكرات وملاجئ التنصير أو القتل ، ونشرت الصحف أن بعض النصاري اللبنانيين باعوا ألفين من أطفال المسلمين في لبنان إلى تلك المؤسسات التنصيرية في أوروبا وأمريكا " <sup>(٢)</sup> .

**ثالثاً: محاولة تنصير المرأة المسلمة : من الأمور التي ركز عليها مؤتمر كلورادو استغلال المرأة المسلمة ، وتقديم الحيل لجذبها وتنصيرها إن أمكن فإن لم يقدرُوا فبصرفها عن دينها ولهذا تحدث أحد المبشرين عن الأثر الذي تحدثه الأم في أطفالها فقال : " بما أن الأثر الذي تحدثه الأم في أطفالها حتى سن العاشرة من عمرهم بالغ**

(١) التنصير خطة لغزو العالم الإسلامي : الترجمة الكاملة لأعمال كلورادو ص ٢٣٠ .

(٢) أجنحة المكر الثلاثة : عبد الرحمن حبنكة الميداني ص ١٠٥ .

في الأهمية ، وبما أن النساء هن العنصر المحافظ في الدفاع عن العقيدة ، فإننا نعتقد أن الهيئات التبشيرية يجب أن توكل العمل بين النساء المسلمات على أنه وسيلة مهمة في التعجيل بتنصير البلاد الإسلامية <sup>(١)</sup> .

وقد اعتبر المبشرون أن النساء هن المفتاح لعملية التبشير بين المسلمين ، وهذا ما أفصح عنه المشاركون في مؤتمر كلورادو حيث جاء فيه ما نصه : " ابتعد عن الأسلوب التقليدي العقيم ، وطبق بالتدريج نظرية غير متوقعة ، تقوم على أساس أن النساء هن المفتاح ، ونتج عن هذا زرع الكتاب المقدس بعمق ، وبصورة واسعة في مجتمع فردي في الباكستان " <sup>(٢)</sup> .

ولهذا اهتم المبشرون بالمرأة المسلمة ووضعوا لها البرامج لتهوين الدين الإسلامي في نظرها ودفعها إلى الاقتداء بالمرأة المسيحية في كل أمور الحياة .

رابعاً: استغلال الإذاعات التنصيرية : من الوسائل التنصيرية التي استغلها المبشرون وركزوا عليها مؤتمر كلورادو ، الإذاعة بقسميها الراديو والتلفزيون وقد جاء في نص المؤتمر : " إن الإذاعة وسيلة جبارة للخير والشر .. وأن الراديو كان هو العامل المؤثر في القرن العشرين .. وأن التلفزيون سيحل محل الراديو في الأهمية في

(١) التبشير والاستعمار في البلاد العربية : سعد الدين البساطي . ص ٢٠٣ .

(٢) التنصير خطة لغزو العالم الإسلامي . ص ٥٥ .

قضية التصير<sup>(١)</sup> من أجل ذلك فهم يهتمون اهتمام بالغ باستخدام الإذاعة سواء السمعية أو السمعية والبصرية ، وقد ناقشت كافة المؤتمرات التي عقدت كيفية الاتصال بال جماهير ، وأكدوا على ضرورة إنشاء الإذاعات في كل مكان .. وأكدوا كذلك على إنشاء المعاهد لإعداد الإذاعيين وتدريب الكوادر وإقامة المؤسسات لإنتاج المواد الإذاعية<sup>(٢)</sup> .

خامساً : التزلف لكسب المسلمين : وهي من الوسائل الجديدة التي ركز عليها مؤتمر كلورادو وذلك من خلال توافق بين الطقوس النصرانية والعبادات الإسلامية ولذلك أوصى المؤتمر على بناء مساجد عيسوية في العالم الإسلامي واقترح المؤتمر بالنسبة للطقوس الدينية في هذه المساجد فقال : " إذا نقترح بأن نترك الأحذية عند الباب في المسجد العيسوي ، وليس هناك خسارة في ذلك ، وأن تكون أوضاع متعددة للصلاة عامة والكتاب المقدس يسمح بالركوع والسجود ورفع الأيدي ، وأن لا تكون هناك مقاعد ، وأن تستعمل حصائر للصلاة إذا رغب المصلون في ذلك ، ولكن المصلين لا يولون وجوههم نحو الشرق ، ولن يكون هناك أي شعار أو دعوة للجهاد على حيطان المسجد العيسوي ، ولو أن المسلمين العيسويين قد يقررون مستقبلاً كتابة شيء عن المسيح على تلك الحيطان " <sup>(٣)</sup> .

(١) المصدر السابق . ص ٥٦١ - ٥٦٢ .

(٢) الإذاعات التصيرية الموجهة إلى المسلمين العرب : كرم شلبي ص ٦٢ .

(٣) التصير خطة لغزو العالم الإسلامي . ص ٦١٣ .

"ونحن نقترح على ضوء ما يقوله العهد الجديد بخصوص مراعاة الأيام أن يتم توزيع تقويم على المسلمين العيسويين يوضح لهم أن يوم الجمعة هو اليوم الأول في الأسبوع بالنسبة لهم" (١) .  
هذه بعض الوسائل التي خرجت من مؤتمر كلورادو وهي إن دلت على شئ فإنما تدل على الجدية والاهتمام بتنصير المسلمين ، وأن العالم الغربي وضع الخطط والبرامج الطويلة والقصيرة لتحقيق هذه المهمة . فماذا نحن فاعلون !!؟

#### سادساً : التنصير عن طريق المراسلة :

من الوسائل التي ركزت عليها المؤتمرات التبشيرية خاصة مؤتمر كلورادو وسيلة التنصير بالمراسلة ، ومنذ عقد هذا المؤتمر والمنصرون يستخدمون هذه الوسيلة في جميع الدول الإسلامية .  
ولذلك أسس المبشرون عدة مدارس تنصيرية لتدريس فن المراسلة . وفي مؤتمر كلورادو جاء : " هنالك مدرسة التدريس عن طريق المراسلة ، ظلت تعمل منذ منتصف الستينات ، وتتوفر بها خمس حلقات دراسية ، وفي خلال عام ١٩٧٧ م ، كان هناك حوالي ٥٨٥ طالباً لدراسة الفصل الواحد ، وترتفع نسبة الطلبات خلال عام ١٩٧٨ م ، ويتم الاتصال بحوالي ٥٥% من الطلاب الملتحقين بهذه الدورات عبر البرنامج البريدي المسمى (أصدقاء تركيا) كما يتم الاتصال بـ ٤٠% آخرين عن طريق التوزيع الكثيف للمطبوعات

(١) المصدر السابق ص ٦١٤ .

داخل القطر ، وب ٥٠% عن طريق الأصدقاء ، وكانت هذه الحلقات الدراسية بمثابة حلقة الوصل في السلسلة التي قادت إلى تنصير كثير من المسلمين في تركيا <sup>(١)</sup> .

وقد استخدم المنصرون " المنظمة الدولية لتنمية الأسرة والمجتمع " لتحقيق هذه الوسيلة وذلك من خلال " هيئة خطة الوالدين المربين الدولية " الكائنة بشارع متحف النيل بالمنيل بالقاهرة حيث بدأ نشاطها في سنة ١٩٨٠م وتعمل هذه المنظمة وفقاً لقاعدة من أسرة إلى أسرة ، بحيث يكون المساهمون فيها من أمريكا وأستراليا وبلجيكا وكندا ، والمعروفون باسم الشركاء في التنمية بإقامة علاقات ودية مع الأسر المصرية المحتاجة خاصة أن وزارة الشؤون الاجتماعية وقعت اتفاقية مع هذه المنظمة .

والمنصرون يتوصلون إلى عناوين الأسر التي يقيمون معها علاقات ود ومساعدة من خلال خطة مدروسة تتلخص فيما يلي :

" يقوم الطفل بإبلاغ المدرسة التابع لها بحالته الاجتماعية ، وتقوم المدرسة بدورها بتحويل الطفل إلى الشؤون الاجتماعية ، حيث تأخذ البيانات اللازمة عن حالة الطفل الاجتماعية موقعاً عليها من شيخ الحارة ، وبناءً على هذه البيانات ؛ يأخذ الطفل دفتر حساب جاري من بنك الإسكندرية - فرع الموسكي " <sup>(٢)</sup> .

(١) التنصير خطة لغزو العالم الإسلامي . ص ٦١١ .

(٢) إرساليات التنصير الأجنبية في مصر : سمير السيد محمد السيد . ص ١٣٨ .

## **الفصل الثالث**

### **الجمعيات والهيئات التبشيرية**

ويشتمل على النقاط الآتية

أولاً : الفرنسيون .

ثانياً : الآباء الدومنيكان .

ثالثاً : جماعة اليسوعيين .





### **الفصل الثالث : الجمعيات والهيئات التبشيرية**

بخلاف المؤتمرات التبشيرية توجد جماعات تبشيرية لنشر المسيحية وإعداد دعايتها وهي عبارة عن هيئات مسيحية أو مدارس لتخريج المنصرين وهي منتشرة في كل دول الغرب منها ما يلي :

١- الفرنسييسكان : وهي تعد من أشهر مدارس التبشير في الشرق الأوسط وينتمي إليها عدد كبير من العلماء البارزين في الدراسات الشرقية والفكر الديني وكانت بدايتها في القرن الثالث عشر ومؤسسها هو فرنسيس الأسيزي "١٢٢٦-١١٨١" نسبة إلى بلدة سيز الإيطالية .

وكانت هذه الجماعة في أول أمرها من الفقراء الذين يعيشون على التبرعات وبعد عدة رحلات قام بها فرنسيس في الغرب والشرق ظهرت الجماعة وأصبحت قيادة التبشير بيد الفرنسييسكان والدومنيكان ثم تحولت إلى هيئة منظمة ذات قانون وبعد رحلة طويلة أصبح لهذه المنظمة مدارس كثيرة في معظم بلاد الشرق تقوم بمهمة التبشير ولها بمصر الآن عدداً من المدارس في القاهرة والإسكندرية وطنطا والمنصورة ودمياط وسوهاج ومحافظات ومدن أخرى ولهم منذ سنة ١٩٣٩م كلية لاهوتية بالقاهرة امتدت منها فروع كثيرة ، ولهذه الكلية نشاطات استشرافية متعددة .

وفي سنة ١٨٤٦ أسست جماعة الفرنسييسكان أول مطبعة عربية في القدس وفي سنة ١٩٥٤ أنشأوا بالقاهرة مركزاً للدراسات الشرقية

وبه مكتبة كبيرة وتهتم هذه الجماعة بخلاف عمليات التنصير بتاريخ الكنائس وأعمالها ورجالها .

٢- الآباء الدومنيكان : أسس هذه الجماعة "دومنيكوس" ١١٧٠- ١٢٢١ وكانت مهمته الأولى هي دحض البدع وإزالة الخرافات من خلال الاستتارة العقلية ، والاهتمام بالتعليم العالي وكان لها أثر في نهضة أوروبا الحديثة منذ القرن السابع عشر وأخذوا ينشئون لهم فروعا في الشرق ، وينشئون بها المكتبات والمعاهد .

في أواخر القرن التاسع عشر أنشأوا مكتبة الكتاب المقدس . ومجلة الكتاب المقدس بالقدس ثم معهد الدراسات الشرقية بالقاهرة ، وفي سنة ١٩٤٥ أصدروا مجلة باللغة الفرنسية تسمى مجلة المعهد الدومنيكاني للطلبة الشرقيين ولهم مكتبة بالمعهد الخاص بهم بالقاهرة وهي مكتبة كبيرة ومنظمة على الطريقة الحديثة وتحوي على العديد من الكتب والمراجع ونشاطها التبشيري يقوم على الدراسة والبحث - وترى أن التبشير الذي يعتمد على الثقافة هو الوسيلة الناجحة لهداية الكفار إلى الأناجيل وخصوصا المسلمين .

ومن الأمور التي اشتهرت بها دورها الوحشي في إبادة مسلمي أسبانيا فقد أشار الراهب الدومنيكي " بليدا " بقطع رقاب العرب جميعا سواء في ذلك من تنصر ومن أصر على إسلامه لأنه اتهم الذين تنصروا بالنفاق ، وأن قتلهم جميعا بالسيف ينجي من شرورهم ثم

يحكم بينهم في الدار الآخرة .... وقد أيدته رجال الإكليروس في هذا الاقتراح<sup>(١)</sup>.

٣- جماعة اليسوعيون "الجزويت": تعد هذه الجماعة من أنشط الجماعات التبشيرية، ولا يخلو إقليم في العالم كله من إرسالياتها وهي تقوم على مجموعة من رجال الكاثوليك وقد بدأت في جامعة باريس ولقيت ترحيباً من الباباوات ولهذا نمت بسرعة وصار لها هذا الكيان الفكري الكبير ومؤسسها هو "إيجنا تياس لويولا" كان جندياً أسبانياً وكذلك أبوه وأسرتيه من الأسر الثرية. التحق بجامعة باريس وظل بها أحد عشر عاماً وهو في الثلاثين من عمره.

وظلت هذه الجماعة تنمو حتى سنة ١٥٣٤ عندما أعلن البابا "بول الثالث" اعترافه بهذه الجماعة، وكان كيان هذه الجماعة قائم على الثقافة والطهارة، وتنزع إلى التقشف والتخلي عن الملكيات الخاصة وكان غرضها الأساسي هو إعداد رهبان وقسس يكونون أعواناً للبابا في روما.

وتعتبر هذه الجماعة فريدة في عملين تميزت بهما عن الجماعات الأخرى هما مهارتها في تكوين إرساليات للتبشير بديانة المسيح، وتعليم الشباب واتخاذ الوسائل الناجحة لطبعم بطابعها، وقد أسست الهند أكثر من ١٥٤٠ كلية للتبشير، وقد وفدت على الشرق الأوسط أوائل القرن السابع عشر في سوريا ولبنان وفلسطين ولها مقر في

(١) دراسات في التبشير والاستشراق «عبد المنعم شعيشع» ص ٢٠٦-٢٠٧.

بيروت منذ سنة ١٨٣١م ولا يزال بها مركزها الرئيسي بالشرق  
الأوسط إلى الآن. <sup>(١)</sup>

---

(١) المصدر السابق. ص ٢٠٨-٢١٠ بتصرف.

## **الفصل الرابع**

### **المنطقات التبشيرية وكيفية الرد عليها**

ويشتمل على النقاط الآتية

- أولاً :** تبشير العالم فرض على المسيحيين وتفنيد ذلك .
- ثانياً :** حقيقة الدعوة إلى التثليث وتفنيد ذلك .
- ثالثاً :** المسيحية دين المحبة الأولى وتفنيد ذلك .
- رابعاً :** الإدعاء بأن المسيحية أنصفت المرأة وتفنيد ذلك .
- خامساً :** الإدعاء بأن القرآن الكريم صدق كتبهم وتفنيد ذلك .



#### **الفصل الرابع : منطلقات التبشير وكيفية الرد عليها**

ينطلق العمل التنصيري في العالم الإسلامي من عدة مفاهيم ومعتقدات باطلة وفي هذا البحث نقوم بإيراد بعض هذه المفاهيم والمعتقدات التي يعتقد بصحتها رجال التنصير والتبشير والرد عليها ومواجهتها حتى تبطل حججهم التي فتنوا بعض المسلمين بها ، وليس غرضنا من هذا الرد بيان الباطل الذي يعتقدون بصحته ولكن لأنهم يعملون على إخراج المسلمين من الإسلام بكل ما لديهم من إمكانيات وفي نفس الوقت يعملون على تشويه العقيدة الإسلامية في قلوب المسلمين . وهذه بعض المفاهيم والمعتقدات الخاطئة .

**أولاً : أن تبشير العالم فرض على المسيحيين :**

يعتقد المبشرون أن تبشير العالم فرض على المسيحيين ويستندون في ذلك إلى ما جاء في نهاية إنجيل " مرقس " - أقدم الأناجيل المسيحية - والتي تقول : " اذهبوا إلى العالم أجمع وكرزوا بالإنجيل إلى الخليقة كلها " .<sup>(١)</sup>

**التفنيد والرد :**

هذه الفقرة التي يستند إليها رجال التبشير مشكوك في صحتها من علماء المسيحية أنفسهم وهي دخيلة على الإنجيل الأصلي لمرقس ، ولم تقبل إلا بعد أكثر من ١٠٠ سنة<sup>(٢)</sup> بعد كتابتها ، وأن كاتبها غير معروف ، وهذا ما قرره التراجم الحديثة للكتاب المقدس ، ومنها

(١) إنجيل مرقس الأصحاح السادس عشر فقرة : ١٥ .

(٢) حقيقة التبشير بين الماضي والحاضر : أحمد عبد الوهاب ص ١١٣ .

الترجمة الإنجليزية ( R.S.V ) وكذلك الترجمة الفرنسية الحديثة للكتاب المقدس ( T.O.B ) والتي تقول : " طبقاً لأفضل النسخ فإن إنجيل مرقس ينتهي هنا أي عند الفقرة رقم ٨ ، ومن ذلك يتضح أن الفقرات من ٩ وما بعدها دخيل ولا أساس له على هذا الإنجيل .

٢- إن هذه الفقرة تنص على التركيز بالإنجيل وحيث أن الكنيسة لا تؤمن بإنجيل واحد ولا يوجد لديها إنجيل واحد فهذا دليل كاف على إبطال ما جاء في إنجيل مرقس .

٣- أن هذه الفقرة تتعارض مع ما تقوله الأناجيل عن عودة المسيح مرة ثانية إلى الأرض قبل أن يكمل تلاميذه الإثنى عشر التبشير في مدن إسرائيل فقد قال متى على لسان المسيح لتلاميذه : "بالحق أقول لكم لا تكملون مدن إسرائيل حتى يأتي ابن الإنسان" (١) فهذا يدل بوضوح أنه لا مكان لأي حديث عن تبشير العالم .

٤- إذا نحينا ذلك كله جانباً فإن الأناجيل مشكوك في سندها ومنتها فدائرة المعارف البريطانية تقول عن التحريف والتبديل وإدخال كلمات في النص : " أما موقف الأناجيل فعلى العكس من رسائل بولس إذ أن التغييرات الهامة قد حدثت عن قصد مثل إدخال أو إضافة فقرات بأكملها (٢) . ويقول "جورج كرد" في تفسيره : " إن نصوص جميع هذه المخطوطات "العهد الجديد " تختلف اختلافاً كبيراً ولا

يمكننا الاعتقاد بأن أيها منها قد نجا من الخطأ .. ومهما كان الناسخ حي

(١) إنجيل متى الإصحاح العاشر . فقرة : ٢٣ .  
(٢) المناظرة بين الإسلام والنصرانية لمناقشة العقيدة الدينية بين مجموعة من رجال الفكر في الديانتين النصرانية والإسلامية ص ٣٦ .



الضمير فإنه ارتكب أخطاء بقيت في كل النسخ التي نقلت عن نسخته الأصلية . إن أغلب النسخ الموجودة في جميع الأحجام قد تعرضت لتغييرات أخرى على أيدي المصححين الذين لم يكن عملهم دائماً إعادة القراءة الصحيحة <sup>(١)</sup> وتبين دائرة المعارف البريطانية أن متى ولوقا اعتمدا على إنجيل مرقس إذ تقول : " إن القول بأن متى ولوقا استخدمتا إنجيل مرقس - أصبح على وجه العموم مسلماً به ، ولكن بجانب إنجيل مرقس فلا بد أنهما استخدمتا وثيقة أخرى يشار إليها الآن بالـ "Q" والذي يرمز إلى كلمة المصدر ، كما استخرجت من الكلمة الألمانية التي تعطي هذا المعنى " <sup>(٢)</sup> .

#### ثانياً : حقيقة الدعوة إلى التثليث :

يستند المبشرون في دعوتهم إلى التثليث إلى خاتمة إنجيل متى والتي تقول : " اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الأب والابن والروح القدس " <sup>(٣)</sup> انطلق رجال الكنيسة بناء على هذا النص إلى دعوة الناس للإيمان بالثالوث ولم يكتف دعاء التنصير بأقوامهم بل يحاولون إجبار المسلمين على الإيمان بهذه العقيدة والذي يعن النظر فيها يجد أنها كسابقتها لا أساس لها من الصحة .

#### التفنيد والرد :

١ - إن إنجيل متى يحيط به الغموض من جميع النواحي فكاتبه

(١) المصدر السابق . ص ٣٧ .

(٢) المصدر السابق . ص ٣٤ .

(٣) إنجيل متى . الإصحاح الثامن والعشرون . فقرة : ١٩ .

وتاريخ تأليفه والمكان الذي كتب فيه كل هذه الأمور غامضة وليست محل اتفاق بين رجال الكنيسة أنفسهم أما خاتمته فالعلماء يجمعون على أنها دخيلة عليه يقول " أدولف هرنك " : " إن صيغة التثليث هذه التي تتكلم عن الأب والابن والروح القدس غريب ذكرها على لسان المسيح ولم يكن لها نفوذ في عصر الرسل وهو الشئ الذي كانت تبقى جديرة به لو أنها صدرت عن المسيح شخصياً <sup>(١)</sup> .

٢- إن هذه الفقرة لم يعرف عنها تلاميذ المسيح شيئاً ولا بولس في بداية أمره وقد كان بطرس شيخ التلاميذ يعتمد باسم المسيح فقط فقد جاء في أعمال الرسل هذا النص " قال لهم بطرس : توبوا وليعتمد كل واحد منكم على اسم يسوع المسيح " <sup>(٢)</sup> .

بل إن مارتن لوثر أشار إلى التثليث على أنه تعبير يفنق القوة وأنه تعبير لم يوجد في الأسفار .

٣- والذي ينظر إلى ترجمات الكتاب المقدس يجد أنها تنكر هذا الثالوث ففي الترجمة الإنجليزية الحديثة المعروفة باسم " النسخة القياسية المراجعة " للكتاب المقدس والتي نشرت <sup>أول</sup> مرة عام ١٩٥٢م ثم توالت طباعتها فنقول ترجمتها الحرفية في اللغة العربية : " هذا هو الذي أتى بماء ودم يسوع المسيح لا بالماء فقط بل بالماء والدم " والروح هو الشاهد لأن الروح هو الحق " " يوجد ثلاثة شهود : الروح والماء والدم : وهؤلاء الثلاثة متفقون " .

(١) حقيقة التبشير بين الماضي والحاضر . أحمد عبد الوهاب ص ١٨  
(٢) سفر أعمال الرسل . الإصحاح الثاني فقرة : ٣٨ .

من ذلك يتبين بوضوح أن نص العدد سبعة في نسخة الملك جيمس الذي يتكلم عن شهود السماء " الأب والكلمة والروح القدس " ويقرر أن " الثلاثة " هم واحد إنما هو نص مزور ، أدخل ظلماً بين النصوص الأصلية واستمر يعطي الأسس الوحيدة لعقيدة التثليث عبر القرون إلى أن استيقظت الضمائر أخيراً فتم حذفه في محاولة متأخرة جداً لإصلاح ما فات بعد أن هلكت ملايين الملايين من البشر وهي تؤمن به نصاً مقدساً في كتابها المقدس " (١) .

٤- كذلك تتفق الترجمة الفرنسية الحديثة للكتاب المقدس (T.O.B) مع ما جاء في الترجمة الإنجيلية ومن خلال ما سبق يتبين بوضوح أن صيغة التثليث تمثل المفهوم الثاني الخاطي من مفاهيم التبشير . بل إننا أمام واحدة من أخطر عمليات التزوير في تاريخ العقائد على الإطلاق (٢) .

٥- إن الباحث في قضية التثليث يجد أن الرسل جميعاً وعظوا الناس بعقيدة التوحيد أي وحدانية الله ولم يقل أي رسول لا قبل عيسى ولا بعده بأن الله واحد في ثلاثة أو ثلاثة في واحد . كما لم يرد في التوراة التي يؤمن بها النصارى أي ذكر للتثليث ولم يرد في سائر أسفار العهد القديم التي يؤمن بها النصارى أيضاً أي تثليث. والعهد القديم يتحدث دائماً عن الله الواحد فكيف صار الله ثلاثة في واحد

فجأة (٣) .

(١) حقيقة التبشير بين الماضي والحاضر . أحمد عبد الوهاب . ص ١١٨ . ط الأولى ١٩٨١م

(٢) المصدر السابق ص ١١٨

(٣) حقيقة عيسى المسيح : د/ محمد علي الخولي . ص ٢٣ . ط الأولى .

٦- إن الأدلة العقلية والتوراتية بل والأدلة الإنجيلية تبين بوضوح بطلان التثليث فكيف يكون الله وعيسى وجبريل وهم ثلاثة لكل منهم ذاته المستقلة وطبيعة متميزة واحداً فهم ليسوا ثلاثة في واحد ولا واحد في ثلاثة !

بل إننا "في الواقع الذي لا مفر من التسليم به أمام واحدة من أخطر عمليات التزوير في تاريخ العقائد على الإطلاق . إن خطورتها تكمن في تزوير عقائد الناس التي تحدد مصائرهم الأبدية ..<sup>(١)</sup> . ولا يسعفنا في هذا المقام سوى ما ينبئنا به القرآن الكريم من أمر هؤلاء القوم في الدنيا والآخرة . يقول تعالى في وصف الفريق الذي استحفظ على كتاب الله فلم يحفظه .

﴿ وَإِنْ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْعُونُ السِّتْرَ مِنَ الْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدَ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾<sup>(٢)</sup> .

ويقول سبحانه ﴿ قَوْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدَ اللَّهِ لِيُشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً قَوْلٌ لَهُمْ مِمَّا كُتِبَتْ أَيْدِيهِمْ وَقَوْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ ﴾<sup>(٣)</sup> .

ويقول القرآن الكريم للذين ساروا على خطي هؤلاء وصدقوا تراثهم وعاشوا حياتهم يدافعون عنهم : ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا

(١) حقيقة التبشير بين الماضي والحاضر ص ١٩  
(٢) سورة آل عمران آية رقم : ٧٨ . (٣) سورة البقرة آية رقم : ٧٩ .

عن سواء السبيل» (١).

وصدق الله إذ يقول: ﴿يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين \* يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم﴾ (٢).

#### ثالثا : المسيحية دين المحبة الاولى :

بروج المبشرون وغيرهم أن المسيحية هي الديانة الوحيدة التي تدعو إلى المحبة ويعتمدون في دعوتهم على موعظة الجبل التي قالها المسيح من فوق الجبل وقال فيها :

" سمعت أنه قيل عين بعين وسن بسن . وأما أنا فأقول لكم : لا تقاوموا الشر بل من لطمك على خدك الأيمن فحول له الآخر أيضا . ومن أراد أن يخاصمك ويأخذ ثوبك فاترك له الرداء أيضا . ومن سخرك ميلا واحدا فاذهب معه اثنين . ومن سألك فأعطه . ومن أراد أن يقترض منك فلا ترد . سمعت أنه قيل تحب قريبك وتبغض عدوك . وأما أنا فأقول لكم : أحبوا أعداءكم باركوا لاعنيكم أحسنوا إلى مبغضيك " (٣).

#### التفنيد والرد :

١ - هذه الموعظة الأخلاقية الفاضلة لم تطبق يوما واحدا في

(١) سورة المائدة . آية رقم : ٧٧ .

(٢) سورة المائدة . آية رقم : ١٥-١٦ .

(٣) إنجيل متى الإصحاح الخامس . فقرة ٣٨ : ٤٠ .

تاريخ المسيحية لا بين المسيحيين أنفسهم ولا بين المسيحيين وغيرهم والحديث عن ما أحدثته الكنيسة من دمار وإذلال وما سببته من إراقة للدماء يعلمه القاصي والداني وما الحروب الصليبية والحروب الاستعمارية وما يحدث الآن للمسلمين في العراق السودان وفلسطين إلا نتاج التعاليم غير الأخلاقية .

٢- لقد أعرض المسيحيون عن الوصايا السابقة واتجهوا إلى تطبيق الأوامر التي توجب الأرض بالنار والتي تأمرهم بالقتل والإحراق والتدمير ومحو السلام من على الأرض فقد جاء في إنجيل متى "لا تظنوا أنني جئت لألقي سلاماً على الأرض ، ما جئت لألقي سلاماً بل سيفاً . فإني جئت لأفرق الإنسان ضد أبيه والابنة ضد أمها والكنة ضد حماتها . وأعداء الإنسان أهل بيته" (١) .

وجاء في إنجيل لوقا ما هو أسوأ من ذلك فقد جاء : " جئت لألقي نارا على الأرض فماذا أريد لو اضطرمت ولي صبيغة أصطبغها وكيف أنحصر حتى تكمل . أظننوني أنني جئت لأعطي سلاماً على الأرض . كلا أقول لكم . بل انقساما . لأنه يكون من الآن خمسة في بيت واحد منقسمين ثلاثة على اثنين واثنان على ثلاثة . ينقسم الأب على الابن والابن على الأب . والأم على البنت والبنت على الأم . والحماة على كنتها والكنة على حماتها " (٢) .

(١) إنجيل متى . الإصحاح العاشر . فقرة رقم : ٣٦ : ٣٤ .

(٢) إنجيل لوقا الإصحاح الثاني عشر . فقرة : ٤٩ : ٥٣ .

فهل في هذه الأوامر والتعاليم أي رحمة أو أي مكان للمحبة إن الإدعاء بأن المسيحية هي دين المحبة الأوحد رداء يستتر به رجال التبشير ورجال السياسة حين يقدمون المسيحية للناس .

إن المسيحية لا تؤمن إلا بالمسيحية حيث أنها تدعو إلى التفريق بين الأقارب والأحبة إذا عارضوا أي شيء من أمور الإيمان المقررة . يقول الإمام محمد عبده : " إذا خطر على قلب أحد خاطر سوء يرمى إلى معارضة شيء من أمور الإيمان المقررة وجب قطع الطريق على ذلك الخاطر ، ولم يجز في شأن صاحبه هوادة ولا مرحمة ، كما أفهمه المسيح بعمله ، على حسب ما ورد في الإنجيل ، فقد قيل له : " أمك وأخوتك واقفون خارجاً طالبين أن يكلموك . فاجاب وقال للقائل له : من هي أمي ومن هم أخوتي ؟ ثم مد يده نحو تلاميذه وقال : ها أمي وأخوتي " ونحو ذلك مما يدل على وجوب المقاطعة بين من يعتقد بالدين المسيحي ومن يحيد عن شيء من معتقده . و لا يخفي أن الشيء يكون بذرة ثم نباتاً ثم شجراً فانظر إلى ما صار أمر هذه البدايات بحكم الطبيعة <sup>(١)</sup> .

ولهذا دون التاريخ للمسيحية بحارا من الدماء وأكداً من رماد الذين أحرقوا مع يتم ودموع وأنين ووحشية وبربرية بعد أن أتيح لها السلطان لأن نبي الله عيسى قال بزعمهم : " أما أعدائي أولئك الذين لم يريدوا أن أملك عليهم فأتوا بهم إلى هنا واذبحوهم قدامي " <sup>(٢)</sup> .

(١) الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده . ج ٣ . ص ٢٨٣ . ط دار الشروق

(٢) إنجيل لوقا . الإصحاح السابع عشر . فقرة : ٢٧ .

بمثل هذا النص العجيب أباحت الكنيسة لنفسها أن تقتل من تشاء ،  
وأن تذيب من تشاء . فلماذا يصمت المبشرون وقادة الغرب عن مثل  
هذه النصوص التي توصل القسوة والبربرية والعدوانية في قلوب  
المسيحيين .

#### رابعاً : الإدعاء بأن المسيحية أنصفت المرأة :

يدعى المبشرون أن المسيحية أنصفت المرأة ووضعتها في  
الموضع اللائق ، وأن المرأة الغربية ترقى لأن دينها المسيحي  
ساعدها على نيل حريتها ولهذا يقول القس " إلياس مقار : " ليس  
للمرأة أن تتباهى وتفخر على الرجل كلما قرأت قصة الإنجيل ليس لها  
وهي توازن بينها وبين الرجل في علاقتهما بالمسيح أن تشيد ترنما  
لأنها عاملته معاملة أحسن وأنبل وأجل ؟! لقي المسيح من الرجال  
فصولاً متعددة ليس فيها ما يشرف الرجولة في شيء !! وجد منهم من  
تبعه قليلاً ثم ارتد عنه ، من أكل خبزه ثم رفع عقبه عليه ، من ضفر  
له إكليل الشوك وألبسه رداء السخرية ، ونقل عليه ومثل به أجل  
رأى المسيح من الرجال الهازئ والساخر ومنكر الجميل ، وحتى  
تلاميذه الأوفياء ابتعدوا عنه وولوا يوم الصلب . وأشجعهم أقسم أنه  
ما عرفه أو اتصل به أما المرأة فما أجملها وأنبلها وأرقها والطفها في  
معاملتها له : وهل تجد امرأة واحدة في كل الإنجيل امتننته أو احتقرته  
أو أساءت إليه ؟! كلا ، لقد وجد منهم كل ولاء وتوقير وتعبد ،  
وجد من دائماً أقرب إليه وإلى قلبه وفكره ومشاعره وإحساسه ، في



بيت سمعان الفريسي وجد من الرجل خشونته ومن المرأة تعديها ،  
وفي بيت سمعان الأبرص أبصر من التلاميذ غيظهم ومن مريم طيبتها  
، وأورشليم ، تلك المدينة الخالدة في مآساتها الأثمة الشريرة ، ألم  
نسمع رجالها يقولون أصليه ، بينما سارت بناتها وراءه حزينات  
باكيات يلطمن وينحن عليه <sup>(١)</sup> فهل فعلاً هذا هو وضع المرأة في  
المسيحية كما ذكر القس إلياس مقار أم أنها غير ذلك ؟

الرد والتفنيد :

الذي يمعن النظر في المسيحية يجد الوضع المهين للمرأة  
فالمسيحية هي الديانة الوحيدة التي لها كتابان هما : العهد القديم والعهد  
الجديد ، ، وما يثبت في حق حواء يثبت في حق بناتها ، وخطيئة حواء  
هي من الثوابت في العقيدة اليهودية والمسيحية ولكي يكون الشاهد  
على إدعاء المبشرين من أنفسهم فسوف نورد آراء آباء الكنيسة عن  
المرأة حيث جاء في كتاب " الآباء والكنيسة " : " ونحن نعرف أن آدم  
لم يخطئ قبل خلق المرأة بل بعد خلقها ، فكانت هي أول من عصى  
الأمر الإلهي ، بل إنها دفعت أيضاً زوجها معها لارتكاب الخطيئة ،  
لذلك بدت بأنها كانت المحفزة له لارتكاب الذنب ، فإذا كانت المرأة  
في الواقع هي مرتكبة الذنب ، فكيف يكون خلقها حسناً ؟ " فهذا النص  
يثبت أن المرأة هي أساس المعصية في الحياة وأن أخلاقها غير حسنة  
لأنها دفعت آدم إلى ارتكاب المعصية ويؤكد هذه النظرية

(١) القس إلياس مقار : نساء الكتاب المقدس ص ٢٦٣ .

"فترنليانوس" فيقول: "إن دينونة الله على هذا الجنس ما زالت منصبة حتى عصرنا هذا ، فالذنب ما يزال قائماً - وأن النساء بوابة الشيطان - وهن أول من أكل من الشجرة ، وهن أو من عصى الناموس الإلهي" (١).

ويقول "أمبروز" عن المرأة: "إن حواء نفسها اعترفت بغلطتها فقد صدر ضدها حكم مخفف لإدانة خطتها وهو حكم لا يحول دون الغفران ، وكان القصد منه أن تكرر نفسها لزوجها لكي تخدمه ، وجاء في الموسوعة اليهودية أن المرأة تلعب دوراً أساسياً في تقديم العصيان في جنة عدن ، وتصل الكراهية للمرأة إلى ذروتها في وصفها بأنها الغاوية الشريرة التي تبحث عن غواية الشباب البريء . وفي كتاب الصلوات الرسمي هذا الدعاء: "بوركت يا إلهي يا من لم تخلقني امرأة : ولهذا وصفها آباء الكنيسة بأنها: "إيريق ملئ بالقاذورات وفمها ملئ بالدم ، ومع ذلك يجزي وراءها الجميع" وأنها مصدر الغواية والإغراء" (٢).

لقد تأثرت المسيحية بما جاء في العهد القديم في أن المرأة صاحبة أول خطأ وقع في تاريخ البشرية ، لأنها تناولت من الشجرة المحرمة فأكلت منها ثم أطعمت زوجها ، ولذلك يعتبر بولس أن المرأة خدعت الرجل وسببت الهلاك للبشرية كلها فيقول: "لأن آدم خلق أولاً ثم حواء . ولم يكن آدم هو الذي انخدع بل

(١) المرأة في اليهودية والمسيحية والإسلام تأليف: زكي السيد أبو غضة، ص ٧٧  
(٢) المصدر السابق . ص ٢٤ .

المرأة اتخذت فوقعت في المعصية" (١).

ومن ثم فالمرأة لا تتساوى مع الرجل في الكرامة بل يجب عليها أن تخضع للرجل كخضوعها لله أي خضوع التقديس والإذلال فيقول بولس: "أيها الزوجات أخضعن لأزواجهن كما للرب . فإن الزوج هو رأس الزوجة كما أن المسيح أيضا هو رأس الكنيسة ... فكما أن الكنيسة قد أخضعت للمسيح ، فكذلك الزوجات أيضا لأزواجهن في كل شئ" (٢).

ويؤكد ذلك في مكان آخر فيقول: "تحفظن التعاليم كما سلمتها إليكم . ولكن أريد أن تعلموا أن رأس كل رجل هو المسيح وأما رأس المرأة فهو الرجل ورأس المسيح هو الله" (٣).

ومعنى هذا أن تخضع المرأة للرجل خضوع إذلال وتقديس لأن رأس كل رجل هو المسيح ، ورأس المسيح هو الله ، وهذه الإهانة يوصي بها بطرس فيقول: "أيها الزوجات اخضعن لأزواجهن ، حتى وإن كان الزوج غير مؤمن بالكلمة" (٤) ولا يجوز للمرأة أن تتكلم في داخل الكنيسة حتى لو كان بسبب طلب العلم فيقول "لتصمت نساؤكم في الكنائس لأنه ليس مآذونا لهن أن يتكلمن بل يخضعن كما يقول الناموس أيضا . ولكن إن كن يردنا أن يتعلمن شيئا فليسالن

رجالهن في البيت لأنه قبيح بالنساء أن تتكلم في الكنيسة" (٥).

(١) رسالة بولس إلى تيموثاوس . الإصحاح الثاني . فقرة: ١٤: ١٣.

(٢) رسالة بولس لأهل أفسس . الإصحاح الخامس . فقرة ٢٤: ٢٢.

(٣) رسالة بولس إلى أهل كورنثوس الإصحاح الحادي عشر . فقرة: ٣.

(٤) رسالة بطرس الأولى . الإصحاح الثالث . فقرة: ١: ٢ .

(٥) رسالة بولس إلى أهل كورنثوس . الإصحاح الرابع عشر . فقرة: ٣٤: ٣٥.

ويضرب المثل للنساء بالطاعة فيقول عن نساء العهد القديم :  
فكانت الواحدة منهن فتكل على الله وتخضع لزوجها . فسارة مثلاً  
كانت تطيع زوجها إبراهيم وتدعوه سيدي "  
ويقول أمبروز شارحاً ذلك : " لأن حواء نفسها اعترفت بغلطتها  
فقد صدر ضدها حكم مخفف لإدانة خطئها ، وهو حكم لا يحول دون  
العفوان ، وكان القصد منه : أن تكرر نفسها لزوجها لكي تخدمه ،  
وهناك سببان لذلك : أولهما : حتى لا تسر بارتكاب الذنب . وثانيهما :  
: أنه بعد أن وضعت تحت سيطرة الإناء الأقوى لا تعرض زوجها  
للإذراء ، بل بالأحرى تمتثل لنصائحه <sup>(١)</sup> .

إن المرأة في اليهودية والمسيحية عندما تقبل على الزواج لابد أن  
يرادها اليأس والذل الذي ستؤول إليه فهي بمجرد أن تتزوج تفقد ما  
ليدها من كرامة وتتحول إلى أمة مملوكة لهذا الزوج ، فلا يحق لها  
الاعتراض والامتناع عن تنفيذ أوامره بل الأدهى من ذلك أن المهر  
الذي يعتبر ركناً من أركان الزواج يجعل المرأة في اليهودية –  
وبالتبعية في المسيحية – معروضة للبيع يشترها الرجل من أبيها  
لتصبح زوجة بل أمة له ، لا تستطيع الخلاص منه أبداً ، وعليها  
كزوجة القيام بجميع أعمال المنزل من طحن للحبوب وخبز وغسل  
ملابس وطبخ وغزل وتخييط الثياب ... إلخ <sup>(٢)</sup> .

(١) الآباء والمرأة . تأليف : إليزابيث . أكلارك . ص ٣٦ .

(٢) اليهودية . للدكتور : أحمد شلبي . ص ٣٠٩ – ٣١٠ .

فهل بعد هذه الإهانة يحق للمبشرين والمنصرين أن يتحدثوا عن  
أي تكريم للمرأة؟ وهل يحق لهم الإدعاء بأن المسيحية أنصفت المرأة؟  
وهل يحق لتلاميذ المبشرين من دعاة التغريب الإدعاء بأن الإسلام  
ظلم المرأة .

#### خامساً : إدعاء المبشرين بأن القرآن صدقهم :

للمبشرين حيل كثيرة لتشكيك المسلمين في دينهم لتسهيل عملية  
التنصير في الدول الإسلامية من هذه الحيل الإدعاء بأن القرآن الكريم  
قد صدقهم ، لأنهم مقتبس من التوراة والإنجيل فيقول شيخ المنصرين  
القسيس "فندر" في كتابه "ميزان الحق" : " إن القرآن يقرر قطعياً  
أن هذه الأسفار موحى بها من الله ، وأنه يسمى الكتاب المقدس كتاب  
الله وكلام الله والفرقان والذكر ونورا وهدى ورحمة <sup>(١)</sup> .

بل إنه يصرح في آيات كثيرة على صحة العقائد المسيحية وأن  
اليهود والنصارى أهل كتاب مثل قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ  
لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتُرُونَ  
بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ  
الْحِسَابِ ﴾ <sup>(٢)</sup> وقوله تعالى : ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ  
تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ  
مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ طَعْنًا أَفْكَرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ <sup>(٣)</sup>

(١) أدلة اليقين في الرد على كتاب ميزان الحق .. للعلامة عبد الرحمن الجزيري . ص ١٣ ط  
الأولى ١٩٣٤م

(٢) سورة آل عمران . آية رقم ١٩٩ .

(٣) سورة المائدة . آية رقم ٦٨ .

وقوله تعالى : ﴿ فَإِنْ كُنْتَ فِي شكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴾ <sup>(١)</sup> وقوله تعالى : ﴿ وَقَفَيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بَعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الثَّوْرَةِ وَأَتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَثُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الثَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ <sup>(٢)</sup>

بل يدعى أن القرآن الكريم يخبر بأن من لا يقبل هذه الكتب ولم يؤمن بها سوف يعاقب في الآخرة عقاباً شديداً <sup>(٣)</sup> كما في سورة غافر : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدًى وَأَوْزَنَّا بَنِي إِسْرَآئِيلَ الْكِتَابَ \* هُدًى وَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ <sup>(٤)</sup> وقوله تعالى ﴿ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ \* إِذِ الْأَغْطَالُ فِي أَغْنَاقِهِمْ وَالسَّاسِيلُ يُمْسِكُهُمْ \* فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ﴾ <sup>(٥)</sup>

**الرد على هذا الإدعاء :**

**أولاً :** إن الآيات التي استدلت بها القسيس "فندر" في كتابه ميزان الحق على تسمية اليهود والنصارى أهل كتاب فإن هذا حق لم ينكره أحد بأنهم أهل كتاب وإن غيروا وبدلوا وحرفوا والقرآن الكريم يسميهم هذه التسمية باعتباره أنهم منتسبون إلى موسى وعيسى .

وأما معنى قوله تعالى : ﴿ فَإِنْ كُنْتَ فِي شكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ ... ﴾

(١) سورة يونس . آية رقم : ٩٤ .

(٢) سورة المائدة . آية رقم : ٤٦ .

(٣) كتاب ميزان الحق للقسيس "فندر" ص ٤٥ .

(٤) سورة غافر . آية رقم : ٥٣ - ٥٤ .

(٥) سورة غافر . آية رقم : ٧٠ : ٧٢ .

فبداية الكلام كان مع بني إسرائيل الذين أنعم الله عليهم بنعم كثيرة ولكنهم جحدوها وخالفوا أوامر الله ، وخالفوا ما بينه الله لهم عن رسول الله محمد (ﷺ) حيث كانوا يعرفونه كما يعرفون أبناهم ، وكانوا يخبرون به مشركوا العرب ويقولون أنه سيظهر نبي هذا الزمن ومعه القرآن ، وأننا سنتبعه وننتصر به عليكم فلما جاءهم الرسول الذي يعلمونه من قبل كفروا به قال تعالى : ﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ (١) .

أما معنى قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ ..... ﴾ فهي لا تدل على ما أراد أن يستدل به القديس فقد استدل بهذه الآية على صحة التوراة والإنجيل الموجودين الآن لأن من لم يؤمن بهما على حالهما لا بد أن يعاقب عقاباً شديداً . ونحن نقول له لا يا حضرة القس ليس الأمر كما فهمت وما كان ينبغي لك أن تفهم مثل هذا الفهم لتستدل به على غرض من الأغراض لأن المعنى الصريح للآية أن الله سبحانه يخبر نبيه أنه أنزل إلى موسى كتاباً فيه هدى وذكرنا لبني إسرائيل فمنهم من آمن ، ومنهم من كذب ، ثم قال تعالى : أن المكذبين بالكتب التي أنزلناها إلى الرسل وأخبرناك بها في القرآن . لهم عذاب اليم ، لأن التكذيب بها يكون

(١) سورة البقرة . آية رقم ٨٩ .

تكذيباً للقرآن حتماً ولا يعقل أن يأمر القرآن بتصديق الأحكام التي قرر  
نفيها صريحاً فحينئذ يكون معنى الآية البديهي الحث على التصديق  
بكل ما جاء به القرآن من الأخبار عن الكتب والرسل المقررة فيه<sup>(١)</sup> .  
**ثانياً :** الذي ينظر إلى كتاب ميزان الحق الذي ألفه رئيس  
المبشرين يجد فيه أدلة كثيرة على تحريف الإنجيل وتبديله فقد قال في  
ص ١١٠ : " الوحي عند المسيحيين هو عبارة عن الإلهام فإله يترك  
الحرية للأنبياء ليستخدموا أرواحهم وذكائهم وأذهانهم وذاكرتهم فيما  
يكتبونه فيكون وحياً " .

فهذا اعتراف صريح بأن الموجود في الأنجيل ليس هو كلام الله  
المنزل على موسى وعيسى عليهما السلام طالما أن الله ترك للأنبياء  
أن يستخدموا ذكائهم وأذهانهم وذاكرتهم فيما يكتبونه، وهذا يدل على  
الزيادة والنقصان والتحريف والتغيير ، لأن كلام الله المنزل على  
رسله ينقلونه إلى أقوامهم بلفظه ومعناه ، ولذا فكلام الله المنزل على  
رسوله محمد ( ﷺ ) جاء به أمين الوحي جبريل بلفظه ومعناه وليس  
للمرسول أن يزيد فيه أو ينقص منه شيئاً كما قال تعالى : ﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ  
عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقْوَامِ \* لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ \* ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴾<sup>(٢)</sup>

**ثالثاً :** يكشف القسيس "فنذر" عورة ما لديه فيقول في ص ٩١ "  
لأن قصد المسيح من دوام كلامه وكلام العهدين بقاء معانيهما لا  
ألفاظهما إذ ليس عالم بأصول اللغة يجهل أن المعنى هو المراد لا

(١) أدلة اليقين في الرد على كتاب ميزان الحق . ص ٥٠ .  
(٢) سورة الحاقة . آية رقم : ٤٤-٤٦ .



الألفاظ التي هي آلة التعبير " .

ويرد عليه العلامة / عبد الرحمن الجزيري بقوله هذا الاعتراف  
يقرر بصريح العبارة أن التوراة والإنجيل لا يصح أن يقال عنهما  
أنهما كلام الله لأن كلام الله هو اللفظ المنزل على الرسول الدال على  
المعنى بدون زيادة ولا نقص ، فإذا تغير اللفظ وبقي المعنى ثم جاء  
شخص وعبر عن المعنى بعبارة من عنده كان ذلك الكلام منسوباً إليه  
حتماً فلا يصح في هذه الحالة أن يقال له كلام الله ، لأنه حينئذ يكون  
قابلاً للزيادة والنقص والمحو والإثبات والخطأ والثواب ، وذلك هو  
الواقع فعلاً في أناجيلهم . فإنها مع كونها كقصة صغيرة محدودة  
أتواها في أشهر مواضعها مختلفة كل الاختلاف كقصة صلب  
المسيح وذكر نسبه وأسماء تلاميذه .. فالتوراة والإنجيل على هذا  
الاعتراف روايات أحادية لا سند لهما .<sup>(١)</sup>

رابعاً : يعترف عمدة المنصرين دون أن يدري أن الإنجيل الذي  
نزل على عيسى لم يحفظ ولم يكتب وأن عيسى عليه السلام- لم يكتبه  
ولم يأمر بكتابته فيقول في ص ١٠٩ ما نصه : " المسيح لم يمل  
الأنجيل في حياته ولم يكتبها ولم يأمر بكتابتها ولكن أمر أن يكرزوا  
بها ليوضح الأساس على شهادة قوم أحياء معاصرين له شهادة  
شفوية " .

(١) أدلة اليقين في الرد على كتاب ميزان الحق وغيره من مطامع المبشرين المسيحيين في  
الإسلام : تأليف / عبد الرحمن الجزيري ص ٦٠ .

فهذا الكلام يدل دلالة قاطعة على أن المسيح لم يأمر بكتابة الإنجيل في عهده ، ولم يمله على أحد ، ومن ثم فلا يوجد أي دليل يدل على أنه كان يأمر بحفظه ، أو أنه كان يتعبد بتلاوته .

بل العكس من ذلك هو الحاصل فيولس هو أول الكتاب بشهادة القسيس "فندر" <sup>(١)</sup> حيث يقول بعد ٢٢ سنة أو ٢٣ سنة جاء بولس وكتب رسالتين من الإنجيل إلى أهل سالونيكى <sup>(٢)</sup> .

فهل كلام بولس يعد بأنه كلام عيسى ، فيولس يقول مثلاً " فإننا لم نكن قط في كلام تملق كما تعملون ولا في علة طمع . الله شاهد . ولا طلبنا مجداً من الناس لا منكم ولا من غيركم مع أننا قادرون أن نكون في وقار كرسل المسيح بل كنا مترققين في وسطكم كما تربي المرضعة أولادها هكذا إذ كنا حائنين إليكم كنا نرضى أن نعطيكم لا إنجيل الله فقط بل أنفسنا أيضاً لأنكم صرتم محبوبين إلينا فإنكم تذكرون أيها الأخوة تعبنا وكنا إذ كنا نكرز لكم بإنجيل الله .. إلخ " .

فأي عاقل يقول إن هذا الكلام نزل على عيسى مع أن بولس هو المتحدث وهو يتحدث مع أهل سالونيك عن نفسه ويخبرهم بأنه تعبنا مكدود ؟ أي عاقل يتصور أن هذا الكلام الذي يتحدث به بولس عن نفسه هو كلام الله الذي أنزله إلى عيسى عليه السلام .

بل الأعجب من ذلك ما قاله القسيس "فندر" أن صلب العقيدة المسيحية وهي واقعة صلب المسيح – كما يعتقد النصارى – وموته

(١) انظر المصدر السابق . ص ٦٣ .

(٢) رسالة بولس الأولى إلى أهل سالونيكى . الإصحاح الثاني فترة: ٥ : ٩ .

ودفنه وقيامته وصعوده لم يدون منها التلاميذ شيئاً إلا من بعد صعوده" هكذا يقول القسيس ، فهل هذه الواقعة هي من الإنجيل الذي أنزل إلى عيسى وهو حي أم هو تأليف آخرين غير عيسى .

لاشك في أن ذلك من عجائب نزغات العقول الإنسانية <sup>(١)</sup> . لأن عيسى لا يمكن أن يحدثهم وقائع الصلب والأحداث التي حدثت بعد ذلك - حسب اعتقاد النصارى - من دفنه وقيامته وصعوده . بل الأعجب من ذلك أن الأناجيل تبين أن المسيح لم يقبض عليه لأن اليهود حاولوا الإمساك به أكثر من ثلاث مرات ، ولكنهم لم يستطيعوا ، وكان يرفع أمامهم وهم ينظرون !!

**خامساً :** أن علماء المسيحية أنفسهم رفضوا نسبة هذه الأناجيل إلى المسيح أو إلى أقواله وأنها ليست أكثر من تراث شفهي كان يتناقل بين الأجيال بالزيادة والنقصان فيقول : "موريس بوكاي" : "يخطئ من يعتقد أن الأناجيل شكلت ، بمجرد تحريرها ، الكتب المقدسة الأساسية للمسيحية .. لقد كانت السلطة السائدة في ذلك الوقت للتراث الشفهي الذي كان ينقل أقوال المسيح وتعاليم الحواريين <sup>(٢)</sup> .

**سادساً :** يوضح موريس "بوكاي" أن بولس اليهودي هو الذي خرب المسيحية ، وأن كتاباته تعتبر هي المصدر الأصلي للأناجيل المتداولة فيقول : " لا تشير أولى كتابات العصر المسيحي إلى الأناجيل إلا بعد مؤلفات بولس بفترة طويلة جداً " .

(١) المصدر السابق ص ٧١ .

(٢) القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم تأليف /موريس بوكاي/ ص ٤٨ - ط دار المعارف

فالشهادات المتعلقة بوجود مجموعة من الكتابات الإنجيلية تظهر فقط في منتصف القرن الثاني وبالتحديد بعد عام ١٤٠م ، ذلك على حين أن هناك كثيراً من الكتاب المسيحيين يوحون بوضوح منذ بداية القرن الثاني بأنهم يعرفون عدداً كبيراً من رسائل بولس <sup>(١)</sup> .

**سابعاً :** يذكر "موريس بوكاي" عن الترجمة المسكونية للعهد الجديد المنشورة عام ١٩٧٢م والتي شارك في ترجمتها وتفسيرها أكثر من مئة مفسر للعهد الجديد من الكاثوليك والبروتستانت أن الأناجيل لم تكتب في زمن عيسى ولا بعد وفاته مباشرة ، بل لم تدون في القرن الأول من الميلاد بأنه قال : " إن الأناجيل التي أصبحت رسمية فيما بعد ، أي كنيسية ، لم تعرف إلا في عصر متأخر برغم أن تحريرها كان قد تم في بداية القرن الثاني .

ثم يقول وحسب الترجمة المسكونية ، فقد بدأ ذكر الروايات التي تنتمي إلى هذه الأناجيل في نحو منتصف القرن الثاني . ولكن " يكاد يكون عسيراً التقرير بما إذا كانت هذه الاستشهادات قد تمت بعد الرجوع إلى النصوص المكتوبة التي كانت تحت يد الكتاب أو أنهم قد اكتفوا بذكر أجزاء من التراث الشفهي اعتماداً على الذاكرة " <sup>(٢)</sup>

**ثامناً :** ينقل "موريس بوكاي" عن "أوكولمان" صاحب كتاب العهد الجديد : أن الأناجيل الأربعة ظلت تراثاً شفهيّاً مدة طويلة وقد نسج حولها الكثير من الروايات الباطلة والأقوال الكاذبة .

(١) المصدر السابق ص ٧٥ .

(٢) المصدر السابق ص ٧٥ .

فيقول " أو كولمان " : " إن المبشرين لم يكونوا إلا متحدّثين باسم الجماعة المسيحية الأولى التي ثبتت التراث الشفهي . فقد بقى الإنجيل طيلة ثلاثين أو أربعين سنة في شكله الشفهي فقط أو بالكاد ، ولكن التراث الشفهي قد نقل أساساً أقوالاً وروايات منعزلة . وقد نسج المبشرون - كل على طريقته وبحسب شخصيته الخاصة واهتماماته اللاهوتية الخاصة - الروابط بين هذه الروايات والأقوال التي تلقوها من التراث السائد . ويستأنف أو كولمان فيقول : " ويجب ملاحظة أن احتياجات التبشير والتعليم والممارسة الدينية هي التي دعت الجماعة الأولى إلى تثبيت هذا التراث عن حياة المسيح بأكثر من اهتمامها بتسجيل حياة المسيح " (١) .

**تاسعاً :** توضح الترجمة المسكونية للعهد الجديد أن الأناجيل كتبت حسب الأهواء وتلبية الرغبات فنقول : " الأناجيل إذن نصوص تتكيف مع مختلف الأوساط ، وتستجيب لاحتياجات الكنائس ، وتعبّر عن فكر ما عن الكتاب المقدس ، وتعديل من الأخطاء بل ترد بهذا على حجج الخصوم .

وبهذا جمع المبشرون ، وحرروا كل حسب وجهة نظره الخاصة ما أعطاهم إياه التراث الشفهي .

**عاشراً :** يتوصل المعلقون على الترجمة المسكونية إلى نتيجة مهمة تدل على الاختراق اليهودي لإنجيل متى فيقولون :

(١) المصدر السابق ص ٧٧ .

" أن إنجيل متى امتداد للعهد القديم بشكل ما فقد كتب ليثبت أن المسيح يكمل تاريخ إسرائيل . ثم يبينون : أن كاتب إنجيل متى رجل يهودي وأنه قد كتب بسوريا ، وربما بأنطاكية أو بفينيقيا . ففي هذه المناطق كان يعيش عدد كبير من اليهود ... وأن الكاتب معروف بمهنته ، وأنه متبحر في الكتب المقدسة والتراث اليهودي ، وأنه يعرف ويحترم رؤساء شيعة اليهود ، وإن أغلظ في خطابه لهم .<sup>(١)</sup> وأن كاتب الإنجيل المسمى باسم متى لم يكن من تلاميذ المسيح ، وأنه يأتي بأمور كثيرة غير عقلية يستحيل تصديقها . فيذكر الأب "كانينجر" : " إن إنجيل متى عندما تحدث عن قيامة المسيح فقد جاء بأشياء غير عقلية في الإصحاح السابع والعشرين جاء " أن الأرض تزلزلت ، والصخور تشققت ، والقبور تفتحت وقام كثير من أجساد القديسين الراقدين وخرجوا من القبور بعد قيامتهم ودخلوا المدينة المقدسة وظهروا للكثيرين " .<sup>(٢)</sup> ويعقب "كانينجر" على هذا النص بقوله : " ليس لهذه الفقرة من إنجيل متى مثيل في الأناجيل الأخرى ولا نرى كيف استطاعت أجساد القديسين المعنيين أن تقوم عند موت المسيح وألا تخرج من قبورها إلا بعد قيامة عيسى .

وربما كان إنجيل متى هو الذي يحتوى على هذا القول الذي يتميز بعدم معقولية لا جدال فيها من بين كل الأقوال التي وضعها كتابها على لسان المسيح نفسه . يسرد متى حادثة آية يونس عندما قال

(١) المصدر السابق . ص ٨١ .

(٢) القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم : موريس بوكاي . ص ٨٢ . طدار المعارف

الفريسيون له يا معلم نريد منك آية . فأجابهم المسيح : " جيل شرير وفاسق يطلب آية ! ولا يعطى له آية أخرى إلا آية يونس النبي . لأنه كما كان يونس في بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال هكذا يكون ابن الإنسان في قلب الأرض ثلاثة أيام وثلاث ليال " .

المسيح يعلن أنه سيظل ببطن الأرض ثلاثة أيام وثلاث ليال . ولكن متى ، ومعه لوقا ومرقس ، يحددون موت ودفن المسيح بما قبل السبت بيوم وهذا بالتأكيد يجعل المكوث بالأرض ثلاثة أيام ( Tries emeras اليوناني ) ولكن هذه الفترة الزمنية لا يمكن أن تحتوي إلا على ليلتين وليس ثلاث ليال " (١) .

إن إنجيل متى الذي يحتوي على أشياء كثيرة تتميز بعدم المعقولية " هو وقبل كل شيء إنجيل طائفة يهودية مسيحية أي مخالفة لليهودية مع الاحتفاظ بخط العهد القديم " (٢) .

#### إنجيل مرقس :

إنجيل مرقس هو الإنجيل الثاني في ترتيب الأناجيل فهو لم يكن من تلاميذ المسيح ولم يسمع المسيح على الإطلاق يقول " لينهام " : " لم يوجد أحد بهذا الاسم عرف أنه كان على صلة وثيقة وعلاقة خاصة ببسوع أو كانت له شهرة خاصة في الكنيسة الأولى " (٣) . ويوضح قاموس الكتاب المقدس أن مرقس كان مفسراً ليولس

(١) المصدر السابق ص ٨٣ .

(٢) المصدر السابق ص ٨٤ .

(٣) تزوير المقدس ، للدكتور / عبد الودود شلبي ، ص ٧٨ طدار الشروق .

وبطرس حيث أنه تتلمذ على أيديهما فيقول: "إن مرقس قد كان مفسراً لبطرس و مترجماً لأرائه ، سجل جميع الأشياء التي تذكرها من أقوال المسيح وأعماله وذلك لأنه لم يسمع الرب ولا كان من أتباعه ولكنه اتبع بطرس فيما بعد <sup>(١)</sup> .

فهذا الكلام يدل دلالة قاطعة على أن إنجيل مرقس هو عبارة عن ذكريات تذكرها بطرس ، وترجمها مرقس ، فهل هذا يعد من الوحي الإلهي ؟ وهل يعد إنجيل مرقس على هذا الاعتبار من كلام المسيح وهو لم يسمعه ولم يكن من أتباعه ، ولم يأخذ نسخة مكتوبة من بطرس الذي تتلمذ على يديه .

يقول الأستاذ / عباس العقاد : " تتفق الآراء على أن نسختين من الأناجيل ، كتبهما مسيحيان لم يجتمعا بالسيد المسيح ، ولم يسمعا منه ، هما نسخة مرقس التي - يقال - إنه دون فيها ما سمعه من بطرس الرسول بغير ترتيب وعلى غير قصد منه أن تجمع في كتاب وقد كتبها في رومه بعد مقتل الرسول ، وليس معه وليس معه أحد من التلاميذ ... ونسخة لوقا " <sup>(٢)</sup> .

بل إن الكثير من العلماء يختلفون في تحديد شخصية مرقس فالبعض يعتبر أنه يوحنا مرقس المذكور في أعمال الرسل ، وأنه مرقس المذكور في رسائل بولس ، أو أنه الذي جاء اسمه في رسالة بطرس الأولى .

(١) قاموس الكتاب المقدس بتأليف/نخبة من الأساتذة ذوي الاختصاص ص ٨٥٤ ط دار الثقافة  
(٢) عقيدة المسيح للأستاذ /عباس محمود العقاد. ص ١٦٨ . المكتبة العصرية لبنان .



ومن ثم لا يستطيع أحد أن يعرف بالضبط من هو مرقس كاتب الإنجيل ، ومتى كتبه <sup>(١)</sup> .

يوضح قاموس الكتاب المقدس أن ما كتبه مرقس ليس من إملاء بطرس ، ولم يأمره بكتابته ، ولم يطلب منه وإنما كتب مضمون ما نادى به بطرس فيقول : " بعد أن نادى بطرس وبولس بالإنجيل في رومه وبعد انتقالهما أو خروجهما سلم لنا مرقس كتابة مضمون ما نادى به بطرس <sup>(٢)</sup> .

ومن ثم فهذا الإنجيل ليست له صلة بالمسيح ، ولا يصح الاعتماد عليه ، ولا يحق لمبشرين أن يعتمدوا عليه في تنصيرهم ، لأنه باعتراف علمائهم مبني على الصلة بالمسيح .

#### إنجيل لوقا :

هو الإنجيل الثالث في ترتيب الأناجيل في العهد القديم وهو كسابقه لم يكن من تلاميذ المسيح ولم يراه ، يقول الدكتور / عبد الودود شلبي : " إن لوقا يعترف بأنه لم ير المسيح ولم يكن من تلاميذه . ويرجع العلماء كما يقول الدكتور / فريدريك كلفتن جرانث في كتابه ص ١٢١-١٢٨ أن يكون لوقا قد أصدر إنجيله حوالي ٨٠ أو ٨٥ م وبعد ذلك بحوالي عشر سنوات ذيل كتابه برسالة ثانية هي ( أعمال الرسل ) ونشره حوالي ٩٥ م <sup>(٣)</sup> .

(١) المسيح في المصادر المسيحية . تأليف / أحمد عبد الوهاب . ص ٥٣ .

(٢) قاموس الكتاب المقدس . ص ٨٥٥ .

(٣) التزوير المقدس . د/ عبد الودود شلبي . ص ٧٩ .

ويبين العلماء أن لوقا كان رجلاً وثيقاً بالمشيحية صاحب  
بولس وتأثر به وكتب الإنجيل المنسوب إليه وسفر أعمال الرسل  
بتأثير من بولس .

#### إنجيل يوحنا :

هو الإنجيل الرابع في ترتيب الأناجيل ، كتب إنجيله بعد زملاءه  
الثلاثة بأكثر من عشرين سنة ، وبعد أن تجسدت فكرة تجسيد المسيح  
وصليه يقول إبراهيم لوقا : " أما يوحنا فقد كتب بشاراته ، بعد زملاءه  
الثلاثة بعشرين أو ثلاثين سنة ، بعد أن كان اليقين بتجسيد المسيح قد  
رسخ في أفكار المؤمنين وزال الخوف من أن يترزع فخص في  
كتابات المتأخرة أهل الإيمان جميعاً " (١) .

ومع هذا فإن معظم علماء المشيحية المنصفين يؤكدون أن يوحنا  
هذا ليس يوحنا بن زبدي أحد التلاميذ الاثني عشر . يوضح "جون  
مارش " في مقدمته لتفسير إنجيل يوحنا ص ٢٠ أن يوحنا مؤلف  
الإنجيل غير معروف ، ومصادره غير معلومة ، ومتى كتب مصنفه  
فيقول : " من كان هذا اليوحنا الذي قيل إنه المؤلف ؟ أين عاش ؟ أي  
المصادر كان يعتمد عليها ؟ متى كتب مصنفه ؟ حول كل هذه الأسئلة  
وحول كثير غيرها توجد " أحكام متباينة " . ثم يقول في ص ٨١ :  
" من المحتمل أنه خلال السنوات العشر الأخيرة من القرن الأول  
الميلادي قام شخص يدعى يوحنا من الممكن أن يكون يوحنا مرقس

(١) المشيحية في الإسلام . إبراهيم لوقا . ص ٤٥ . مطبعة النيل المشيحية . ١٩٣٨ م .

خلافاً لما هو شائع منه أنه يوحنا بن زبدي أحد التلاميذ الاثني عشر  
- وقد تجمعت لديه معلومات وفيرة عن يسوع . ومن المحتمل أنه كان  
على دراية بواحد أو أكثر من الأناجيل المتشابهة متى ومرقس ولوقا  
- فقام عندئذ بتسجيل شكل جديد لقصة يسوع " (١) .  
والخلاصة أن هذه الأناجيل الأربعة وغيرها مشكوك في صحتها  
ونسبها إلى نبي الله عيسى عليه السلام .

---

(١) التزوير المقدس . للدكتور / عبد الودود شلبي . ص ٧٩ - ٨٠



## **الفصل الخامس**

### **الأهداف التبحيرية**



### **الفصل الخامس: الأهداف التبشيرية**

من المعلوم أنفاً أن الغرب قد جرد العديد من حملاته الصليبية نحو الشرق الإسلامي في محاولة منه للقضاء على الإسلام الذي كان ولا يزال يمثل للغرب مارداً يقضى مضجعه ويقلق راحته ، ورغم تعدد هذه الحملات التي رفعت الصليب شعاراً لها يملؤها الحقد على الإسلام والحق على أهله ، إلا أن هذه الحملات الصليبية باءت بالفشل الذريع بل إنها وحدت صف المسلمين وحركت في نفوسهم فاعلية العقيدة والغيرة على الدين ، وكان للعقيدة الإسلامية الراسخة لدى المسلمين أكبر الأثر في صد العدوان تلك العقيدة التي كانت تحرك النفوس نحو الشهادة في سبيل الله ، وبذل النفس والنفيس في الدفاع عنها وحمايتها ولهذا ، اصطدام الغرب في حملاته بهذه العقيدة الراسخة ، و علم أن لا مناص من تغيير السلاح إذا ما أراد أن يحقق مآربه المشبوهة ورغباته المسمومة من القضاء على الإسلام والسيطرة على شعوبه ونهب خيرات بلاد المسلمين ، وهذا ما فكر فيه أحد قادة هذه الحملات الصليبية وهو « لويس التاسع » ملك فرنسا وقائد الحملة الصليبية السابعة حيث « يقول المؤرخ » جان دي جوانفيل « أحد رفاق » لويس « في حملته هذه » إن خلوته - يقصد لويس التاسع - في معتقله بالمنصورة أتاحت له فرصة هادئة ليفكر بعمق في السياسة التي كان أجدر بالغرب أن يتبعها إزاء المسلمين ، وقد انتهى به التفكير إلى تلك الآراء

و المآخذ التي أفضى بها لأعدائه المخلصين أثناء رحلته إلى عكا مقلعاً إليها  
من دمياط « (١) » .

و كان من بين هذه الآراء التي أوحى بها « لويس » لأعدائه « تحويل  
الحملات الصليبية العسكرية إلى حملات صليبية سلمية تستهدف الغرض  
نفسه ، لا فرق بين النوعين إلا من حيث نوع السلاح المستخدم في المعركة ،  
و تجنيد المبشرين الغربيين في هذه المعركة السلمية لمحاربة تعاليم الإسلام  
و وقف انتشاره ثم القضاء عليه معنوياً ، و اعتبار هؤلاء المبشرين في تلك  
المعارك جنوداً للغرب » (٢) .

و من هنا كان الاستعمار و التبشير وجهين لعملة واحدة ، و فرعين في  
شجرة واحدة ، و سار رجال الكنيسة مع رجال الاستعمار في تحقيق هدفهم  
الأول و هو محاربة الإسلام و القضاء عليه ، و أصبح هذا الهدف جلياً  
واضحاً في كل ممارستهم .

و لا أدل على وحدة الهدف بين الاستعمار و التبشير من كلام « زويمر »  
رأس المبشرين و زعيمهم و الذي جمع خلاصة أعمال المبشرين في العالم  
الإسلامي في خطاب له أمام مؤتمر القدس عام ١٩٢٨ - و هو الذي دعا إلى  
عقدة - جاء فيه « أيها الأبطال و الزملاء الذين كتب لهم الجهاد في سبيل

---

(١) حقيقة التبشير بين الماضي و الحاضر ص ١٥٣ .

(٢) حقائق عن التبشير عماد شرف ص ٩ - ١٠ .



المسيحية واستعمارها لبلاد الإسلام ... فأحاطتهم عناية الرب بالتوفيق  
الجليل المقدس ..

لقد أديتم الرسالة التي نيّطت بكم أحسن أداء ، ووفقتم لها أسمى توفيق  
، وإن كان يخيّل إلى أنه مع إتمامكم العمل على أكمل الوجوه لم يفتن  
بعضكم إلى الغاية الأساسية فيه إننى أقركم على أن الذين دخلوا من  
المسلمين فى حظيرة المسيحية لم يكونوا مسلمين حقيقيين لقد كانوا أحد  
ثلاثة :

- ١ - إما صغير لم يكن له من أهله من يعرفه ما هو الإسلام .
  - ٢ - أو رجل مستخف بالأديان لا يبغى غير الحصول على قوت يومه ،  
وقد اشتد به الفقر وعزت عليه لقمة العيش .
  - ٣ - و آخر يبغى الوصول إلى غاية من الغايات الشخصية .
- ولكن مهمة التبشير التى تريدها دول المسيحية للقيام بها فى البلاد  
المحمدية ، ليست إدخال المسلمين فى المسيحية فإن هذا هداية لهم وتكريماً  
، وإنما مهمتكم أن تخرجوا المسلم من الإسلام ليصبح مخلوقاً لا صلة له  
بالله ، وبالتالى فلا صلة تربطه بالأخلاق التى تعتمد عليها الأمم فى حياتها  
، وبذلك تكونون أنتم بعملكم هذا طليعة الفتح الاستعماري فى الممالك  
الإسلامية ..... وهذا ما قمتم به خلال هذه الأعوام المائة السالفة خير قيام  
وهذا ما أمنتكم عليه وتهنئكم عليه المسيحية والمسيحيون جميعاً .

لقد سيطرنا منذ ثلث القرن التاسع عشر على جميع برامج التعليم في الممالك الإسلامية ونشرنا فيها مكان التبشير ، و الكنائس ، و الجمعيات ، و المدارس المسيحية الكثيرة ، التي تهيمن عليها الدول الأوربية و الأمريكية ، و لقد أعددتهم في ديار الإسلام شباباً لا يعرف الصلة بالله و لا يريد أن يعرفها ، و أخرجتم المسلم من الإسلام و لم تدخلوه في المسيحية ، و بالتالي جاء النشئ طبقاً لما أرادته الاستعمار ... لا يهتم للعظائم ، و يحب الراحة و النخس و لا يصرف همه في دنياه إلا للشبهوات ...

إن مهمتكم قد تمت على أكمل الوجوه ، و انتهيتم إلى خير النتائج و باركتكم المسيحية ، و رضى عنكم الاستعمار ... فاستمروا ، فقد أصبحت بفضل جهادكم موضع بركات الرب « (١) » .

هكذا تتضح الصورة و يتأكد ما قلناه من أن الاستعمار و التبشير وجهين لعملة واحدة و فرعين في شجرة واحدة ، توحد الهدف و اتفقت الغاية في القضاء على الإسلام و أهله و الملاحظ في هذا الخطاب أنه قد جمع بين المسيحية و الاستعمار في أوله و آخره حتى يتأكد حقيقة التزاوج بين التبشير و الاستعمار فيقول في أول خطابه « أيها الأبطال و الزملاء الذين كتب لهم الجهاد في سبيل المسيحية و استعمارها لبلاد الإسلام » و يقول في آخر كلامه « باركتكم المسيحية و رضى عنكم الاستعمار » .

---

(١) حقائق عن التبشير ص ٢٢ .

ومن خلال كلام " زويمر " وغيره من المبشرين نستطيع أن  
نكشف عن الوجه القبيح لأهداف التبشير والتي تكمن في النقاط  
الآتية :

**أولاً :** هدم الإسلام في قلوب المسلمين ، وقطع صلتهم بالله ،  
وجعلهم مسخاً لا تعرف عوامل الحياة القوية التي لا تقوم إلا على  
العقيدة القويمة والأخلاق الفاضلة .

**ثانياً :** إخضاع العالم الإسلامي لسيطرة الاستعمار والتحكم في  
مقدراته وإمكاناته <sup>(١)</sup> .

**ثالثاً :** تنصير أكبر عدد ممكن من المسلمين ولو عن طريق  
تحقيق غاية من الغايات الشخصية للفرد كحصوله مثلاً على جنسية  
إحدى الدول الأوروبية أو العمل فيها بأجر مغري .

**رابعاً :** بذر الاضطراب والشك في المثل والمبادئ الإسلامية ،  
لمن أصروا على التمسك بالإسلام، وقد صرح "صامونيل زويمر" <sup>(٢)</sup>  
إلى هذا الهدف في رسالة أرسلها إلى " لوشاتليه " " ٢ / ٨ / ١٩١١م قال  
فيها : " إن لنتيجة إرساليات التبشير في البلاد الإسلامية مزيبتين :  
مزية تشييد ومزية هدم ، أو بالأحرى مزيبتى تحليل وتركيب . والأمر  
الذي لا مرية فيه هو أن حظ المبشرين من التغيير الذي أخذ يدخل

(١) حقيقة التبشير بين الماضي والحاضر ص ١٦٢ .  
(٢) السموعل أوصامونيل شاتليهلو زويمر من أقطاب التنصير في البلاد العربية . ولد سنة  
١٨٦٧ ، وتوفي سنة ١٩٥٢ ويعد رئيس المستشرقين في الشرق الأوسط . تولى تحرير مجلة  
العالم الإسلامي التي أنشأها مع ماكغونالد ، وله آثار في العلاقات بين الإسلام والنصرانية  
انظر نجيب العقيلي . المستشرقون - مرجع سابق . ١٣٨/٣ حيث عدده العقيلي من  
المستشرقين الأمريكيين .

على عقائد الإسلام ومبادئه الخلقية في البلاد العثمانية والقطر المصري وجهاد أخرى - وهو أكثر بكثير من حظ الحضارة الغربية منه ، ولا ينبغي لنا أن نعتد على إحصائيات التعميد في معرفة عدد الذين تنصروا رسمياً من المسلمين ، لأننا هنا واقفون على مجرى الأمور ومتحققون من وجود مئات من الناس انتزعوا الدين الإسلامي من قلوبهم واعتنقوا النصرانية من طرف خفي <sup>(١)</sup> .

ويعقب "شاتليه" على رسالة "زويمر" بقوله : "ولاشك أن إرساليات التبشير من بروتستانتية وكاثوليكية تعجز عن أن ترحز العقيدة الإسلامية من نفوس منتحليها ، ولا يتم لها ذلك إلا ببث الأفكار التي تتسرب مع اللغات الأوروبية ، فينشر اللغات الإنجليزية والألمانية والهولندية والفرنسية يحثك الإسلام بصحف أوروبا وتتمهد السبل لتقدم إسلامي مادي ، وتقتضي إرساليات التبشير لبناتها من هدم الفكرة الدينية والإسلامية التي لم تحفظ كيانها وقوتها إلا بعزلتها وانفرادها" <sup>(٢)</sup> .

**خامساً : الإحياء بأن المبادئ والمثل والتعاليم النصرانية أفضل من أي مثل ومبادئ أخرى ، لتحل هذه المثل والمبادئ النصرانية محل المبادئ والمثل الإسلامية .**

**سادساً : الإحياء بأن تقدم الغربيين الذي وصلوا إليه إنما جاء بفضل تمسكهم بالنصرانية ، بينما يعزي تأخر العالم الإسلامي إلى**

(١) آل شاتليه . الغارة على العالم الإسلامي - مرجع سابق ص ٨  
(٢) آل شاتليه . الغارة على العالم الإسلامي - المرجع السابق ص ٩ .

تمسكهم بالإسلام . وهذا منطق المنصرين المتمسكين بنصرانيتهم . أما العلمانيون فإنهم يقررون أن سر تقدم الغرب إنما جاء لتخليهم عن النصرانية ، وأن تخلف المسلمين يعود إلى إصرارهم على التمسك بدينهم <sup>(١)</sup>

**سابعاً :** تعميق فكرة سيطرة الرجل الغربي الأبيض على بقية الأجناس البشرية الأخرى ، وترسيخ مفهوم الفوقية والدونية ، تعضيداً للاحتلال بأنواعه والتبعية السياسية من الشعوب والحكومات الإسلامية للرجل الأبيض .

ومن ثم يستمر إخضاع العالم الإسلامي لسيطرة الاحتلال ، ويستمر التحكم في مقدراته وإمكاناته .

**ثامناً :** ترسيخ فكرة قيام وطن قومي لليهود في أي مكان أولاً ، ثم في فلسطين المحتلة بعدئذ ، أخذاً في الحسبان أن الإنجيل ( العهد الجديد بعد تحريفه بأيدي يهودية ) يتضمن تعاليم تدعو إلى هذه الفكرة ، وأنها أضحت واجباً مقدساً على النصارى <sup>(٢)</sup> ومن ناحية أخرى التخلص من الجنس اليهودي من أوروبا ثم أمريكا الشمالية ، وتجميعهم في مكان واحد . وهذا هدف فرعي لذلك الهدف العقدي ، ولم يتم هذا رغم استمرار تجمع اليهود في فلسطين المحتلة .

**تاسعاً :** التغريب ، وذلك بالسعي إلى نقل المجتمع المسلم في

(١) وهنا التقاء واختلاف ، حيث يلتقي المنصرون والعلمانيون على الحكم بتأخر المسلمين

لتمسكهم بالإسلام ، ويختلفون في سر تقدم الغرب .

(٢) الأخطبوط الصهيوني رأى العين محمد علي أبو حمدة - عمال مكتبة الرسالة، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م - ص ١٠١ - ١٠٨ .

سلوكياته وممارساته ، بأنواعها السياسي والاقتصادي والاجتماعي والأسري والعقدي ، من أصلاتها الإسلامية إلى تبني الأنماط الغربية في الحياة ، وهي المستمدة من خلفية دينية نصرانية أو يهودية . وفي هذا يقول " سيرج لاتوش " في كتابه " تغريب العالم " : "إن تغريب العالم كان لمدة طويلة جدا - ولم يكف كليا عن أن يكون - عملية تنصير . إن تكريس الغرب بنفسه للتبشير بالمسيحية يتضح تماما ، قبل الحروب الصليبية الأولى ، في انطلاقات التنصير قسرا .

وإن مقاومة شارل مارتل في بواتيه ، وأكثر من ذلك تحويل السكسون إلى المسيحية بوحشية ، على يد القديس بونيفاس ( ٦٨٠ - ٧٥٤م) : ألا يشكل ذلك الحرب الصليبية الأولى ، وأقصد القول أنه شهادة لتأكيد ذاتية الغرب كعقيدة وكقوة ؟ .. وهكذا ، نجد أن ظاهرة المبشرين بالمسيحية هي بالتأكيد حقيقة ثابتة للغرب ، باقية في ضميره بكل محتواها الديني ، يجدها الإنسان دائما في العمل تحت أكثر الأشكال تنوعا . واليوم أيضا ، فإن أغلب مشروعات التنمية الأساسية في العالم الثالث تعمل بطريق مباشر أو غير مباشر ، تحت شارة الصليب " (١)

**عاشر/ :** إدخال النصرانية أو إعادتها إلى عدد كبير من البلاد الإسلامية وغيرها ، وبخاصة في إفريقيا وآسيا وأمريكا الجنوبية .

(١) نشر كتاب سيرج لاتوش تغريب العالم في باريس سنة ١٩٨٩ م ، ونقل عنه أحمد عبد الوهاب بعض المقتطفات . انظر أحمد عبد الوهاب . التغريب : طوفان من الغرب - القاهرة : مكتبة التراث الإسلامية ، ١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م . ص ١٣

والجزيرة العربية وفي هذا يقول "روبرت ماكس" أحد المنصرين  
الأمريكيين : " لن نتوقف جهودنا وسعينا في تنصير المسلمين حتى  
يرتفع الصليب في سماء مكة ويقام قداس الأحد في المدينة " (١) .

إن هذا الكلام يدل على التكالب المسعور لدى المنصرين ،  
لأفضل بقعة على وجه الأرض ، ولهذا وضعت المنظمات التنصيرية  
استراتيجية خاصة لتحقيق هذا الهدف ، تقوم على فكرة الدعوة إلى  
التسامح " المشبوه " لأنها هي الطريقة الوحيدة التي تساعد المنصرين  
على اختراق المسلمين ولذلك يقول المبشر " رايد " : " إن المشكلة في  
العمل بين المسلمين إنما هي في إيجاد الطريقة التي تساعد فعلاً على  
الاقترب منهم . ثم إن ذلك الحاجز العظيم الذي يدعى عادة بالتعصب  
. وهو ذلك الجدار الشاهق من الشك والاعتزاز بالذات ومن الكره ، قد  
بناه الإسلام حول أتباعه ليحميهم في داخله .. إنه جدار أثبت مع  
الأسف أن تسلقه أو اختراقه مستحيل " (٢) .

ولقد استطاع المبشرون كسر ذلك الحاجز فكان ذلك موضع فرح  
وسرور جعلهم يقولون :

" إننا اقتطفنا ثمرات أعمالنا : فالأوهام تبددت وحل محلها  
التسامح " (٣) .

- (١) عبد الودود شلبي . الزحف إلى مكة: حقائق ووثائق عن مؤامرة التنصير في العالم  
الإسلامي . القاهرة : الزهراء للإعلام العربي ، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م . ص ١٣ .  
(٢) حقيقة التبشير بين الماضي والحاضر . ص ١٧٠ .  
(٣) المصدر السابق . ص ١٧٠ .

و لقد خطا المبشرون خطوات ليست بسيطة في تحقيق أهدافهم نحو الإسلام و المسلمين ساعدهم في ذلك جهل البعض من المسلمين بحقيقة دينهم ، و بحقيقة ما عليه أعداؤهم من حقد و بغض للإسلام و أهله ، بل إن البعض من أبناء المسلمين قد اتخذ من الغرب قبلة له و رمزاً يتطلع للعيش تحت لوائه بل إن بعضهم رضى لنفسه أن يكون بوقاً يردد ما يلقيه الغرب على مسامعه دونما نظر هل يا ترى ما يسمع و ما يردد ضار أم نافع ، يوافق دينه أم يعارض ؟ و راح هذا البعض ينطق مع كل ناعق و يصرخ مع كل صارخ و زين له سوء عمله و صد عن السبيل . و هذه بعض الأهداف نوردها بصورة أكثر تفصيلاً :

#### **الهدف الاول : هدم الإسلام في قلوب المسلمين و تطع صلتهم بالله :**

- استغل المبشرون في سبيل تحقيق هذا الهدف جهل بعض أبناء الإسلام بإسلامهم ، و تطلع البعض لتحقيق بعض الرغبات الشخصية ، و ضعف الدور الدعوى الراشد الذى يبصر المسلمين بدينهم و بحقيقة ما عليه أعداؤهم و عمل المبشرون مستغلين كل ذلك على تشويه صورة الإسلام حتى تتزعزع العقيدة في نفوس المسلمين من ناحية ، و يضعوا بهذا التشويه حصانة أمام من يريد الدخول في الإسلام أو يفكر في أن يقرأ عن الإسلام في يوم من الأيام ، و يؤكد ذلك ما جاء على لسان أحد أساتذة جامعة كولومبيا بالولايات المتحدة الأمريكية و هو إدوارد ميدايرل أستاذ التاريخ يقول في مقال بمجلة



العالم الإسلامى عدد يناير ١٩٤٠ - وهى مجلة انجليزية - « إذا كان الرأى العام الأمريكى قد طويت عنه بعض المعلومات أو غذى بمعلومات خاطئة أو دفع إلى موقف عدائى فإن المبشرين هم الملوون فى أكثر من ذلك ، لأن النظر إلى التاريخ على أساس انتشار النصرانية قد حمل هؤلاء المبشرين على أن يقدموا لنا فى الولايات المتحدة صورة ناقصة مشوهة أو ساخرة فى بعض الأحيان للمسلمين و الإسلام » (١) .

و يعيد التاريخ نفسه و ما زال الغرب يتعمد إخفاء الحقائق عن الإسلام للغربيين و أصبح الإسلام فى نظر الغرب اليوم رمزاً مخيفاً يمثل العنف و الدم و الإرهاب بفعل تضليل الكتاب الغربيين و من على شاكلتهم من الشرقيين فى كتاباتهم عن الإسلام و المسلمين ، و أصبح التأثير أوسع لهذه الأضاليل و الافتراءات باتساع وسائل الاعلام و تطورها و أصبحت هناك مواقع خاصة بتشويه صورة الإسلام على شبكات الإنترنت .

و قد تعددت صور التشويه للإسلام ما بين تحريف للقرآن و طعن فيه ، و كذا الطعن فى النبى ﷺ و السنة المطهرة ، و كذا تشويه التاريخ الإسلامى و تشويه رموز الإسلام كصحابية النبى ﷺ ، و أحياناً ببث الدعوات المسمومة و الشبهات المشبوهة التى تلبس على بعض المسلمين حقيقة دينهم ، صاحب ذلك كله العمل على إضعاف المؤسسات الإسلامية الراشدة كالأزهر الشريف

---

(١) حقيقة التبشير بين الماضى و الحاضر ص ١٦٤ .

و غيره حتى يضمن المبشرون سريان جراثيمهم فى الجسد الإسلامى فى غياب المقاومة أو التحصين و لهذا قاموا بما يلى

#### ١- مقاومة الأزهر الشريف :

إن المبشرين وعوا قوة المؤسسات الإسلامية الكبرى و دورها فى نشر الوعى الدينى و الحضارة الإسلامية و أيقنوا أنه لا سبيل للوصول إلى تشويه صورة الإسلام دون القضاء على هذه المؤسسات الإسلامية و العمل على الأقل على إضعافها ، و من هنا وجّه المبشرون أنظارهم نحو الأزهر الشريف ، و عملوا جاهدين على مقاومته و إضعافه ، و بدأ ذلك واضحاً من تواصلهم فى مؤتمراتهم التبشيرية بإضعاف الأزهر و قد جاء على لسان « فلمينج » عن الأزهر و دوره و ما اقترحه المبشرون نحوه « ضرورة إنشاء مدرسة جامعة نصرانية تقوم الكنيسة بنفقاتها ، و تكون مشتركة بين كل الكنائس المسيحية فى الدنيا على اختلاف مذاهبها لتتمكن من مزاحمة الأزهر بسهولة » (١) .

ويقول « جارندر » - السكرتير العام لجمعية الطلبة المسيحيين - « إن من سداد الرأى منع جامعة الأزهر أن تنشر الطلبة المتخرجين فيها فى جنوب إفريقيا ، اتباعاً لقرار مؤتمر التبشير العام لأن الإسلام ينمو بلا انقطاع فى كل إفريقيا » (٢) .

---

(١) الفارة على العالم الإسلامى ص ٢٤ .

المرجع السابق نفسه ص ١٠٥ .

و من ثم قاموا بتأسيس الجامعة الأمريكية فى القاهرة لتقوم بتخريج عدد كبير من أبناء المسلمين لا يعرفون شيئاً عن الإسلام و حقيقته

## ٢ - تحريف فهم القرآن والطعن فيه :

وعى المبشرون أن قوة الأمة الإسلامية يكمن فى كتابها القرآن الكريم و تمسكهم به فوجهوا حريهم ضد هذا الكتاب فى محاولة لفصل المسلمين عنه أو على الأقل إضعاف تأثيره فى قلوبهم و نفوسهم يقول « جون تاكلى » « يجب أن نستخدم كتابهم ( القرآن ) و هو أمضى سلاح فى الإسلام ضد الإسلام نفسه لنقضى عليه تماماً ، يجب أن نرى هؤلاء الناس أن الصحيح فى القرآن ليس جديداً ، و أن الجديد ليس صحيحاً » (١) .

و إذا كان عمل المبشرين فى السابق هو تحريف فهم القرآن الكريم فإن العمل قد تطور اليوم لما هو أسفر لتطبيع أمريكا ما يسمى « بالفرقان الحق » ليقوم مقام القرآن و تنفق على طبعه و نشره المليارات فى سبيل مقاومة القرآن و تحريفه .

و فى معرض تحريفهم للقرآن الكريم دأب المبشرون على توجيه المطاعن للقرآن و منها ادعاؤهم بأن القرآن من كلام ( محمد ﷺ ) و أنه من الكلام البشرى الذى لا يتميز بالفصاحة و البلاغة ، و أنه يجمع بين الكثير من

---

(١) التبشير والاستعمار د / مصطفى خالدى ، و د / عمر فروخ ص ٢٣ - ٢٤ .

التناقضات و غير ذلك من الشبهات التى ملأت الكتب ورد عليها علماؤنا

فأخرسوا الألسنة و أفحموا المتخربين (١)

و تعتبر هذه الكتب و الاطلاع عليها و نشر ما تناولته خطوة هامة فى مقاومة الغزو الفكرى التى تتعرض له البلاد الإسلامية إذا أنها بمثابة تحصينات ضد ما يلقى على الإسلام من مطاعن و شبهات خلافاً لما تحدثه من إثراء للثقافة الإسلامية المستنيرة فى ربوع البلاد الإسلامية .

### ٣ - الطعن فى نبوة النبى ﷺ :

لم يكتف المبشرون بالطعن فى القرآن الكريم بل وجهوا طعنهم أيضاً لنبوة النبى ﷺ فشككوا فيها و فى شخصه ﷺ و تعددت مطاعنهم حول النبى ﷺ بصورة عاد فيها التاريخ نفسه لما كذب المشركون النبى ﷺ و رموه بالكذب و السحر و الكهانة و غير ذلك من افتراءات و أباطيل ، و مما ورد فى مطاعن المبشرين حول النبى ﷺ طعنهم فى معجزاته ﷺ و إنكارها ، و طعنهم فى شخصه ﷺ باتهامه بعدم العفة و شغفه بالنساء و غير ذلك .

### ٤ - بث الدعوات المسمومة و الشبهات المشبوهة :

علم المبشرون تأثير الإعلام على الشعوب و المجتمعات ، فلم يفلتوا ذلك فى معرض حريهم ضد الإسلام و المسلمين ، و كان لابد من إحكام السيطرة على الإعلام و مؤسساته فى ديار الإسلام حتى يتحكموا فيما يعرض على

---

(١) انظر عرض العديد من الشبه و الرد عليها ص - ص

هذه الشعوب الإسلامية ، فعملوا جاهدين مع حكوماتهم لإحكام السيطرة على الإعلام وأصبح لليد الصهيونية اليد الطولى على الإعلام العالمى كله وليس الإسلامى وحده ، ومن هنا صار الإعلام فى البلاد الإسلامية فى مجمله يخدم أغراض هؤلاء المبشرين يروج لشبهاتهم ودعواتهم ، ويشوش على الحق ويشكك فى الصحيح وكلما تطورت الوسائل الإعلامية وسهل استخدامها زاد تأثيرها على مستخدميها سلباً أو إيجاباً .

ومن أمثلة الدعوات المسمومة التى يروج لها المبشرون الدعوة إلى التسامح المشبوه ، وفيها يتهمون الإسلام بإرساء التعصب فى نفوس أتباعه وينقم المبشرون على الإسلام دعوته للإخاء والوحدة بين أتباعه فيقول أحدهم « إن المشكلة فى العمل بين المسلمين إنما هى فى إيجاد الطريقة التى تساعد فعلاً على الاقتراب منهم ، ثم إن ذلك الحاجز العظيم الذى يدعى عادة بالتعصب وهو ذلك الجدار الشاهق من الشك والاعتزاز بالذات ومن الكره قد بناه الإسلام حول أتباعه ليحميهم فى داخله وليترك المبشر خارجه ، إنه جدار طالما أثبت أن تسلقه أو اختراقه مستحيل » (١) .

« فالتسامح الذى ينادى به المسيحيون الآن هو دعوة المسلمين إلى التزام السكوت وهم يرون إخوانهم المسلمين مستهدفين لمحاولات التنصير ، وما

---

(١) التبشير والاستعمار ص ٤٧ .

يستخدم فى سبيله من مختلف وسائل الإغراء المشروعة وغير المشروعة « (١) .

ومن الشبهات المشبوهة التى طالما روج لها المبشرون اتهامهم الإسلام بأنه دين الإرهاب والعنف وأنه قد انتشر بالسيف والقوة « ويقصدون من ذلك تحقيق غرضين : -

**الأول :** تنفير المسلمين من الجهاد ، و خضوعهم للإستسلام تحت دعوى أن الإسلام دين سلام وهى حقيقة قبلها المسلمون المعاصرون استسلاماً لاسلاما ..

**الثانى :** تخويف العالم الغربى من الإسلام عموماً لأنه نقل إليهم على أنه دين يأمر بالقتال وأتباعه يمارسون هذا على أنه شريعة وأمر يجب تنفيذه فقط ، وفى تصوير الإسلام بهذه الصورة مغالطات لا تغتفر ، ولو نظرنا لرأينا الإسلام فى حربه يحارب لتحقيق السلام .

ومن هنا كانت الحروب فى عهده ﷺ وفى عهد الخلفاء الراشدين وغيرهم ضد الوثنية والأكاسرة والأباطرة الطغاة فأنقذت الإنسانية من ويلات الظلم وجبروت الحكم « (٢) .

ولم يرفع السيف فى الإسلام إلا لتأمين وصول الدعوة واضحة لغير المسلمين فإن وصلت قبل الحرب فلا حرب ، وكثيراً ما صالح المسلمون

(١) حقيقة التبشير بين الماضى والحاضر ص ١٧١ .

(٢) محاضرات فى مفهوم الاستشراق والتبشير د/ محمد زين العابدين ص ٩٦ .

غيرهم فى فتوحاتهم على الجزية ، ولو كان الأمر مجرد القتال للقتل والتخريب ما قبلوا ذلك من أعدائهم ، فضلاً عن أخلاقيات الحرب فى الإسلام فلا يقتل طفل أو شيخ أو امرأة أو مريض فلا يقاتل إلا المحارب فقط بل من أخلاقيات الحرب فى الإسلام ألا يقطع شجر ولا يهدم بناء ولا يُخربُ عامر إلا لضرورة فأين هذا كله من الفظائع التى ارتكبتها الصليبيون فى حق المسلمين ، بل أين هذا بما يحدث الآن من القهر والظلم من الشعوب التى تدعى الحضارة والتقدم - كأمريكا - ضد المستضعفين من العرب والمسلمين ، وها هى أفغانستان والعراق وفلسطين والبوسنة وغيرها كل ذلك شهود عيان على ما يحدث من حمامات الدم التى لا تنتهى ، ومع ذلك كله يرفع المحتلون والمستعمرون شعارات السلام وتحرير العالم من الظلم والاضطهاد .

#### ٥- إفساد أخلاق المسلمين :

جاء فى خطاب زويمر فى مؤتمر القدس التبشيري فى عام ١٩٢٨ م قوله : « ..... إنما مهمتكم أن تخرجوا المسلم من الإسلام ليصبح مخلوقاً لا صلة له بالله ، وبالتالى لا صلة تربطه بالأخلاق التى تعتمد عليها الأمم فى حياتها ..... ولقد أعددتكم فى ديار الإسلام شباباً لا يعرف الصلة بالله ولا يريد أن يعرفها ، وأخرجتم المسلم من الإسلام ولم تدخلوه فى المسيحية وبالتالى جاء النشئ طبقاً لما أرادته الاستعمار .. لا يهتم للعظائم ويحب الراحة

و الكسل ، و لا يصرف همه فى دنياه إلا الشهوات . »

هكذا يعترف زعيمهم بما للأخلاق الفاضلة التى جاء بها الإسلام من تأثير فى قوة الأمة و يوجه الأنظار إلى أنهم فى تحقيق إضعاف الأمة لابد من إضعاف شبابها بانحرافهم عن أخلاقيات إسلامهم ، و سعيهم خلف الشهوات و لهثهم وراء النزوات . فيوجه تركيزهم نحو قاعدة الشباب المسلم إذ أنه أساس القوة لدى المسلمين ، و بالفعل يستمع المبشرون النصيحة ، و يجندوا جيوشاً منهم لصرف المسلمين عن الأخلاقيات و إغراقهم فى الشهوات و النزوات ، و تخصيص المبالغ الطائلة فى سبيل تحقيق ذلك و قد استطاعوا بالفعل إغراء بعض الشباب ممن لا يفهمون حقيقة دينهم ، و افتقدوا التنشئة الصالحة فى بيئتهم ، و أصبح هذا الشباب منساقاً خلف شهواته يعيش لسفاسف الأمور و لا يعبأ بعواليها ، يتحرك لخسارة فريقه الذى يشجع و لا يتحرك لقتل مسلم ، يهتم بتصفيف شعره و لا يهتم لتهديب نفسه ، يسجل تاريخ الفنان و لاعب الكرة و أحداث الفيلم و المسلسل و لا يعرف كم عاش نبي ﷺ و لا يعلم شيئاً عن دعوته و جهاده ، فأصبح هذا النوع من الشباب ( الإ مَّعَه ) يعيش لشهواته و يحيا للذاته و هو ما يريده الاستعمار .

أما الشباب اليقظ الذى يتمتع بالوعى لدينه و ثقافته ، و يدافع عنه و يعيش له و به ، هذا الشباب هو الذى يزرُق المبشرين صباح مساء و هنا



أذكر ما قصه د / عبد الوہود شلبی فی کتابہ ( أفیقوا أیہا المسلمون قبل أن تدفعوا الجزیة ) فیقول « إن أحد جواسیس الفرنجة التقى فی بلاد الأندلس بصبی مسلم کان یبکی تحت شجرة فقال له لماذا تبکی ؟ هل تريد طعاماً .. مالأ .. أم تقبل منی هذه الهدیة ؟ فأمسك الصبی بید الجاسوس وألقى بهدیته علی الأرض قائلاً . أظننی طفلاً حتی تضحك علی بهذه اللعبة ؟ !

فتعجب الجاسوس وقال إذن لم تبکی ؟ فقال الغلام : أبکی لأنی أخرج صباح كل يوم للتدريب علی الرمی فی هذه المنطقة و قد رأیت طائرين فوق هذه الشجرة ، فزدت أن أصیدها بضربة واحدة غیر أن طائراً واحداً سقط بینما طار الآخر و نجا فلماذا حزنت . حزنت لأننی عجزت عن صید طائرين بضربة واحدة و أخشى أن یفاجئنا أعداء الله فلا أقتل منهم الكثير بهذه الحرية .

عندئذ عاد الجاسوس مندهشاً وقال لكبير الكهنة أمام قيادة جيشه هكذا یفكر الأطفال فكیف بالرجال من نوى الخبرة فی القتال ؟ و ما العمل ؟ « (١)

فهذا هو فكر الصبی فكیف كانت تربیته ؟ ! .  
و خلص الأعداء إلى أنه لابد من ضرب هذه التربية و الأخلاق فتواصوا فیما بینهم « علیکم بالنساء و الخمر . إن هذا هو السلاح الحقیقی فی معركة الغد . و قد حدث فعلاً ..

(١) ص ٦ .

و بعد سنوات طويلة أصبح الأندلس فردوساً مفقوداً و تحول إلى قصيدة  
يترنم بها المسلمون أغنية و نشيداً « (١) »

و إفساد أخلاق المسلمين كفرض تبشيري استعماري هو ما يفسر وجود  
زاء عاهرات خلال الحروب الاستعمارية ضد الإسلام و أهله ، « و لما سئل  
أحد قادة فرنسا عند توجه جيشه لاحتلال سورية و لبنان عام ١٩٢٠ م عن  
سر وجود هذه العناصر أجاب « إن تلك البوارج - بوارج القتال - قد يزول  
أثرها أما هذه البارجة - بارجة تحمل مومسات - فإن أثرها لن  
يزول » (٢) »

و إذا ما اتخذ المبشرون إفساد أخلاق المسلمين وسيلة لتحقيق أهدافهم  
فإن عودة المسلمين لأخلاقهم و التمسك بها من عوامل التصدي للتبشير  
و الاستعمار .

### **الهدف الثاني : اخضاع العالم الإسلامي لسيطرة الاستعمار و التحكم في مقوماته :**

و في سبيل تحقيق هذا الهدف عمل الاستعمار قديماً و حديثاً على تفتيت  
العالم الإسلامي إلى كيانات صغيرة - و هذا يذكرنا بما فعلوه في الأندلس  
قبيل إخراج المسلمين منها حيث قسموها إلى ما يزيد عن ثلاثين مملكة .

---

(١) المرجع نفسه ص ٦ .

(٢) أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي ص ٣٥ بتصرف .

« ومن هنا كان الهدف الأول للمبشرين هو تفتيت وحدة المسلمين و توهين قواهم و ذلك باختلاق ما يؤدي إلى تفرقهم و اختلال صفوفهم لدرء خطر تجمعهم و تألفهم و اتجه المبشرون لتحقيق ذلك بشتى الوسائل القولية و العملية ، و من أقوالهم ما قاله « لورانس بروان » « إذا اتحد المسلمون في امبراطورية عربية أمكن أن يصبحوا لعنة علي العالم و خطراً ، و أمكن أن يصبحوا نعمة له أيضاً ، أما إذا ظلوا متفرقين فإنهم يظلوا حينئذ بلا قوة و لا تأثير » (١) . و يقول د / محمد زين العابدين :

« كان التبشير شحنة ناسفة وجهها الغرب للقضاء على الوحدة الإسلامية و غزوة منظمة وجهتها أوروبا إلى العالم الإسلامي لغايات سياسية على حد تعبير الدكتور / محمد حسين هيكل : الذي تسأله كيف كانت هذه البعثات غزواً سياسياً منظماً وجهته أوروبا للشرق ؟ رأيت أن تركيا باعتبارها دولة الخلافة الإسلامية الحائلة بامتدادها حول البحر الأبيض المتوسط دون غزو أوروبا لإفريقيا و آسيا ، كانت موضع نظر خاص من جانب دول أوروبا . (٢) .

فالتاريخ الصادق يشهد أن دولة الخلافة التركية أدت دوراً عظيماً لخدمة الإسلام و أهله حتى و هي في مراحل ضعفها في الوقت الذي كان يطلق

---

(١) محاضرات في مفهوم الاستشراق و التبشير ص ٧٩ ، ٨٠ .

(٢) الشرق الجديد د / محمد حسين هيكل ص ٦٠ بدون عدد للطبعة مطابع دار المعارف بالقاهرة ١٩٦٢ م .

عليها فيه الرجل المريض ذبّت عن بلاد الإسلام الأعداء يقول

عبد الرحمن زكى :

كانت تركيا العثمانية تؤدى للعالم الإسلامى خدمة جليلة فقد ظلت خمسة قرون تتولى الدفاع عنه فى الخط الأمامى ضد الغارات الأوربية - التى تشبه الغارات الصليبية القديمة - وكان هذا الخط يمتد من شمالى القوقاز على مراحل البحر الأسود ثم يدور نصف دائرة عظيمة حتى يكمل شاطئ البحر الأدريتيكى الشرقى .

ولو لم تك جند العثمانيين واقفة فى هذا الخط وقفة صلبة عنيدة لاجتاحت جنود أوربا الوسطى الشرق الأوسط كله ، ولحققت أحلام « رتشارد » و « لويس التاسع » ولا جتاج الشرق الأوسط إلى « صلاح الدين » مرة أخرى لرد هذا الغارة . (١) .

ولذا لم تتوان أوربا فى استغلال العوامل التى تجهض الدولة العثمانية من تشجيع اليونان ، ودول البلقان للإنقضاض على تركيا واستخدام المناطق التى يتجمع فيها نسبة كبيرة من المسيحيين فى دولة الخلافة للإثارة والفتنة كما حدث فى لبنان ، وفوق كل هذا أثاروا مؤامرة القومية العربية داخل الولايات العربية التابعة لدولة الخلافة فى مقابل القومية الطورانية التى

---

(١) الشرق الأوسط ( دراسة شاملة لبلدانه وأحواله الاقتصادية والاستراتيجية ص ١١٥ بنون عدد للطبعة ، ونكر للطبعة ١٩٤٨ م .

تبناها حزب الاتحاد والترقي بعد حزب تركيا الفتاة ، و خدع الشريف « حسين » فانزلق إلى القومية العربية كقائد لها ظناً منه أنها الوجه الآخر للإسلام ، و هدف القوم من وراء هذه المؤامرات تفريق الأمة الإسلامية عملياً بالقضاء على دولة الخلافة ، « وكان التركيز أشد قوة ووضوحاً على « العرب » باعتبارهم القوة الأساسية في العالم الإسلامي ، و حملة لواء الفكر الإسلامي العربي الناصع ، و من بينهم انبعثت اليقظة و دعوة الفكر الإسلامي المعطلة لمخطط النفوذ الاستعماري القائم أساساً على القضاء على مقدمات الفكر الإسلامي التي تحمل طابع المقاومة و الاستقلالية ، و ذات الطابع الواضح و القيم التي تندمج و لا تنوب » (١) .

و سار المخطط التبشيري الاستعماري في مجراه ، و تحقق ما أرادته مثيروا الدعوات العنصرية و العصبية الجاهلية ، و حدث الشرخ بين المسلمين من العرب و الترك و تعمق و كانت له من الآثار الأليمة التي ما تزال ماثلة حتى أيامنا هذه فانفجرت صيحة القومية قتيلة شطرت المسلمين فأضعفت الأتراك و جرت عليهم النكبات ، و أوهنت العرب و ألحقت بهم الويلات ، و قسمت أمتهم إلى دويلات ، و لا عجب إن علمنا أن دعاة القومية العربية في البداية كانوا من غير المسلمين : « فقد تم على يد خمسة من

---

(١) اليقظة الإسلامية في مواجهة الاستعمار ( منذ ظهورها إلى أوائل الحرب العالمية الأولى ) أنور الجندي ص ١٠ ط ١ دار العلوم للطباعة بالقاهرة ١٣١٨ هـ = ١٩٧٨ م بتصرف يسير .

طلاب الكلية الإنجيلية ( البروتستانتية ) فى « بيروت » و التى أسميت فيما بعد الجامعة الأمريكية ، وكلهم من النصارى الذين اجتمعوا عام ١٢٩٣ هـ = ١٨٧٥ م ، وشكلوا جمعية سرية ( جمعية بيروت العربية ) بالتعاون مع « محفل بيروت الماسونى » وجعلوا هدفها : دعوة العرب لمحاربة الأتراك و الثورة عليهم و قامت هذه الجمعية بصياغة هذه العنصرية على شكل عقيدة سياسية فى محاولة منها لاجتذاب المسلمين من العرب إلى صفوفها فلم تفلح فى ذلك فقد نفر المسلمون منها و من مؤسسيها الذين كانوا يواصلون السعى بالتعاون مع البعثات التبشيرية لئلا ما أسموه بالشعور القومى بين العرب . (١) .

و ظل الأمر على هذه الصورة ، و هى محاولة دفع العرب لمحاربة الأتراك ، و نفور العرب من نصارى الشام أصحاب المحاولة لاعتقادهم أن هذا من أثر البعثات التبشيرية المتأثرة بالفكرة الغربية ، و استمر الحال بهذا الشكل إلى أن وصل الاتحاديون للحكم بسقوط السلطان « عبد الحميد » ( \* ) ،

---

(١) مجلة « الأمة » ص ٥٨ ( السنة الأولى - العدد الثالث ) من مقال بعنوان : من مفكرة ( القرن الرابع عشر الهجرى ) لهيئة تحرير المجلة ١٤٠١ هـ = ١٩٨١ م بتصرف يسير ، كتاب يقظة العالم الإسلامى تأليف ف . و فرنو ترجمة بهيج شعبان ، و تعليق الشيخ سليمان طاهر جـ ١ ص ١٧٣ بدون عدد للطبعة ، مطبعة دار الحكمة بيروت ١٣٧٥ هـ = ١٩٥٦ م . بمعنى قريب منه .

(\*) فالخلافة تعتبر أنها أُلغيت فعلاً من النواحي العملية - منذ نجحت الثورة ضد السلطان عبد الحميد فى عام ١٩٠٨ م ، ثم عندما خلعت نهائياً فى العام التالى ١٩٠٩

و تنكروا للعرب بل للإسلام الذى يجمع العرب و الترك فحل العداء محل  
الوئام ، و حدث الانفصال بين الأخوين ، و هو الثمرة التى جناها التبشير ثم  
قدمها هدية للاستعمار الغربى ، و الصهيونية العالمية ، و لذا يقول الأستاذ  
أنور الجندى : و قد تحقق بذلك عام ١٩١٨ م ما كانت تتطلع إليه أوروبا منذ  
أجيال و قرون و هو القضاء على الدولة العثمانية باعتبارها وحدة جامعة ذات  
طابع إسلامى تجمع العرب و الترك و كذلك سقوط أجزاء العالم العربى  
نهائياً تحت الاستعمار الغربى و إقامة حاجز بشرى يفصل بين إفريقيا  
و آسيا . (١)

---

و لست غيره فقد أصبح الضباط - أى رجال جمعية الاتحاد و الترقى - هم حكام البلاد  
منذ ذلك الوقت - و هم الذين وقعت الهزيمة فى عهدهم - و لم يكن السلطان « محمد  
رشاد » الذى لقب « محمد الخامس » الذى خلف عبد الحميد إلا مجرد شبح ، ليس له إلا  
سلطة دينية أو روحية ، ثم تلاه « محمد السادس » بعد الحرب العالمية فعبد المجيد آ  
خرهم ( الإسلام و الخلافة فى العصر الحديث ) نقد كتاب الإسلام و أصول الحكم  
د / محمد ضياء الدين الرئيس ص ٦٢ ط ٢ دار الجيل للطباعة بالقاهرة ١٣٩٢ هـ =  
١٩٧٢ م .

(١) البيضة الإسلامية فى مواجهة الاستعمار، ص ١١٠ .





## **الفصل السادس**

### **أساليب التعبير وسائله**



## الفصل السادس : أساليب التنصير ووسائله

بين لنا الدكتور عبد العزيز إبراهيم العسكر ذلك بقوله :

لقد استخدم المنصرون جميع الطرق في سبيل هدفهم ، وذلك بعد أن درسوا أحوال المسلمين وعرفوا طباعهم ، ونقاط الضعف لديهم ، وأفادوا بشكل كبير من بحوث المستشرقين ودراساتهم ، وبذلك استغلوا جميع المناسبات والحاجات والمهن من التطبيق إلى التعليم والإعلام وغيرها فكلها يجب أن توجه توجيهًا يفيد التنصير.

والمنصرون مجمعون على أن جميع الوسائل مهما كانت يجب أن تستغل في سبيل التنصير حتى أعمال البر والإنسانية .

وإذا أمعنا النظر في وسائل المنصرين وجدناها تنقسم إلى قسمين رئيسيين ، وسائل مباشرة وهي محدودة . ووسائل غير مباشرة وهي كثيرة وخطيرة .

أ- أما الوسائل المباشرة : فكان هذا هو المجال الأول الذي بدأ به المنصرون ، فهو مجال التحدي المباشر للإسلام عن طريق المناظرة لعلماء المسلمين ، كما حصل في الهند بين القس فندر والشيخ رحمت الله الهندي<sup>(١)</sup>.

ويقوم بهذا النوع من التنصير منصرون متفرغون تم ترسيمهم وعازلاً لنشر النصرانية ، وقد أهمل هذا النوع منذ فترة طويلة وحلت محله وسائل جديدة لا تلتزم غالباً بالمنهج الأخلاقي<sup>(٢)</sup> ، وذلك لأن نتائج تلك المناظرات تكون عكسية في أغلب الأحيان .

ب- وسائل التنصير غير المباشرة : وهي الوسائل المساعدة ، لكنها في الحقيقة

(١) انظر مقدمة كتاب إظهار الحق ، في ترجمة الشيخ رحمت الله ابن خليل الهندي ، طبعة دار التراث العربي بمصر ، تحقيق أحمد السقا .

(٢) إبراهيم عكاشة ، ملامح عن النشاط التنصيري ، ص ٢٦ .

أدت نتائج باهرة، وهذه الوسائل عرفت في القرن الثالث عشر ثم تطورت بعد الحرب العالمية الأولى في القرن العشرين<sup>(١)</sup>.

ومن أهم مظاهرها مايلي :

أولاً : استخدام الطب :

لقد وجه المنصرون اهتمامات كبرى لتنصير المسلمين في مجال الخدمات الطبية وفي معظم بلدان العالم الإسلامي الكبرى والصغرى، فلقد أدرك هؤلاء ميل المريض للتضحية بأي شيء في سبيل شفائه أو شفاء ابنه أو أمه أو أبيه، ولهذا سخر المنصرون كل ما يمكنهم من مجالات الطب في سبيل غاياتهم، وحسبك دليلاً على ذلك قولهم : حيث تجد بشرًا تجد آلامًا، وحيث تكون الآلام تكون الحاجة إلى الطبيب، وحيث تكون الحاجة إلى الطبيب فهناك فرصة مناسبة للتبشير<sup>(٢)</sup>.

وقد بلغت بهم الدناءة في بعض المستشفيات أنهم لا يعالجون المريض إلا بعد أن يركع للصليب، فإذا رفض طلب منه الاعتراف بأن شفاؤه في يد المسيح، أو أن يسأل المسيح الشفاء، ومن يرفض فلن يحصل إلا على وصفة خاطئة !  
تقول (ايدا هاريس) تنصح الطبيب الذاهب بمهمة تبشيرية : يجب أن تنتهز الفرص لتصل إلى آذان المسلمين وقلوبهم فتكرزهم بالانجيل، وإياك أن تضعي التطبيق في المستوصفات والمستشفيات فإنه أئمن تلك الفرص على الإطلاق ولعل الشيطان يريد أن يفتنك فيقول لك إن واجبك التطبيق فقط لا التبشير فلا تسمع له<sup>(٣)</sup>.

وقد ظهرت أهمية العلاج كوسيلة في التنصير في الربع الأخير من القرن الثالث

(١) د. إبراهيم عكاشة، ملامح عن النشاط التنصيري، ص ٢٦، ٢٧.

(٢) د. عمر فروخ وزميله، التبشير والاستعمار، ص ٥٩.

(٣) المرجع السابق، ص ٥٩-٦٢-٦٣.

عشر الهجري فهو الوسيلة الفعالة في المجتمعات الإسلامية لإقناع الناس والسلطات المحلية بوجود المنصرين لا سيما في البلاد المغلقة أمام التنصير العلني.

إن وجود أطباء وممرضين في مراكز التنصير يزيل عن الإدارة المركزية للإرساليات عناء التفكير في صحة المنصرين، كما يزيل أحياناً معارضة الأهل والأصدقاء لمن يرشحون أنفسهم للعمل كمنصرين في البلاد المختلفة، ويعد العلاج في بعض البلاد من وسائل التنصير الضرورية لكسر حدة التحامل على المنصرين وخصوصاً في البلاد العربية والإسلامية وهي غاية مرحلية للعمل التنصيري الشامل<sup>(١)</sup>.

يقول (أ.ل. شاتليه)<sup>(٢)</sup>: إنه في مؤتمر القاهرة سنة ١٩٠٦م، تحدث المؤتمرون عن أهمية إرساليات التنصير الطبية وقال المستر هاربر: يجب الإكثار من الإرساليات الطبية لأن رجالها يحتكون دائماً بالجمهور ويكون لهم تأثير على المسلمين أكثر مما للمبشرين الآخرين، وهنا ذكر المستر (هاربر) حكاية طفلة مسلمة عني المبشرون بتمريضها في مستشفى مصر القديمة ثم ألحقت بمدرسة البنات البروتستانتية في باب اللوق، وكانت نهاية أمرها أن عرفت كيف تعتقد بالمسيح بالمعنى المعروف عند النصارى<sup>(٣)</sup>.

ومن طرقهم في التنصير للمرضى عند اجتماعهم في المستشفى قيام واعظ من قبل تسييس المستشفى بإلقاء قصة دينية قصيرة على جمهور المرضى المنتظرين، فإذا دخل المريض المستشفى فإنه يستمع لدرس ديني في أصيل كل يوم وقد

(١) د. إبراهيم عكاشة، ملامح عن النشاط التنصيري في البلاد العربية، ص ٢٨.

(٢) مبشر فرنسي ويعد من كبار المشرقين، يكتب في مجلة العالم الإسلامي وهو رئيس تحريرها، صاحب كتاب الغارة على العالم الإسلامي: (الغارة على العالم الإسلامي، ص ٥، وأجنحة المكر الثلاثة، ص ٢٥).

(٣) أ.ل. شاتليه، الغارة على العالم الإسلامي، ص ٣٠.

يتبعه عرض للфанوس السحري ثم توزع على المرضى النشرات لقراءتها والتسلي بها<sup>(١)</sup>.

وهذه الوسيلة خطيرة لأنها تدس السم في الدسم، فالغاية شريفة ظاهراً وقالباً، ولكنها خبيثة مضموناً وحقيقة، وذلك لأن المرض حالة من حالات الضعف البشري ويتبع هذا الضعف قصور في الإدراك الفكري يصل من خلاله الطبيب أو الممرض إلى غرضه بسهولة ويسر<sup>(٢)</sup>.

وقد وجه المنصرون اتهامات كبرى لتنصير المسلمين من خلال خدماتهم الطبية في معظم بلدان العالم الإسلامي الكبرى والصغرى، واستثمروا مؤسساتهم الطبية استثماراً واسعاً مع قيامهم بمهام التنصير. ويشير أحمد فون إلى أن الخطورة في العمل الطبي أن المسلم هو الذي يطلب مقابلة المسيحي وهو بحاجة إلى مساعدته، لهذا السبب لا يمكننا اعتبار المستشفيات والمستوصفات مجرد مؤسسات طبية وإنما يمكن وصفها بأنها مراكز تبشيرية مسيحية كاملة<sup>(٣)</sup>.

ومما لا شك فيه أن الخدمة الطبية تحظى دوماً بالأولوية في مهام المنصرين وذلك لأن المداواة في المسيحية نشاط ديني عميق الجذور عرف مع بداية معجزات المسيح عليه السلام الذي شفى المرضى، وذلك لأن للمدخل الطبي مزايا عدة، أهمها الأثر النفسي الذي يتركه في المجتمع، وبالأخص عند حاجة أهالي البلاد الماسة إليه، فقد كان الأهالي يرغبون دائماً الالتصاق بالطبيب وطلب النصيحة والمشورة منه<sup>(٤)</sup>.

وإن مما يشير الأسى أن كثيراً من عامة المسلمين يعتقد أن الأطباء النصارى

(١) عفاف صبره، المستشرقون ومشكلات الحضارة، ص ٤٦٤٥.

(٢) نادبة العمرى، أعضاء على الثقافة الإسلامية، ص ١٦٩.

(٣) أحمد فون دنفر، التبشير المسيحي في منطقة الخليج العربي، ص ٣٧.

(٤) عبد المالك خلف التميمي، التبشير في منطقة الحلة- العربي، ص ٨١-٧٩ باختصار ونصرف.

أجود من الأطباء المسلمين ، بل إن مستشفيات النصارى عنده أفضل مستوى من المستشفيات الوطنية في بلاد المسلمين .

ثانيًا : استغلال التعليم :

لقد صار في حكم المؤكد أن التعليم أفضل طرق التنصير غير المباشرة<sup>(١)</sup> ، حيث إنه من أقوى المؤثرات الفكرية على الإطلاق<sup>(٢)</sup> .

لقد كان التعليم يحظى باهتمام الإرسالية الأمريكية العربية كوسيلة للتبشير فهو يتصل بالخلق المسيحي لاعتقاد المسيحيين أن المسيح كان معلمًا ، وكان يدعو أتباعه دومًا لنشر تعليمه بين الناس<sup>(٣)</sup> .

رغم أنه في المراحل المبكرة للنشاط التنصيري لم يكن ينظر للتعليم كوسيلة من وسائل نشر النصرانية ، بل غالباً ما كان ينظر إليه كموضوع يتعارض مع الهدف الرئيسي الذي أنشئت الإرساليات من أجله ، وقد تغيرت هذه النظرة عندما أثبت التجارب في ميادين التنصير في القرن الثالث عشر الهجري أن التعليم أفضل الوسائل لنشر النصرانية<sup>(٤)</sup> .

كما قال المبشر «ماك دوالد»<sup>(٥)</sup> : ليس هناك ثمة وسيلة للتأثير على المواطنين أفضل من جمع أبنائهم في حجرات الدراسة<sup>(٦)</sup> .

(١) د . عمر فروخ وزميله ، التبشير والاستعمار ، ص ٦٩ .

(٢) أحمد عبد الوهاب ، حقيقة التبشير بين الماضي والحاضر ، مكتبة وهبة القاهرة ، طبعة أولى ١٤٠١ هـ ، ص ١٦٦ .

(٣) عبد المالك التميمي ، التبشير في منطقة الخليج ، ص ١٥٩ .

(٤) إبراهيم عكاشة . ملامح عن النشاط التنصيري ، ص ٢٩ .

(٥) هو أمريكي من أشد المتعصبين ضد الإسلام والمسلمين يصدر في كتاباته عن روح تبشيرية متأصلة ، من كبار محرري دائرة المعارف الإسلامية ، من كتبه «تطور علم الكلام ، الفقه والنظرية الدستورية في الإسلام ، صدر عام ١٩٠٣ م ، والموقف الديني والحياة في الإسلام ، صدر عام ١٩٠٨ م» (الفكر الإسلامي الحديث ، محمد البهي ، ص ٤٥١) .

(٦) إبراهيم عكاشة ، التبشير النصراني في جنب السجون ، ص ١٧١ .

والمنصرون يضعون كل ثقلهم في استغلال التعليم وتوجيهه بما يخدم أهدافهم التبشيرية<sup>(١)</sup>.

والمنصرون يدركون أن الناس بطبيعتها تحب التعلم، وتكره الأمية، وأن المتعلم يمكنه أن يقرأ ما يراى له أن يقرأه بخلاف الأمي العاجز عن القراءة. ولذلك يرى المنصرون في خططهم أن تعليم الشعوب القراءة والكتابة يساعد المنصر على التغلب على المشكلات الرئيسية التي عاوده ما كانت تواجهه كالتعصب، الذي هو سمة للأمين<sup>(٢)</sup>.

فأنشأوا مدارس تبشيرية تعليمية في مختلف المجالات التعليمية، فيما دون المرحلة الجامعية التي هي من اختصاص المستشرقين، وقد أسسوا في هذا المجال مدارس كثيرة في بلدان العالم الإسلامي من دور الحضارة حتى شهادة الدراسة الثانوية<sup>(٣)</sup>.

وقد حاولوا بهذه المدارس أن يضيقوا الخناق على المدارس والمؤسسات الوطنية وأن يأخذوا الطفل منذ نعومة أظفاره عجينة لينة، فيبعدوه عن الإسلام بقدر ما يقربونه من النصرانية<sup>(٤)</sup>.

وهذه المدارس تقوم الدراسة فيها على أسس غربية، يشرف عليها المبشرون ويراقبونها ويوجهونها ويضع لها المبشرون المناهج والكتب التي تدرس فيها<sup>(٥)</sup>. وكان المنصرون يعتبرون المدارس شرطاً أساسياً لنجاح التبشير لأنها لن تفرز إلا هياكل بشرية خالية من الفضائل والأخلاق والمثل العليا، وهم لا يكلفون

(١) الموسوعة البيرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، ص ١٦٦.

(٢) إبراهيم عكاشة، التبشير النصراني في جنوب السودان، ص ١٧١ - بتصرف..

(٣) نادية العمري، أضواء على الثقافة الإسلامية، ص ١٦٨.

(٤) عفاف صبره، المستشرقون ومشكلات الحضارة، ص ٤٢.

(٥) المرجع السابق، ص ٣٤.



بمهمة التبشير والتعليم في هذه المدارس إلا بعد أن يتموا دراسة بعض ما كتبه أشد المستشرقين تعصباً وحقداً على الإسلام والمسلمين<sup>(١)</sup> :

من أمثال : (جولد نسيهر) : ١٨٥٠-١٩٢٠ م، وهو مجرى يهودي عرف بعدائه للإسلام وبخطورة كتاباته عنه وهو من محزبي دائرة المعارف الإسلامية، كتب عن القرآن والحديث ومن كتبه «تاريخ مذاهب التفسير الإسلامي» وقد أصبح زعيم الإسلاميات في أوروبا بلا منازع<sup>(٢)</sup>.

وكذلك (س. م. زويمر) : مستشرق أمريكي اشتهر بعدائه للإسلام مؤسس مجلة العالم الإسلامي الأمريكية التبشيرية، ورئيس إرسالية التبشير العربية في البحرين، ورئيس جمعيات التنصير في الشرق الأوسط، ومنذ عام ١٨٩٢ م، قدمت له الكنيسة الإصلاحية الأمريكية دعمها الكامل وأبرز مظاهر عمل البعثة التي أسسها «زويمر» كان في حقل التطبيب في منطقة الخليج ويعد زويمر من أكبر أعمدة التنصير في العصر الحديث، وهو أول من ابتكر فكرة عقد مؤتمر عام يجمع إرساليات التبشير للتفكير في مسألة نشر الانجيل بين المسلمين وكان ذلك في القاهرة سنة ١٩٠٦ م، وتقديراً لجهوده التبشيرية أنشأ الأمريكيون وفقاً باسمه على دراسة اللاهوت وإعداد المبشرين.

قالت عنه المجلة الفرنسية إنه الرجل الذي لا يهزم لأنه درس الإسلام سنين طويلة بعد أن عاش سنين أطول بين الشعوب الإسلامية التي يحبها حباً جماً، وقد وضعوا له لوحة تذكارية في فناء معهد اللاهوت في (نيويورك) في أمريكا، وله كتاب «العالم الإسلامي اليوم» وهو ناشر كتاب (الإسلام) وهو مجموعة مقالات قدمت للمؤتمر التبشيري الثاني<sup>(٣)</sup>.

(١) إبراهيم الجبهان، معاول اخدم والتدمير، ص ٣٥.

(٢) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، ص ١٦٠/٣٥.

ومحمد البهي، الفكر الإسلامي الحديث، ص ٤٤٨.

(٣) عبد المالك التميمي، تبشير في منطقة الخليج، ص ٢٠٦، والموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، ص ٦٣-٦٤ و(أ. ل. شاتليه)، الغارة على العالم الإسلامي ص ١٥٢-١٩٠ ومحمد البهي،

الفكر الإسلامي الحديث، ص ٤٤٨.

ثم (جون ماينارد) وهو أمريكي متعصب من محرري مجلة الدراسات الإسلامية.

و(أ. ج. فينسينك) عدو الإسلام له كتاب «عقيدة الإسلام». وكذلك (جوزيف شاخت) ألماني متعصب ضد الإسلام له كتاب «أصول الفقه الإسلامي»<sup>(١)</sup>.

ويلاحظ أن جميع المدارس الأجنبية التنصيرية تسير على سياسة الاستغناء عن المعلم المسلم ما أمكن، فهم يحاولون الاستغناء عن المسلمين وإيصال أمر التعليم إلى الأجانب أو المسيحيين<sup>(٢)</sup>.

أما المادة التي تدرس في هذه المدارس فإنها تتركز أساساً على تلقين مبادئ النصرانية عن طريق السؤال والجواب، مثل :

س : من هو يسوع المسيح؟

ج : يسوع المسيح ابن الله تأنس من أجلنا.

س : هل للكنيسة رئيس يمكن رؤيته على الأرض؟

ج : للكنيسة رئيس يمكن رؤيته على الأرض إنه أسقف روما الجد الأعظم قداسة البابا.

وإذا تتبعنا السلم التعليمي وجدناه في النهاية يستهدف تكوين مجتمع نصراني متكامل من ناحية الكفاءة الإنتاجية<sup>(٣)</sup>.

وقد قامت هذه المدارس والجامعات بدورها المعد لها قياماً فعالاً في خدمة الأغراض الاستعمارية وأهمها بث روح الولاء للغرب وإبعاد الجيل الحاضر رويداً رويداً عن الشخصية الإسلامية والثقافة الدينية<sup>(٤)</sup>.

(١) الموسوعة الميسرة في الأديان، ص ١٦٠/٣٥.

(٢) د. عمر فروخ ود. مصطفى خالدي، التبشير والاستعمار، ص ٧١.

(٣) إبراهيم عكاشة، ملامح عن النشاط التنصيري، ص ٣٠.

(٤) نادبة العمري، أضواء على الثقافة الإسلامية، ص ١٦٨-١٦٩.

وكثيراً ما أثرت المدارس التبشيرية في نفوس الأطفال البريئة ، ناذاً بالطفل المسلم يردد صلواتهم ويترنم بشركهم من حيث لا يدري ولا يشعر، وقد أثروا على الكبار أيضاً فذبلت الشخصية الإسلامية عندهم وأول بوادر هذا الذبول التهاون في أداء العبادات، وفي إظهار الشعائر الإسلامية الأساسية<sup>(١)</sup>. ومن آثار تلك المدارس، الجامعة الأمريكية في مصر، والجامعة الأمريكية في بيروت<sup>(٢)</sup>، وقد قاموا من خلال هذه المدارس بتجميع المناهج الإسلامية باسم التطوير وإشاعة الاختلاط في هذه المدارس<sup>(٣)</sup>.

ثالثاً : التنصير الخفي أو (أصحاب الخيام) : وهو وصف لأصحاب المهن، وهنا يختلف المبشرون في أسلوب عملهم فهذه الطريقة يزداد استعماؤها من قبل المبشرين المسيحيين في مناطق مغلقة مثل منطقة الخليج، فهم عند دخولهم إلى الدول المسلمة لا يتظاهرون بالتبشير مطلقاً ويقولون إنهم دخلوا المنطقة كمهنيين، ومعلمين، وأطباء<sup>(٤)</sup>...

ويرجع تاريخ هذا الأسلوب التنصيري إلى عهد مبكر في تاريخ النصرانية إلى أيام القديس «بولس»<sup>(٥)</sup> الرسول - كما يسمونه عندهم - حيث يقال إنه قد اتخذ تجارة الخيام مصدراً لتمويله في رحلاته التنصيرية في القرن الأول الميلادي<sup>(٦)</sup>. وهذا الأسلوب تستخدمه الإرساليات في الوقت الحاضر ليس من أجل أسباب اقتصادية، وإنما كوسيلة للتسرب إلى مناطق العالم التي عجز التنصير

(١) نادية العمري، أضواء على الثقافة الإسلامية، ص ١٦٨-١٦٩.

(٢) د. علي جريشة وزميله، أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي، ص ٣١-٦٧.

(٣) المرجع السابق.

(٤) أحمد فون دنفر، التبشير المسيحي في منطقة الخليج، ص ٨، ٩.

(٥) كان يهودياً مشهوراً بحقده على النصارى وكان يعذبهم وهو من أشد أعداء النصرانية ونجاة وهو في طريقه لدمشق قرر أن يكون نصرانياً، فرجع إلى الأردن وتنصر، وهو أبو النصرانية الحديثة الآن، وهو يروي أن تنصره كان نتيجة مشاهدة نور خلال رحلته لدمشق أو لرؤيا رآها، وكان اسمه «شاؤل»، (الطهطاوي، النصرانية والإسلام، ص ٢٤٨).

(٦) إبراهيم عكاشة، ملامح عن النشاط التنصيري، ص ٣٢-٣٣.

المباشر عن الوصول إليها ، وأهم ما يستهدفه هذا النوع من التنصير هو تعريف المواطنين بالسلوك النصراني وتوزيع الإنجيل والشرائح النصرانية سرًا ، وعن طريق هذا الأسلوب تصبح النصرانية أمرًا مألوفًا بالنسبة لقطاعات الشعب المختلفة وتزول ظواهر الشك والريبة وسيتيح ذلك بعد جيل أو جيلين المجال للتنصير العلني ، وفي المؤتمرات ينصحون المنصرين السريين باحترام القانون والتوسع في العلاقات الشخصية<sup>(١)</sup>.

والمبشرون المعاصرون يستعملون هذه الطريقة ليس فقط للدلالة على عدم حاجة المبشر للمال وإنما للدلالة على طريقة نفوذ هذا المبشر بدون أن يلاحظه أحد في أنحاء من العالم غير المفتوحة لأعمال التبشير<sup>(٢)</sup>. وإذا تساءلنا : لماذا صانعوا الخيام يقولون : أحيانًا يستطيع صانع الخيام أن يعمل في منطقة لا يدخلها المبشرون؟<sup>(٣)</sup>.

والجواب على ذلك هو ما ذكرناه سابقًا من أنهم يدخلون متخفين في هيئة معلمين أو مهنين ونحو ذلك .

رابعًا : التنصير الوطني : وذلك بتربية منصرين من الأهالي في البلاد التي يدخلها التنصير يقومون بمسؤولية التنصير عن طريق كنيستهم الوطنية بدلاً من المنصرين الأجانب .

والمنصرون ينتشرون في البلاد التي تكثر فيها الحروب والمجاعات وبالتالي تكثر فيها الجماعات المشردة ، فهنا تهتم الإرساليات بالتنصير الوطني بينهم فقد بدأوا بتنظيم معاهد علمية متخصصة لإعداد منصرين من أبناء المنطقة ، ومن هذه المعاهد معهد «صموئيل زويمر» في باسادينا بولاية كاليفورنيا ، الذي أنشأ برنامجًا تدريبيًا أكاديميًا للتنصير بين المسلمين وأيضًا توجد منظمات متعددة

(١) إبراهيم عكاشة ، ملامح عن النشاط التنصيري ، ص ٣٢-٣٣ .

(٢) أحمد فون دنفر ، التبشير المسيحي في منطقة الخليج ، ص ٩ .

(٣) المرجع السابق ، ص ١٠ .

كرست نشاطها لتقديم المساعدات للإرساليات الموجهة للمسلمين<sup>(١)</sup>.  
خامساً : التنصير عن طريق الإعلام : وذلك بتسخير مجالاته المتعددة :  
(أ) - الصحافة والطباعة :

لقد قام المبشرون باستغلال الصحافة بشكل واسع<sup>(٢)</sup>، فإن الكلمة المكتوبة من الوسائل المهمة لتأثير المنصرين على أفكار الناس في ميادين التنصير<sup>(٣)</sup>، فمنذ انتهاء الحرب العالمية الأولى والمبشرون يسعون إلى استغلال الصحافة استغلالاً واسعاً في سبيل التبشير لأنهم يرون أن المسلمين يكثرون من قراءة الصحف<sup>(٤)</sup>، ويقرر «جب»<sup>(٥)</sup> أن الصحافة هي أقوى الأدوات الأوربية وأعظمها نفوذاً في العالم الإسلامي<sup>(٦)</sup>، وجنبا إلى جنب مع هؤلاء المبشرين الصامتين يجري توزيع المطبوعات<sup>(٧)</sup>، ونظراً للدور الذي يلعبه هذا الجانب في مجال التنصير تخصصت بعض الإرساليات في مجال الطباعة والنشر من بينها :

١ - رابطة الإيمان لمساعدة الإرساليات : وهي منظمة لا تنتمي إلى طائفة معينة، ومجال اختصاصها مساعدة الإرساليات في مجال الطباعة ونشر الكتب والمؤلفات عن الإسلام للمنصرين الذين يعملون بين المسلمين<sup>(٨)</sup>، ولا تسأل عما تتركه تلك الكتب من تشويه لقيم الإسلام، وإثارة للشبهات في أذهان شباب المسلمين خاصة أنها توزع مجاناً، أو بأسعار ميسرة ليقتنيها أكثر الناس.

(١) د. إبراهيم عكاشة، ملامح عن النشاط التنصيري في الوطن العربي، ص ٩.

(٢) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، ص ١٦٧.

(٣) إبراهيم عكاشة، ملامح النشاط التنصيري، ص ٣٥.

(٤) د. عمر فروخ وزميله، التبشير والاستعمار، ص ٢١٢.

(٥) مستشرق إنجليزي من كتبه «المذهب المحمدي» الاتجاهات الحديثة في الإسلام، جبهة الإسلام،

وقد قرر ذلك في كتابه جبهة الإسلام، (الموسوعة الميسرة ص ٣٦).

(٦) عفاف صبره، المستشرقون ومشكلات الحضارة، ص ٤٦.

(٧) أحمد دنفر، التبشير المسيحي في الخليج، ص ٧.

(٨) إبراهيم عكاشة، ملامح عن النشاط التنصيري، ص ٣٦-٣٥.

٢ - منظمة نشر النصرانية في الشرق الأوسط : وهي منظمة بروتستانتية<sup>(١)</sup>، ومجال أنشطتها إنتاج وتوزيع المطبوعات النصرانية باللغة العربية<sup>(٢)</sup>. وبالطبع فالمهمة الأولى التي يسعى المبشرون لتحقيقها هي ترجمة الكتاب المقدس<sup>(٣)</sup>، وقد كانت المطبوعات من أضعف أساليب التبشير التي لجأت إليها الإرسالية في الخليج وذلك يرجع إلى عاملين رئيسيين :

أ - من ناحية الكمية، كانت كمية المطبوعات ونوعيتها محدودة.

ب - إن عرب المنطقة الذين هم من المسلمين كانوا يملكون ثروة غزيرة من الأدب المحلي والكتابة الدينية المكتوبة بلغتهم<sup>(٤)</sup>، ولذلك فإقبالهم على غيرها قليل، بخلاف الشعوب التي تفتقد ذلك، فإن إقبالها على المنشورات الوافدة أكثر.

وكذلك كان المبشرون يعتمدون كثيراً على توزيع الكتب المقدسة وبخاصة الإنجيل<sup>(٥)</sup>، يقول «زويمر» : (يجب نشر الكتاب المقدس بلغات المسلمين لأنه أهم عمل مسيحي) على أنه قد تم جزء من هذه المهمة بعد أن طُبع في بيروت ستة وأربعون مليون نسخة . . . . . ٤٦ من الكتاب المقدس<sup>(٦)</sup>. وكانوا يستغلون إمكاناتهم الواسعة المادية والعلمية والبشرية لطبع ملايين من الكتب الدينية المسيحية، والرسائل والمنشورات وتوزيعها على المسلمين<sup>(٧)</sup>، ومن هذه الكتب التي ألفوها واجتهدوا في نشرها :

(١) أي تتبع الكنيسة البروتستانتية ويرجع ظهورها إلى حركة الإصلاح الديني التي قادها الراهب الأرمني والأستاذ الجامعي «مارتن لوتر» ١٤٨٣-١٥٤٦ م. (إبراهيم عكاشة - التبشير النصراني في جنوب السودان، ص ٢٩).

(٢) إبراهيم عكاشة، ملامح عن النشاط التنصيري، ص ٣٦.

(٣) عبد المالك التميمي، التبشير في منطقة الخليج العربي، ص ٢٣٩.

(٤) المرجع السابق، ص ٢٤٧.

(٥) المرجع السابق، ص ٢٩.

(٦) أ. ل. شاتليه، الغارة على العالم الإسلامي، ص ٢٩.

(٧) عبد الرحمن الميداني، أجنحة المكر الثلاثة، ص ١٠٥-١٠٨.

- ١ - الباكورة الشهية في الروايات الدينية .
- ٢ - أصول الإيمان .
- ٣ - الصليب في الإنجيل والقرآن .
- ٤ - شخصية المسيح في الإنجيل والقرآن .
- ٥ - دين المسيح لا لم ينسخ<sup>(١)</sup>، وهو كتيب تبشيري كان يبعث به عن طريق صناديق البريد ومؤلفه هو «اسكندر جديد»<sup>(٢)</sup> ولقد وزعوا خلال مائة وخمسين عاماً ما يزيد عن ألف مليون نسخة من نسخ العهد القديم والجديد مترجمة إلى ألف ومئة وثلاثين لغة عدا النشرات والمجلات التي تبلغ قيمتها بما يقدر بسبعة آلاف مليون دولار<sup>(٣)</sup>، ولا زالوا مستمرين في ذلك .
- وهم يبشرون هذه المنشورات بين صفوف المسلمين مقرونة بالأساليب الودية والوعد بتلبية المطالب<sup>(٤)</sup> .
- أما المجلات التنصيرية التي صدرت في بلدان مختلفة، فهي أكثر من أن يحصوها العدد، ويضاف إلى ذلك أن في العالم كله جرائد ومجلات سياسية وأدبية وعلمية لا تظهر عليها صبغة التنصير، ولكنها في الحقيقة وسائل قوية من وسائل المبشرين، ومع هذا فليس هناك كتاب واحد باللغة العربية يكشف النقاب عن غايات المنصرين الحقيقية<sup>(٥)</sup>، ففي لبنان ومصر على سبيل المثال جرائد مخصصة لصالح التنصير<sup>(٦)</sup> .

(١) عبد الرحمن الميداني، أجنحة المكر الثلاثة، ص ١٠٥-١٠٨ .

(٢) أحمد دنفر، التبشير المسيحي في منطقة الخليج ص ٣١ .

(٣) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب، ص ١٦٧ .

(٤) الميداني، أجنحة المكر، ص ١٠٥ .

(٥) د. عمر فروخ وزميله، التبشير والاستعمار، ص ٢٨ .

(٦) نادبة العمري، أضواء على الثقافة الإسلامية ص ١٧١ .

ولقد استغل المبشرون جميع أوجه النشاط في مجال الكتب للتبشير، من هذه الأوجه إنشاء مكتبات لبيع الكتب في الظاهر ولتكون ستاراً لإدارة أعمال التنصير<sup>(١)</sup>، وتوزيع منشوراته وكتبه.

(ب) - الإذاعة : وقد أدرك المنصرون أهمية الإذاعات في الوصول إلى أسباع العالم ولهذا أنشأوا الإذاعات الخاصة بالدعوة إلى النصرانية ونشر الإنجيل إما بصورة علنية ظاهرة أو بصورة خفية متوارية : ومن هذه الإذاعات :

أ- إذاعة «مونت كارلو».

ب- إذاعة «مركز النهضة».

ج- إذاعة «صوت الغفران»<sup>(٢)</sup> وغيرها.

وهذه الإذاعات المسيحية تبث يوميًا من محطات مختلفة إلى الخليج وإلى مختلف البلاد العربية والإسلامية.

ولديهم أساليب مختلفة لاجتذاب المستمعين، من بينها تقديم نشرات إخبارية علمية وسياسية واقتصادية يعتبرها كثير من المستمعين ممتازة وصریحة، وأظهر مثال لذلك هيئة الإذاعة البريطانية، كما أنها تبث برامج لتعليم اللغة الانجليزية للشعوب الناطقة بالعربية، وفي نهاية البرنامج يسألون المستمع إذا كان يرغب في اقتناء كتاب يحوى نصوصاً عربية مترجمة إلى الانجليزية، وفي حال الموافقة يرسلون له إنجيلًا مترجمًا<sup>(٣)</sup>.

(ج) - التلفزيون : وقد كان دوره محدودًا، حتى عهد قريب عندما تطورت فكرة البث المباشر عبر الأقمار الصناعية، إلى جميع مناطق العالم، حيث خصصت محطات تلفزيونية للبث التنصيري إلى الدول الإسلامية، وبدأت نشاطها بالفعل في شمال أفريقيا<sup>(٤)</sup>.

(١) د. عمر فروخ وزميله، التبشير والاستعمار، ص ٢٧.

(٢) عبد الرحمن الميداني، أجنحة المكر الثلاثة، ص ١٠٥.

(٣) أحمد دنفر، التبشير المسيحي في منطقة الخليج، مرجع سابق، ص ٦.

(٤) البث المباشر، د. ناصر العمر.



سادساً : البعثات إلى الدول المسيحية : وهي من أخطر الوسائل في تنصير أبناء المسلمين ، وذلك بمحاولة التأثير الفكري والثقافي على عقليتهم ، ومحاولة بث الشكوك حول العقيدة الإسلامية واغرائهم بوسائل التقدم المدني الباهر في الغرب حتى يفتنوا عن دينهم فيعودون إلى بلادهم وقد تغيرت أفكارهم وقيمهم ونظرتهم إلى الدين وإلى الماضي والحاضر والشرائع ، وقد بدأ يتضح ذلك في سلوكهم وأخلاقهم وعلاقاتهم وفيما يكتبون ويتجولون في ميدان الفكر والثقافة والتوجيه<sup>(١)</sup>.

وأول مثل لأثر البعثات . . ما حدث لرفاعة الطهطاوي الذي أقام في باريس من عام ١٢٤٤ هـ إلى عام ١٢٤٧ هـ ، ثم عاد بغير عقل ولادين ، فقد عاد يتحدث عن الرقص الذي رآه في باريس بأنه نوع من الأناقة والفتوة لا الفسق ، وتحدث عن المشاعر الوطنية لجعلها تحل محل المشاعر الدينية<sup>(٢)</sup> ، وما حصل لطفه حسين هو من هذا القبيل ، ولا يزال هذا المجال مفتوحاً لإفساد شباب المسلمين ، وصرفهم عن دينهم وأخلاقهم .

سابعاً : التنصير عن طريق النساء :

لم يرغب عن المنصرين أهمية المرأة في المجتمع لذلك فقد اهتموا بها ، لتنصيرها والتنصير بها ، لذلك جعلوا ييشرون في مستشفيات النساء ، وكذلك أرسلوا الطبيبات المنصرات إلى البيوت والقرى للاتصال المباشر بالنساء ، ولقد استغل المنصرون كل شيء في سبيل التنصير أو محاولة التنصير حتى الممرضات ، فقد حرصوا على إنشاء مدارس للتمريض ، لأنهم يرون أن الممرضة لا تعمل على تخفيف الألم عن المرضى فقط بل تحمل اليهم أيضا رسالة المسيح<sup>(٣)</sup>.

(١) عفاف صبرة ، المستشرقون ومشكلات الحضارة ، ص ٤٢ .

(٢) د . علي جريشة وزميله ، أساليب الغزو الفكري ، ص ٣١ .

(٣) د . عمر فروخ وزميله ، التبشير والاستعمار ، ص ٦٤ .

وكانوا يهتمون بزيارة المنصرات لمنازل المسلمين وإلقائهن المحاضرات الخاصة<sup>(١)</sup>، والمبشرون يهتمون بالمرأة لأن الوصول بالتبشير إليها وصول إلى الأسرة كلها، وصفق المبشرون باليدين لأن المرأة المسلمة قد تحطت عتبة دارها، لقد خرجت إلى الهواء، لقد نزعَتْ عنها حجابها، ولكنهم لا يصفقون لأن المرأة المسلمة قد فعلت ذلك فقط، بل لأن عقلها يتيح للمبشرين أن يتغلغلوا عن طريق المرأة في الأسرة بتعاليمهم التبشيرية<sup>(٢)</sup>.

وقد استقدم المبشرون أعداداً غفيرة من المبشرات النصارى في محاولة إلى الاقتراب من المرأة المسلمة وقد أقام المبشرون نوادٍ نسائية، ووضعوا كتباً موجهة إلى المرأة المسلمة تحاول إبعادها عن دينها وعقيدتها<sup>(٣)</sup>، وقد شجعوا الشباب المسلم بالزواج بالفتيات المسيحيات<sup>(٤)</sup>.

وشيوخ الزواج بغير المسلمات في أي مجتمع هو من الخطورة بمكان وتمثل هذه الخطورة بما يلي :

(١) حينما تكثر الزوجات غير المسلمات فلنهن يتخللن هذه المجتمعات ويضعفن فيها الحياة الإسلامية<sup>(٥)</sup>.

(٢) كما يسلب الزواج بغير المسلمات المجتمع الإسلامي عدداً من الرجال، فيزيد فيه عدد النساء فيخلق مشكله أو يعقد المشكله الناشئة في مجتمعنا من زيادة عدد النساء على الرجال.

(٣) تبلغ الخطورة مداها حين نعلم أن نقرأ من القادة العرب من القائمين على رأس الحركات القومية متزوجون بغير مسلمات<sup>(٦)</sup>.

(١) أ. ل. شاتليه، الغارة على العالم الإسلامي، ص ٣٤.

(٢) د. عمر فروخ وزميله، التبشير والاستعمار، ص ٢٠٣.

(٣) سعد صالح، احذروا الأساليب الحديثة، ص ٦٧.

(٤) د. عمر فروخ وزميله، التبشير والاستعمار، ص ٢٠٥.

(٥) سعد صالح، احذروا الأساليب الحديثة، ص ٦٨.

(٦) المرجع السابق. - بتصرف -.

ونعود إلى موضوعنا «الأعمال النسائية» بعد أن تطرقنا إلى موضوع «الزواج بغير المسلمات» لأهميته ومساسه بالواقع.

يقول نفر من المبشرين «بما أن الأثر الذي تحدثه الأم في أطفالها حتى سن العاشرة من عمرهم بالغ الأهمية، وبما أن النساء هن العنصر المحافظ في الدفاع عن العقيدة، فإننا نعتقد أن الهيئات التبشيرية يجب أن تؤكد جانب العمل بين النساء المسلمات على أنه وسيلة مهمة في التعجيل بتحويل البلاد الإسلامية إلى المسيحية».

وقد ابتكر المنصرون وسيلة لتصيد الفتيات اللاتي يتعرضن لأزمات عائلية أو اقتصادية وتنصيرهن وقد لخص هذه الوسيلة مؤتمر قسنطينة التبشيري الذي انعقد في الجزائر بما يلي :

«إن الحاجة الملحة المستعجلة لنا هي إلى إنشاء بيت أو بيوت للفتيات المطلقات وللأرامل والصغار، ويجب أن تكون هذه البيوت مؤسسات كبيرة، بل أماكن يجيم عليها الجو العائلي، ثم تفرق النساء فيها حسب أحوالهن وحاجاتهن...

وأخيرا نرى أمثال هؤلاء النسوة يكن في أثناء مكثهن في هذه البيوت تحت تأثير الإنجيل ثم إننا نختار منهن أولئك اللواتي يرجى أن يمرن أكثر من غيرهن ليكون بدورهن منصرات بين قومهن»<sup>(١)</sup>.

وهكذا تنتزع أساليب المنصرين وتعدد وسائلهم فلا تعدو جميعها أن تكون فخاخاً للصيد.

والذي يؤسف له أن التنصير ليس له غاية في ذاته لأنه لا يدعو إلى حق تدعّمه الأدلة العقلية أو الأدلة العلمية إنما يدعو إلى دين تعرض للتحريف والتبديل في أصوله الأولى ولا يتمسك أتباعه به إلا بدافع التعصب الأعمى<sup>(٢)</sup>.

(١) عبد الرحمن الميداني، أجنحة المكر الثلاثة، ص ٧١-٧٢.

(٢) المرجع السابق- بتصرف..

ثامناً : المؤتمرات التنصيرية : وهذه صارت تعقد على مسمع ومرأى من العالم كله ، ومن أشهرها :

١ - مؤتمر القاهرة سنة ١٩٠٦ م في منزل أحمد عرابي زعيم الثورة المصرية آنذاك ، برئاسة «زويمر» .

٢ - مؤتمر «لكنو» عام ١٣١٩ هـ ، بالهند .

٣ - مؤتمرات القدس سنة ١٣٤٩ و ١٣٥٤ و ١٣٨٠ هـ<sup>(١)</sup> ، وغيرها كثير ، ولنعرف مدى خطورة هذه المؤتمرات ننبه إلى بعض النصائح التي ألقيت في واحد من هذه المؤتمرات وهو مؤتمر «القاهرة» ، فمن النصائح التي وجهها «زويمر» للمبشرين مايلي :

أ - يجب إقناع المسلمين بأن النصارى ليسوا أعداء لهم .

ب - يجب نشر الكتاب المقدس بلغات المسلمين لأنه أهم عمل مسيحي .

ج - تبشير المسلمين يجب أن يكون بواسطة رسول من أنفسهم لأن الشجرة يجب أن يقطعها أحد أعضائها .

د - ينبغي للمبشرين أن لا يقتطعوا إذا رأوا نتيجة تبشيرهم للمسلمين ضعيفة<sup>(٢)</sup> .

والمؤتمرات مستمرة تعقد ويخطط لها هنا وهناك ، كما قال الله تعالى ﴿ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا﴾<sup>(٣)</sup> .

تأسعاً : نشر المبادئ والأفكار الهدامة : مثل :

أ - الدعوة إلى العلمانية :

وهي دعوة إلى إقامة الحياة على غير الدين وتعني في جانبها السياسي اللادينية في الحكم ، وهي اصطلاح لاصلة له بكلمة العلم والمذهب العلمي ، وإنما

(١) د. علي جريشة وزميله، أساليب الغزو الفكري، ص ٣٢

(٢) أ. ل. شاتليه، الغارة على العالم الإسلام، ص ٢٩-٣٠ .

(٣) البقرة- ٢١٧ .

العلمانية بالانجليزية هي "SECULARISM" وترجمتها الصحيحة : اللادينية أو الدنيوية<sup>(١)</sup>.

فمن أساليب نشر العلمانية الدعوة إلى فصل الدين عن الدولة ورد النتائج والأسباب للطبيعة أو إلى المصادفة، وهنا يكمن الخطر الشديد الذي يبذر بذور التشكيك في نفوس المسلمين ويؤدي إلى اضطراب في القيم والمفاهيم لدى المسلم، فتنازعه التيارات المتعاكسة المتضادة، فتضيع ملامح شخصيته وتنهار قواه الذاتية ويحلج عنه الرداء الإسلامي . . . . . وبهذا يتحقق للتبشير غرضه الخطير<sup>(٢)</sup>.

ب - الدعوة إلى اللهجات العامية في البلاد العربية :  
لأنه إذا تمكن المنصرون من حمل العرب على الكتابة باللهجات العامية أصبح لكل قطر لغة خاصة يصعب على غيره من الأقطار التفاهم معه بها، وبهذا تنقطع الأواصر بين البلاد العربية .  
ثم هم يجتهدون مع ذلك لإقناع العرب بالكتابة بالحرف اللاتيني مكان العربي، ليجتمع الشران شر اللهجات العامية، والحرف اللاتيني، ل يتم فصل هذه الأمة عن لغتها الخالدة، اللغة العربية الفصحى، لغة القرآن الكريم .  
ويحاول المنصرون تعلم اللهجات العامية للأقطار العربية والإسلامية، ليتمكنوا من الوصول إلى الناس، وفي نفس الوقت يشيعون بين الناس أن اللغة العربية صعبة، وتحتاج إلى تبسيط ولذلك رفعوا لواء تبسيط اللغة العربية ونحوها .

والمنصرون إضافة إلى تعلمهم اللهجات العامية يجتهدون في دراسة القرآن الكريم ثم يخاطبون العوام حول معانيه بأساليب بسيطة ومحرقة على قدر أفهام العوام<sup>(٣)</sup>.

(١) عفاف صبرة، المستشرقون ومشكلات الحضارة ص ٤٦-٤٧ .

(٢) نادية العمري، أضواء على الثقافة الإسلامية، ص ١٦٩ .

(٣) انظر التبشير والاستعمار، خالددي وفروخ ص ٢٢٤-٢٣٠، وأجنحة المكر الثلاثة، ص ٢٩٦ وما بعدها.

جـ- الدعوة إلى تحديد النسل بين المسلمين :

في الوقت الذي يشجع المنصرون شعوبهم النصرانية على الإكثار من النسل، ويجعلون حوافز لمن يفعل ذلك، خاصة بين نصارى البلاد العربية والإسلامية، ويشجعون الزواج المبكر، نجدهم يحرصون على دعم حركة تحديد النسل بين المسلمين بقوة، وينفقون على الدعاية والإعلان لهذه الفكرة وترويجها مبالغ طائلة.

وفي مصر حيث الصراع الطائفي الشديد بين النصارى والمسلمين يجتهد النصارى في هذا الأمر بكل الوسائل، إلى درجة أنهم يحضون الأطباء منهم على إقناع المسلمات بضرورة تحديد النسل، ويزيد خطرهم إذا علمنا أن ٦٥٪ من القائمين على الطب منهم<sup>(١)</sup>.

عاشراً : بناء أكبر عدد ممكن من الكنائس في بلاد المسلمين :

ويجتهد النصارى في بناء الكنائس بكثرة، ولو في أحياء لا يوجد فيها نصارى، ويهتمون بمظهر هذه الكنائس لتلفت الانتباه، وإذا وجدت هذه الكنائس جلبوا لها من يعمل فيها ويكون نواة لمجتمع مسيحي، وهكذا توجد الكنيسة قبل أن يوجد النصارى، ثم تكون سبباً لتواجدهم حولها<sup>(٢)</sup>.

إضافة إلى أنهم يوفرّون بجانب هذه الكنائس خدمات اجتماعية كالخدمات الطبية، والخيرية والاجتماعية، ودور المسنين، ونحوها حتى يرضى الناس عن هذه المؤسسة التي تقدم لهم خدمات مجانية.

وعن طريق هذه الكنائس توزع المنشورات والكتب المسيحية، والأناجيل المترجمة مجاناً.

حادى عشر : التنصير عن طريق العلاقات الاجتماعية مع المسلمين :

فكثيراً ما يعمل النصارى المقيمون بين المسلمين على إقامة علاقات اجتماعية

(١) انظر الموسوعة الميسرة للاديان والمذاهب المعاصرة، ص ١٦٧.

(٢) انظر حقيقة التبشير بين الماضي والمستقبل. أحمد عبد الوهاب، ص ١٧٨، ١٧٩.

وأسرية بينهم وبين المسلمين الذين يحتكون بهم في الأعمال المختلفة في الشركات والسفارات والمستشفيات ونحوها .

وعن طريق هذه العلاقات يتم نشر أفكار النصارى بين المسلمين بطرق غير مباشرة، وتجذب أكثر من يخلط بالنصارى من المسلمين يكتسب عاداتهم في الاختلاط بين الجنسين، والتبرج والسفور بدعوى التمدن والتطور، وكذلك استعمال آلات اللهو والموسيقى الفاحشة، وربما تعاطي المسكرات ونحوها من القمار، والميسر والرشوة، وتعلم الحيل المحرمة، والنفاق الاجتماعي ونحوها .

وشيئاً فشيئاً حتى تنشأ المحبة بين المسلمين وبين هؤلاء النصارى، مع الشعور بالدونية عند المسلمين، وربما صار هؤلاء المسلمون جسوراً يعبر بها المنصرون إلى مجتمعات المسلمين إن لم يكن إلى حكوماتهم أيضاً<sup>(١)</sup>.

ثاني عشر : الفتنادق العالمية الكبرى : وهذا أسلوب من أساليب المنصرين فقد استغلوا الفتنادق العالمية الكبرى ذات الفروع في معظم عواصم العالم، وقاموا بدس ما يمكن عن طريقها من غزو تبشيري صليبي، ومن الأمثلة على ذلك ما حدث في فندق «ميريديان» بأحدى دول الخليج في شهر ربيع الأول في أحد الأعوام بعمل مسابقات لعدد من نزلائه في يوم المولد النبوي الشريف حول حوض السباحة في الفندق وقام شخص يطلقون عليه «بابا نويل» وهو رمز المسيحية - بتوزيع الهدايا على الأطفال الموجودين هناك<sup>(٢)</sup> (٣).

(١) حول هذه الوسائل انظر، التبشير والاستعمار، ص ٥٠، والمستشرقون ومشكلات الحضارة، ص ٤٦، وأجنحة المكر الثلاثة ص ١٠٥.

٢ - : التصدير ومجالاته في بلاد الخليج العربي للدكتور / عبد العزيز ابن اهدم العسكر . من ص





## **الفصل السابع**

### **العقائد التي يعتمد عليها التبشير وتفنيدها**

ويشتمل على ثلاثة مباحث

المبحث الأول : عرض عقيدة الفداء وتفنيدها .

المبحث الثاني : عرض عقيدة الصلب وتفنيدها .

المبحث الثالث : عرض عقيدة بنوة المسيح لله وتفنيدها .



## الفصل السابع

### العقائد التي يعتمد عليها التبشير وتفنيدها

قامت دعوة نبي الله عيسى عليه السلام على التوحيد الكامل والخالص لله كإخوانه من الأنبياء والمرسلين الذين دعو أقوامهم إلى الوحدةانية ، والقرآن الكريم يبين لنا في مشهد من مشاهد يوم القيامة أن نبي الله عيسى - عليه السلام - يتبرأ إلى ربه في دهشة وفزع من الذين عبدوه وآلهوه هو وأمه ، يقول تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالِ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ \* مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ۝ (١) .

كما قامت دعوته على الإيمان باليوم الآخر والدعوة إلى العمل الصالح والتسامح والتكشف والزهد والتهديب الروحي والعناية بالقلب والتشريعات قبل الطقوس والشكليات ، وعدم التوسط بين الخالق والمخلوق ، والتبشير لرسول الله ( ﷺ ) .

ولكن بولس اليهودي جاء بأصول وعقائد تختلف تماماً عن عقيدة النصارى التي جاء بها المسيح - عليه السلام - يقول المؤرخ

(١) سورة المائدة . آية رقم ١١٦ - ١١٧ .

المسيحي " ول ديوارنت " : " لقد أنشأ بولس لاهوتاً لا نجد له أسانيد  
غامضة أشد الغموض في أقوال المسيح ، أما أسس هذا اللاهوت  
فأهمها أن كل ابن أنثى يرث خطيئة آدم ، ولا شيء ينجيهِ من العذاب  
الأبدي إلا الموت ليكفر بموته عن الخطيئة <sup>(١)</sup> .  
واختلق عقيدة الفداء والصلب والنبوة ، تلك العقائد التي أرهقت  
المسلمين من خلال الحملات التنصيرية الاستعمارية للعالم الإسلامي.  
ولهذا فسوف نعرض هذه العقائد كما هي من خلال الأناجيل ثم  
نتبعها بالتفنيد من خلال الأدلة المسلم بها عند المبشرين . وذلك من  
خلال المباحث الآتية :

---

(٢) قصة الحضارة : ول ديوارنت ج-١١ . ص ٢٦٤ .

### المبحث الأول: عرض عقيدة الفداء التي اختلقها بولس وتفننيدها

من الأساطير التي اختلقها بولس في المسيحية عقيدة الفداء التي نتجت عن القول: بتوارث الخطيئة الأولى التي وقع فيها آدم، وأن هذه الخطيئة ما كانت لتغفر دون عقاب، فرحمة الله تقتضي العفو، وعدله يقتضي عقاب المخطئ، والإنسانية خاطئة بالوراثة وبما أنه من المتعثر الجمع بين الرحمة والعدل بمفهوميهما المسيحي، إذ أن رحمته تقتضي العفو وعدله يقتضي العقاب، اختار الإله أن يرسل ابنه الوحيد ليصلب ويقتل فداءً للبشرية والذي وافق بدوره أن يذل ويهان على يد عبده ليحقق بذلك المعادلة الصعبة في التوفيق - بين عدل أبيه على زعمهم - ورحمته لتطهر الإنسانية المؤمنة به تقادي من ذلك الميراث الثقيل<sup>(١)</sup>.

إن هذا الكلام المتناقض في عقيدة الفداء يجعل الإنسان في حيرة من أمره ويدفعه إلى تساؤلات عديدة لا يجد لها جواباً يتمشى مع المنطق والعقل. فمثلاً يقول عوض سمعان في دفاعه عن هذه العقيدة: "لو كان من الجائز أن تقل عدالة الله وقداسته عن رحمته ومحبه لكان من الجائز أن ينقذ جميع البشرية من خطاياهم ويقربهم إلى حضرته بكلمة واحدة، كما خلق العالم من قبل بمثل هذه الكلمة... إذا مع رحمته ومحبه اللتين لا حد لهما فإن من مستلزمات الكمال الذي يتصف به ألا يتساهل في شيء من

(١) راجع أبو البقاء صالح بن الحسين الجفري: الرد على النصارى-تحقيق د. محمد حسين. ص ٧٦ - ٧٧.

مطالب عدالته وقداسته ، وبما أنه لا يستطيع سوى إيفاء مطالب هذه وتلك ،  
إذاً لا سبيل للخلاص من الخطيئة ونتائجها إلا بقيامه بافتدائنا بنفسه ، (١).  
أى أن الحل الأمثل ومشكلة الإنسان الأزلية كما يعتقد رجال الكنيسة  
تنحصر فى أن يتحمل المسيح الفداء، لذلك نجد أن بولس مخترع هذه  
الأسطورة، قد جعل معظم رسائله تدور حول تحمل المسيح للخطيئة الأولى  
كما فعل هذا أيضاً تلميذه لوقا، فى الإنجيل المنسوب إليه ، وفى سفر أعمال  
الرسلى .

يقول بولس فى رسالته لأهل أفسس عن هذه العقيدة : « الذى غيى لنا  
الفداء بدمه غفران الخطايا » (٢) .

أى أن غفران الخطايا لا يكون إلا بدم المسيح من خلال الصليب ، وليس  
بدم أى شئ آخر ، لا بدم حيوان لأن إستعادة الإنسان لحالته الأصلية -  
حسب زعم بولس - تتطلب سفك دم أنكى وأطهر وأقدس من جميع الذبائح  
الحيوانية (٣) .

ولهذا يقول بولس فى رسالته إلى العبرانيين : « لأنه إن كان دم ثيران  
وتيوس ورماد عجلة ، مرشوش على المنجسين يقدر على طهارة الجسد ،  
فكم - بالحرى يكون دم المسيح الذى بروح أزلى قدم نفسه لله بلا عيب يطهر  
ضما نركم من أعمال ميتة لتخدم الله الحى ولأجل هذا هو وسيط عهد جديد  
لكى يكون المدعوون به إنصار موت لفداء التعديات التى فى العهد  
الأول (٤) .

---

(١) راجع : عوض سمعان : فلسفة الغفران فى المسيحية ط دمشق ص ١٢٢ - ١٢٣ .

(٢) الأصحاح الأول فقرة ٧ .

(٣) راجع الأسقف د / يفيد بيرزوان : هل صلب المسيح - نقله إلى العربية - جابر  
المنفلوطى ص ١٠٣ .

(٤) الرسالة الأولى العبرانيين الأصحاح التاسع فقرة ١٣ - ١٥ .

إن هذه الأقوال الهزلية التى لا تتفق مع العقل تعتبر عقيدة مقدسة لدى  
المسيحيين . أساسها ، على حسب زعم بولس « رفق الله بالبشر ، وتمثل من  
جهة ثانية قدرة بولس على إقناع تلميذه لوقا فى أن يكون داعية له . حيث  
إنه جعل أفكار بولس عقيدة محورية فى إنجيله المنسوب إليه يوضح هذا قول  
بولس إلياس الخورى : « ومما لا ريب أن الفكرة الأساسية التى ملكت على  
بولس مشاعره فعبّر عنها فى رسائله بأساليب مختلفة هى فكرة رفق الله  
بالبشر ، وهذا الرفق بهم هو ما حمله على إقالتهم من عثراتهم فأرسل إليهم  
ابنه الوحيد ليفتديهم على الصليب وينتقل بهم من عهد التاموس الموسوى  
إلى عهد النعمة وهذه الفكرة عينها هى التى هيمنت على إنجيل لوقا (١) .  
ومن هذا الرفق كان الأمل الذى وعد به المسيح ، وأصبح عند بولس أمل  
الفداء ، أو التخليص من الخطيئة ، وهذا الخلاص ليس خلاصاً دنيوياً ، لأن  
العالم الدنيوى سرعان ما ينتهى أمره وينزل ، ومن ثم فعملية الصلب من هذا  
المنطلق أصبحت عند بولس هدفاً روحانياً من الواجب حدوثه كل يوم وبهذا  
فالمطلب من أركان الإيمان المسيحى .

## تفنيد عقيدة الفداء

يتلخص تفنيدينا لهذه العقيدة فى النقاط التالية :-

أولاً : إنها تتناقض مع منطق العقل فكيف يكون تعذيب زيد ماحياً لذنوب عمرو ! ! فهل هذا منطق : وهل هذا يتماشى مع العقل وهل استحالة أن الله تعالى أن يأتى بطريقة أخرى ممكنة بواسطتها يغفر بها خطيئة غيره .  
ثانياً : إن المسلم به فى جميع الشرائع أن تتناسب العقوبة مع الذنب فهى تتناسب واقعة الزعم بصلب المسيح فداء للبشرية مع الخطيئة التى ارتكبها آدم وهى أكله من الشجرة المنهى عنها ، ولقد ثبت بنص الكتاب المقدس أن الله عاقبه بإخراجه من الجنة ولاشك أنه عقاب كاف ، فالحرمان من الجنة والخروج إلى الكدح والنصب عقاب ليس بالهين وهذا العقاب قد إختاره الله بنفسه فى وقته وحينه ، فكيف يستساغ أن يظل سبحانه مضمراً للسوء غاضباً آلاف السنين حتى وقت رسالة المسيح « (١) » .

ثالثاً : أن الاعتقاد بالفداء يتناقض مع العدل الإلهى لأن الله يعاقب المرء على ما فعله هو لا على فعل أبائه وأجداده ولذلك يرفض الإسلام هذه العقيدة شكلاً ومضموناً وقد جاءت آيات القرآن الكريمة توضح أن كل إنسان يسأل عن وزره فقط قال تعالى ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾ (٢)  
وقال سبحانه ﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهينَةٌ ﴾ (٣)

كما جاء فى العهد القديم الذى يؤمن به النصارى ما يهدم هذه العقيدة ففى سفر إرميا جاء ما يبين أن كل إنسان يؤخذ بذنبه مثل « بل كل واحد يموت بذنبه » (٤) .

(٢) سورة الاسراء آية رقم ١٥ .

(٣) سورة المدثر آية رقم ٣٨ .

(٤) سفر أرميا لإصحاح الحادى والثلاثين فقره رقم ٣٠ .



بل لأعجب أن إنجيل متى يوضح أن كل إنسان يجازى حسب عمله هو  
لا حسب عمل غيره ، ويسأل عن ذنبه هو لا عن ذنب غيره مثل « يجازى كل  
واحد حسب عمله » (١) .

وهذان النصان المقدسان عند جميع النصارى ومن ثم يهدمان عقيدة  
الفداء من أولها إلى آخرها !!

رابعاً : أن ما قاله النصارى حول حكمة الفداء ومفهومه يتعارض أيضاً  
مع اتصاف الله سبحانه بصفة الرحمة فكيف تتفق رحمته مع تحميل  
الأبرياء عواقب ما لم يفعلوا بل إن هذا التصور لا يتعارض مع الرحمة  
الإلهية فحسب وإنما يتجاوز ذلك إلى وصفه سبحانه بالقسوة ، لأن من  
مقررات الرحمة أن يحاسب المخطئ على خطئه لا أن يترك بدون حساب كما  
أنه من مقررات الرحمة أن يغفر لمن تاب وأتاب إليه .

ولهذا أكد « أمست بوثيج » في كتابه « الاسلام أى النصرانية الحق »  
في صفحة ١٤٢ أن جميع ما يختص بمسائل الصلب والفداء هو من مبتكرات  
ومخترعات بولس ومن شابهه من الذين لم يروا المسيح ، لامن أصول  
النصرانية الأصلية (٢) .

خامساً : أن هذه العقيدة أسطورة وثنية وجدت في الديانة الهندية  
والمصرية واليونانية ، يقول صاحب كتاب العقائد الوثنية في الديانة  
النصرانية : « كان الوثنيون يقدمون البشر ذبيحة . فداءً عن الخطيئة ....

(١) انجيل متى الأصحاح السادس عشرين رقم ٢٧ .

(٢) راجع الخطيئة الأولى بين اليهودية والمسيحية والإسلام للدكتور أميمة أحمد شاهين  
مكتبة الزمراء ص ٢٢٧ .

وكان الرومانيون واليونانيون يقدمون أنفسهم ذبيحة للآلهة استرضاءً لها ، وكانوا في مصر يقدمون الابن الأكبر ذبيحة يضعون على رأسه إكليلاً ثم يذبحونه قرباناً للآلهة كما تذبح الأنعام » (١) ويقول القس «جورج كوكس مستنكراً هذه العقيدة الوثنية وأنها تماثل عقيدة الهنود في الفداء » « ويصفون كرشنا بالبطل الوديع المملوء لاهوتاً لأنه قدم نفسه ذبيحة ، ويقولون أن عمله هذا لا يقدر عليه سواه » (٢) .

ويقول العلامة داون موضحاً أن هذه العقيدة كانت موجودة عند الصينيين أيضاً كان الفداء بواسطة التآلم ، والموت لمخلص إلهي قديمة العهد جداً عند الصينيين (٣) .

---

(١) راجع :محمد طاهر التتير - العقائد الوثنية في الديانة النصرانية ط أولى ٨٧ ص ٩٨ .

(٢) نفس النص السابق ص ٤٩ .

(٣) المصدر السابق ص ٥١ .

## المبحث الثاني

### عرض عقيدة الصلب التي اختلقها بولس وتفنيدها

أوضحت الأناجيل التي بأيدي النصارى أن اليهود طاردوا المسيح - عليه السلام - فى كل مكان لإهلاكه وقتله ، وأنهم فى سبيل تحقيق هذه الغاية تأمروا مع السلطات الرومانية ، وجعلوها ترسل عدداً من الجنود للقبض عليه ، وأنهم رشوا أحد تلاميذه بمبلغ من الفضة ليخونه ويدل الشرطة الرومانية بعلامة أتفق عليها ، وهى عناقه للمسيح وتقبيله له ، يقول متى : « حينئذ ذهب واحد من الإثنى عشر الذى يدعى يهوذا الإسخريوطى إلى رؤساء الكهنة ، وقال ماذا تريدون أن تعطونى وأنا أسلمه إليكم فجعلوا له ثلاثين من الفضة ومن ذلك الوقت كان يطلب فرصة ليسلمه (١) .

وحينئذ اجتمع رؤساء الكهنة والكتبة وشيوخ الشعب إلى دار رئيس الكهنة الذى يدعى قيافا . وتشاوروا لكى يمسكوا يسوع بمكر ويقتلوه (٢) . وأن عيسى عندما علم بالمؤامرة ضده طلب من تلاميذه أن يستعدوا للمقاومة عنه بشراء السيوف (٣) .

وأنه بدأ يتضرع إلى الله فى الصلاة من أذى أعدائه ، يقول متى : « فقال للتلاميذ اجلسوا هاهنا حتى أمضى أصلى هناك .... ثم تقدم قليلاً وخر على وجهه وكان يصلى قائلاً يا أبتاه إن أمكن فلتعبر عني هذه الكأس ولكن ليس كما أريد أنا كما تريد أنت (٤) .

(١) إنجيل متى الاصحاح السادس والعشرون فقره ١٤ : ١٦ .

(٢) إنجيل متى الاصحاح السادس والعشرون فقره ٣ : ٤ .

(٣) إنجيل لوقا الاصحاح الثانى والعشرون فقره ٣٦ .

(٤) إنجيل متى الاصحاح السادس والعشرون فقره ٢٧ - ٢٩ .

هكذا كانت ملاحظات اليهود للنبي الله عيسى عليه السلام ، وهكذا كانت  
تضرعته إلى الله لينجيه ، فهل استجاب الله لنيبه ونجاه من أعدائه ؟ وأبعد  
عنه إهانة القتل والصلب ؟ إن الإجابة على هذا السؤال الهام جداً نجدها  
عند القوم أنفسهم ، حيث يؤكد بولس أن ابتهالات يسوع لم تنزل على أصم  
فيقول : «والذى فى أيام جسده إذ قدم بصراخ شديد ودموع طلبات  
وتضرعات للقادر أن يخلصه من الموت وسمع له من أجل تقواه (١) .

يعلق الشيخ أحمد زيدات على هذا النص بقوله « ماذا يعنى «وسمع له »  
سمع لصلواته ؟ إنها تعنى أن الله اقتنع بطلباته ، رضى بصلواته ، إن الله  
القادر القدير ليس بأصم فى أى وقت من الأوقات إنه الإله السميع البصير ،  
إنه سمع يسوع بنفس الأسلوب الذى سمع به لإبراهيم من أجل النسل (٢)  
وزكريا فى شيخوخته تضرع إلى الله من أجل النسل - فاستجاب الله له  
وكذلك يسوع خر على وجهه واستغرق فى صلواته لينقذه وقد استجاب الله  
له (٣) ،

ولكن مع كل هذا فإن المسيحيين يؤمنون بعكس ذلك ، حيث أن الأناجيل  
التي كتبت بإيحاء من بولس - اليهودي - تتفق على أن السيد المسيح قد  
صلب ، وتتفق على فكرة بولس بأن السيد المسيح كان يعرف أنه سيصلب ،  
وأنه كان يعرف الوقت الذى سيصلب فيه ، وكان يعرف الحالة التى سيكون  
عليها كل تلميذ من تلاميذه ، وأنهم سوف يتذكرون له ، ويتركونه يقابل محنته

(١) العبرانيين الأصحاح الخامس فقره ٧ .

(٢) انظر سفر التكوين : ١٥ : ٦ .

(٣) انظر الصلب وهم أم حقيقة تأليف أحمد زيدات : ترجمة إبراهيم خليل أحمد ص ١١١  
والمسيح والمسيحية والاسلام للكاتب عبد الفتى عبور ص ١٧٤ .

وحيدا ، مكتفين بالحزن عليه ، وأنه فى سبيل تكفير الخطايا كان لابد أن تتاله الإهانات الكثيرة بوضع الشوك على رأسه ، والبصق فى وجهه !!!  
تفنيد عقيدة الصلب .

الذى يمعن النظر فى الأناجيل يجد أن قضية الصلب التى اختلقها بولس تبدأ بمجموعة من الأحداث الخاصة بمحاولة قتل المسيح ، وتنتهى بتعليق شخص يصرخ على الصليب بأساً ، فما حقيقة هذه الأحداث التى سبقت الصلب ؟ وما دلالتها ؟ ومن هو الشخص الذى علق على الصليب وهل هذا الشخص قتل وصلب فعلاً ؟

أم لا ؟ هذا ماسوف نبحثه من خلال الأحداث الخاصة بمحاولة قتل المسيح وذلك على النحو التالى :-

أولاً : مسح جسد المسيح بالطيب :

من مقدمات الصلب - كما يزعم القوم أن امرأة تقدمت ومسحت جسد المسيح بالطيب . ومن خلال النظر فى روايات الأناجيل فى هذا الحدث البسيط نجد التخبط والتعارض وعدم الاتفاق مما يرفع المصادقية بالأناجيل المقدسة لدى النصارى ففى :

١ - إنجيل مرقس ومتى نجد أن مكان هذا الحادث فى بيت سمعان الأبرص (١) وفى إنجيل لوقا فى بيت فريسي (٢) وفى إنجيل يوحنا فى بيت الأخوة لعازر ومريم (٣) .

٢ - وفى إنجيل مرقس ومتى المرأة التى مسحت المسيح مجهولة وفى إنجيل لوقا خاطئة وفى إنجيل يوحنا أن المرأة هى مريم .

---

(١) انجيل مرقس : ١٤ : ١ - ٥ .

(٢) انجيل لوقا : ٧ : ٣٦ - ٣٩ .

(٣) انجيل يوحنا : ١٢ : ١ - ٦ .

٣ - فى إنجيل مرقس ومتى أن المرأة دهنت رأس يسوع وفى إنجيل لوقا ويوحنا دهنت رجليه !! هكذا تضاربت الأناجيل فى أبسط حدث كان قبل الصلب كما يقولون

### ثانياً : العشاء الأخير :

من الأحداث التى سبقت الصلب وهى من الشعائر المهمة لدى المسيحيين مايسمى بالعشاء الأخير أو العشاء الربانى أو التناول وهو يرمز إلى عشاء عيسى الأخير مع تلاميذه وخواريه إذ إقتسم معهم الخبز والنبيذ .  
إن روايات الأناجيل مختلفة ومتضاربة فى هذا الحدث هو الآخر فى كيفية التحضير له ، وفى توقيته ، وهل كان قبل عيد الفصح اليهودى ، أم بعده ففى :

١ - إنجيل متى يقول أن العشاء الأخير كان « فى أول أيام الفطير تقدم التلاميذ إلى يسوع قائلين أين تريد أن نعد لك لتأكل الفصح ؟ فقال إذهبوا إلى المدينة إلى فلان ولما كان المساء إتكى مع الإثنى عشر ، وبينما هم ياكلون قال الحق أقول لكم إن واحداً منكم يسلمنى (١) .

يعلم من هذا النص أن التلاميذ جميعاً اشتركوا فى الإعداد وأن العشاء الأخير حدث فى أثناء الفصح . وإذا نظرنا إلى إنجيل مرقس فنجد أنه يختلف مع متى اختلافاً واضحاً وأن الذين اشتركوا فى الإعداد اثنين فقط من التلاميذ (٢) فمن نصدق ياترى !!

---

(١) متى : ٢٦ : ١٧ - ٢٢ .

(٢) مرقس : ١٤ : ١٢ - ١٧ .

### ثالثاً : حادث القبض وملاصقته :

الذى « يعمن النظر فى الأناجيل يصل إلى أن عيسى لم يقبض عليه ومن ثم لم يصلب وذلك من خلال النقاط التالية : -

١ - المسيح يتحدى الرؤساء والشعب اليهودى أن يصلبوه بقوله « ستطوبتى ليوننى ولا تجدوننى ، وحيث أكون أنا لاتقدرون أنتم أن تاتوا فقال اليهود فيما بينهم إلى أين هذا مزعم أن يذهب حتى لانجده نحن ألقه مزعم أن يذهب إلى شتات اليونانيين ويعلم اليونانيين ما هذا القول .... حيث أكون أنا لا تقنون أنتم أن تاتو .. » (١) .

فهذا النص يفيد أن عيسى سينجو من محاولة القبض عليه . ومحاكمته وأنه سيكون فى مكان لا يستطيع اليهود الوصول إليه

٢ - الأناجيل تبين بأن الجنود الرومان جاءوا بمشاعل ومصابيح ليلة المداخلة (٢) .

إذا كان ظلاماً حالكاً فلما دخلوا عليه .. سألوا عنه فقال لهم : « أنا هو (٣) عند ذلك رجع الجنود إلى الوراء وسقطوا على الأرض (٤) . فمن حق كل باحث أن يسأل لماذا سقط الجنود على الأرض عند رؤيتهم للمسيح ومخاطبتهم له ؟ !

جنود عديدين مدججون بالسلاح يفاجئون عيسى وحياراه كيف تراجعوا

---

(١) انجيل يوحنا الاصحاح ١٧ فقرة ٣٢ - ٣٦ .

(٢) انجيل يوحنا ١٨ : ١٣ .

(٣) انجيل يوحنا ١٨ فقرة ٥ .

(٤) انجيل يوحنا ١٨ فقرة ٦ .

وسقطوا على الأرض ، وهم فى حالة تفوق ظاهرى على عيسى \* وتلاميذه .  
تفوق فى العدد والعدد ! !

سقطوا على الأرض ، دون أن يقاومهم أحد ! ! أليس هذا أمراً غريباً يستحق التأمل ، ألا يشير هذا إلى تدبير الله لإيقاع البلية فى صفوف الجنود ، إن هذا يوضح لنا أمراً فى غاية الأهمية وهو أن الله هو الذى أسقط الجنود على وجوههم بعد رؤيتهم لعيسى ومعرفتهم لشكله حتى إذا ألقى شبه عيسى على يهوذا لاينكرونه ثم رفع الله نبيه من المكان ، فلما قام الجنود من على الأرض أخذوا المشبه به على أنه عيسى ، فإن قيل أين ذهب المسيح بعد ذلك ؛ نقول : واين ذهب إيليا فقد رفع إلى السماء كما تقول أسفار العهد القديم (١) إن المسيح رفع كما رفع إلياس ، وكما رفع أخنوخ « إندريس » كما يقول سفر التكوين (٢) أو أن الله أخفاه عن الجنود وكرمه من أن تلحق به أيدي الظلم والبطش بنى أذى كما أخفاه فى مرات عديدة قبل ذلك فقد أراونا مرة طرحه فى الوادى ولكنه جاز فى وسطهم ومضى (٣) .

وفى مره ثانية كان عيسى يعلم الناس فى الهيكل فاختلف سامعوه فى حقيقة مايقول فأراونا أن يمسكوه ، ولكن لم تستطع الأيادى أن يصل إليه (٤)

ومرة ثالثة كان عيسى يتحدث إلى قوم من اليهود يسألوه وأجابهم ولما قال لهم ارتفع أمامهم إلى السماء وهم ينظرون ، وأخذته سحابة عن أعينهم

(١) سفر الملوك الاصحاح الثانى : ١١ - ١٢ .

(٢) سفر التكوين الاصحاح : ٥ : ٢٤ .

(٣) انجيل لوقا : الاصحاح الرابع فقره : ٢٠ .

(٤) انجيل يوحنا : الاصحاح السابع فقره : ٤٤ .



وفيما كانوا ينظرون إلى السماء وهو منطلق سمعوا من يقول : إن يسوع  
هذا ارتفع عنكم إلى السماء (١)

بل الأعجب أن كتبهم التي يؤمنون بحرفيتها تنبئ أن أحد تلاميذ عيسى  
وهو « فيلبس » اختفى من مكانه ووجد في مدينة أخرى يقول نص كتابهم  
« قَامَر أن تقف المركبة فنزلا كلاهما إلى الماء فيلبس والخصى فعمده !  
ولما صعد من الماء خَطَفَ رُوحُ الرَّبِّ فيلبس فلم يبصره الخصى أيضا -  
وذهب في طريقه فَرِحًا - وأما فيلبس فَوُجِدَ في أشدود » (٢)

فهذه النصوص تدل على أن عيسى لم يقبض عليه عند مداومة الجنود  
الرومان له ، وأنه رفع من مكانه إلى مكان آخر يعلمه الله تعالى . كما تبين  
هذه النصوص أيضا أن الله سبحانه قدم لاتباع عيسى أكثر من برهان على  
رفع عيسى واختفائه قبل الرفع الأخير ، حتى إذا كان الرفع الأخير آمنوا  
وصدقوا .

كما تبين هذه النصوص أن الرفع وقع أيضا لأحد تلاميذه فقد رفع من  
مكان إلى مكان آخر ، فلماذا يصدقون بالرفع أو الاختفاء لتلميذه ولا  
يصدقونه لعيسى ؟ عندما أراد الجنود إلقاء القبض عليه - إن انقاذ الله  
لرسوله عيسى أولى وأقرب للتصديق من انقاذ فيلبس -

٣ - عند مداومة الجنود لعيسى ، طلب عيسى من أحد تلاميذه كما تحكى  
الأنجيل، ألا يقاوم وأن يرد سيفه إلى مكانه (٣) وقال له عيسى « أنتظن أنى

(١) أعمال الرسل الأصحاح الأول فقره : ٩ .

(٢) أعمال الرسل الأصحاح الثامن : ٣٩ .

(٣) إنجيل متى الأصحاح السادس والعشرون فقره : ٥٢ .

لا أستطيع الآن أن اطلب إلى أبي فيتم أكثر من اثني عشر جيشاً من

الملائكة (١)

ان عيسى عليه السلام - أراد ألا تسفك دماء حتى في حالة الاعتداء عليه،  
لأن الله معه ، فهو أقرب إليه من حبل الوريد . إن عيسى يقول لتلاميذه : إنه  
قادر على طلب العون من الله ، وأنه سيلجأ له بالدعاء ، كما لجأ له بالصلاة،  
وهكذا كان استغاث عيسى بالله فأغاثة الله وأنقذه (٢) .

٤ - تبين النصوص أيضاً أن يهوذا وقع في قبضة الجنود الرومان ، حيث  
أن الجنود سقطوا على وجوههم عند رؤيته المسيح ، وعند ذلك هرب تلاميذه  
يسوع الأحد عشر وتركوه ، ورفع الله نبيه ، ولم يبق إلا يهوذا فأمسكوا به  
وهم في ذمول لما جرى لهم، وحاول يهوذا الإنكار ولكن بدون فائدة .

٥ - توضح الأناجيل أيضاً أن الذي تم القبض عليه أكد لليهود أنه ليس  
المسيح « ولما كان النهار اجتمعت مشيخة الشعب ، رؤساء الكهنة ، والكتبة ،  
وأصعدوه إلى مجمعهم قائلين : إن كنت أنت المسيح فقل لنا . فقال لهم إن  
قلت لكم لاتصدقوني وإن سألت لاتجيبوني ولا تطلقوني » (٣) وهنا نسأل لو  
كان المقبوض عليه هو المسيح فلماذا يسأله اليهود وهم يعرفونه معرفة  
جيدة ! ولماذا يقول المقبوض عليه « إن قلت لكم لاتصدقوني ، وإن سألت  
لاتجيبوني ، مامعنى هذا الجواب ؟ لو كان المعتقل عيس فكيف إن قال لهم  
هو عيسى لا يصدقونه ؟ إنهم يبحثون عن عيسى وأرادوا اعتقال عيسى ،

(١) إنجيل متى الاصحاح السادس والعشرون فقره : ٥٢ .

(٢) انظر : حقيقة عيسى المسيح للكاتب محمد علي الخولي ص ٦٨ .

(٣) إنجيل لوقا : ٢٢ / ٦٧ - ٦٨ .

فكيف لا يصدقونه إن كان هو عيسى ؟ إن دل هذا الجواب على شئ فإنما يدل على أن قائل هذا الجواب شخص آخر غير عيسى ، ولذلك لو قال لهم إنه غير عيسى لن يصدقوه لأنه يشبه عيسى ولو طالبهم بإطلاق سراحه لن يوافقوه لأنهم ظنوه عيسى .

٦ - تحكى الأناجيل أن بطرس تلميذ عيسى لم يعرف المقبوض عليه ! كما صرحت بذلك الأناجيل الأربعة المتداولة بين المسيحيين ، والمسيحيون يستدلون على أن انكار بطرس ليسوع كان معجزة للمسيح حيث أن نبوءة المسيح فى بطرس تحققت . ولكن الأمر بخلاف ذلك فإنكار بطرس للمقبوض عليه كان على حقيقته ، لأن المقبوض عليه ليس هو المسيح . وإنما شخص آخر لا يعرفه بطرس كما قال : « نست أعرف الرجل » (١) ومن ثم تكون نبوءة المسيح تحققت فى أن بطرس صادق لا يشهد بزور

---

(١) انجيل متى الاصحاح السادس والعشرون فقره : ٧٢ .

#### رابعاً : المحاكمة :

أوضحنا سابقاً أن المسيح لم يقبض عليه وأن الذي قبض عليه شخص آخر ، ولكن الفكر المسيحي - الذي صدق أكاذيب بولس - يصر على أن المسيح قبض عليه وأنه صلب ، وجعلوا الاعتقاد بذلك أصلاً من أصول دينهم ، وقالوا أن المسيح صلب فداء للبشرية وتخليصاً لهم من الخطايا وتضحية من أجلهم (١) فهل فعلاً المحاكمة كانت للمسيح - عليه السلام ؟ وهل الأناجيل المقدسة لدى النصارى أجمعت على هذا الأمر الجلل ؟

- يقول متى عن المحاكمة « فوقف يسوع أمام الوالى فسأله الوالى قائلاً أنت ملك اليهود ؟ فقال له يسوع « أنت تقول » وبينما كان رؤساء الكهنة والشيوخ يشتمون عليه لم يجب بشئ فقال له بيلاطس « أما تسمع كم يشبهون عليك . فلم يجبه ولا عن كلمة واحدة حتى تعجب الوالى » (٢) ولكن الناظر فى إنجيل يوحنا يجد أن المسيح أجاب جواباً طويلاً مسهباً . فرواية من نصدق متى ومرقس ؟ أم رواية يوحنا ؟ متى ومرقس يقولان أنه لم يجبه ولا عن كلمة واحدة ! ! ويوحنا يعطينا جواباً طويلاً

- يذكر متى « أن بيلاطس بعد محاولات كثيرة مع اليهود ليقنعهم بعدم الصلب جاء بماء أمام اليهود وغسل يديه وقال لهم أنا برئ من دم هذا البار .. فقال اليهود دمه علينا وعلى أولادنا » (٣) انفرد متى بهذه الرواية دون سواه ، فلماذا ؟ وإن كان هذا ماقد كان . فلماذا برأ النصارى اليهود من صلب عيسى فى عام سنة ١٩٦٢ ؟ هكذا يستمر الخلاف والتضارب بين الأناجيل فى أمور أساسية لعقيدة الصلب التى يزعمونها .

(١) راجع : محمود بن الشريف : الأديان فى القرآن ط ثالثه ص ٢٢٠ .

(٢) انجيل مرقس الاصحاح الخامس عشر فقره : ٥

(٣) انجيل متى الاصحاح السابع والعشرون فقره : ٢٥ .

## خامساً :أحداث الصليب :

لم يقف الاختلاف عند هذا الحد بل كلما تصفحنا الأناجيل تزداد التضاربات والتناقضات والاختلافات العجيبة من ذلك .

١ - يقول متى : عن الصلوات إنه صرخ قائلاً « إيلي إيلي لما شبيقتي ، أى إلهي إلهي لماذا تركتني » (١) ويذكر لوقا كلاماً غير ذلك تماماً : « يا أبتاه فى يدك أستودع روحى » وإذا تركنا هذا التناقض العجيب وسألنا لماذا يصرخ المصلوب طالما أنه كان نازلاً لهذه المهمة - كما تزعم الكنيسة - ؟ الكنيسة تقول إنه قدم نفسه للقتل والصليب طائعا مختاراً تكفيراً عن خطيئة البشر بزعمهم ، فلماذا هذه الصرخة ؟ إن صرخة اليأس على الصليب تثير عدداً من الأسئلة التى لانجد لها جواباً ؟ لدرجة أن « نينهام » مفسر إنجيل متى كذب هذه الرواية ، ولهذا فإن أغلب العلماء المحدثين يقررون تأويلاً مختلفاً. تماماً يقوم على حقيقة أن هذه الكلمات اليائسة مقتبسة من المزمور والتى نصها « إلهي إلهي لماذا تركتني » (٢) حيث إنها نفس الفقرة التى ذكرها متى ومرقس ، حتى أن ول تيورانت استنكر صرخة اليأس بقوله : « فهل يمكن أن يكون الإيمان العظيم الذى أعلنه ... قد انقلب فى تلك اللحظات المريرة إلى شك أسود » ثم يقول : ولعل لوقا هو الآخر رأى أن هذه العبارة لا تتفق مع عقائد بولس الدينية فبدلها بفقرة أخذاً من المزمور الحادى والثلاثين فقرة خمسة تقول « فى يدك أستودع روحى » (٣) ..

٢ - من الأمور الغريبة أن عقيدة الصليب التى هى لب المسيحية لم يشاهدها إلا عدد قليل من النساء وقفن ينظرن من بعيد فى حين أن

(١) انجيل متى الاصحاح السابع والعشرون فقرة رقم ٤٦

(٢) المزمور الثانى والعشرون فقرة رقم : ١ .

(٣) فطه الحضارة : دل تيورانت : المجلد الثالث ج ٢ ص ٢٢٨ .

السلطات الرومانية لم تمنع وجود الرجال . يقول مرقس عن شهيد الصليب «وكانت نساء ينظرن من بعيد بيتهن مريم المجدلية، ومريم أم يعقوب الصغير، ويوسى ، وسالومة اللواتي أيضا اتبعنه وخدمته حين كان فى الجليل » (١) ويقول يوحنا « وكانت واقفات عند صليب يسوع أمه وأخت أمه مريم زوجة كلوبا ومريم المجدلية » (٢)

والملاحظ حسب روايات الأناجيل الأربعة أن عملية الصلب لم يشاهدها إلا بعض النسوة، فلماذا لم يشهد أنصار عيسى وتلاميذه وهم كثيرون أكبر حدث - حسب أكاذيب بولس - نزل المسيح لأجله ؟ لو كان الأمر كما تعتقد الكنيسة ، ماتغيب واحد عن مشاهدة هذا الحدث الطيب - للخروف الذى سيذبح حسب أسماء عيسى الكثيرة - يقول المؤرخ المسيحى ول ديورانت « أن لكل من كان يريد أن يشهد هذا المنظر الرهيب » (٣) هنا نجد أنفسنا أمام احتمالين : إما أن هذه الروايات صادقة أو أنها غير صادقة فإن كانت صادقة فلماذا لم يحضر تلاميذ المسيح حادثة الصلب ؟ وقد نزل - المسيح خصيصا لهذه المهمة - إن عدم حضورهم يدل على بطلان عقيدة الفداء التى اختلقها بولس ، وفى نفس الوقت فإن عدم حضورهم تكذيب لحادثة صلب المسيح لأن الأمر لايهمهم ، وإذا كان لأمر كذلك - وهو كذلك - فلا وجود للمسيحية، يقول البروفيسور « جير غن ولتمان » فى كتابه « الإله المصلوب » إن موت يسوع على الصليب هو محور كل نظريات اللاهوت فى المسيحية ... كما أن كل الروايات المسيحية عن التاريخ وعن الكنيسة وعن الإيمان

(١) انجيل مرقس الاصحاح الخامس عشر فقره : ٤ .

(٢) انجيل يوحنا الاصحاح التاسع عشر فقره : ٢٥ .

(٣) قصه الحضارة المجلد الثالث ج ٢ ص ٢٢٧ .

والتبرير وعن المستقبل والأمل ناشئة من قصة المسيح المصلوب « باختصار  
لاصلب = لا مسيحية (١)

٣ - ومن ثم فمن أحداث الصلب المريبة والتي من خلالها ستتحقق النتيجة  
السابقة بأنه لاصلب وأنه لا مسيحية - كما أن الأناجيل تشير إلى أن  
المصلوب علق على الصليب مدة ثلاث أوست ساعات فقد علق الساعة  
التاسعة صباحا - بتوقيتنا الحالي - وأنه صرخ وفأصت روحه في الساعة  
الثانية عشرة بعد الظهر ، وأنه بعد أن أسلم الروح ومات طعنه جندى في  
جنبه فسال منه دم وماء (٢) ، وأنه نزل من على الصليب الساعة الثالثة بعد  
الظهر. وعند هذه النقطة نسأل بديونا هل هذه المدة التي مكثها على  
الصليب كافية لموته ؟ إن المدة التي أشارت إليها الأناجيل غير كافية لموت  
أضعف شخص وهذا قول معترف به بين الأطباء ورجال الكنيسة يقول «  
وليم باركلي» - وهو أحد شراح إنجيل يوحنا « إن الأطباء يقولون إن  
المصلوبين يموتون موتا طبيعيا في مدة تتراوح بين ٢٤ : ٢٨ ساعة متأثرين  
إما بالاجهاد العصبى أو التهاب الجروح أو نزف الدم ، أو اضطراب القاب  
أو تعطيل الدورة الدموية (٣) . لكن المصلوب مات بعد ست ساعات من  
صلبه ولذا نقول كيف يموت بعد ست ساعات فقط بفارق كبير عن أقل مدة  
يموت فيها الإنسان ؟ وهذا الفارق يصل إلى ثمانى عشرة ساعة . أليس  
هذا يؤيد أن المصلوب نزل حيا من على الصليب ؟ !

٤ - من أحداث الصلب أيضا أن المصلوب أنزلوه بسرعة من على الصليب

(١) احمد نيدات : مجموعة كتيبات في مقارنة الأديان - الطبعة الاقتصادية: دبي ص ٧٢ .

(٢) انجيل يوحنا الاصحاح التاسع عشر - فقره ٢٤ : ٢٧ .

(٣) راجع : مناظرة بين الاسلام والنصرانية ط أولى ص ٢١٧ .

بعد ثلاث ساعات فقط لأن الصلب كان يوم الجمعة واليهود يقدسون السبت من الساعة السادسة مساء يوم الجمعة ، وأنهم بعد أن أنزلوه لقوه في أكفان مع أنواع من العقاقير الطبية والعطارة مثل مزيج المرو العود (١) - يقول يوحنا : « ثم إن يوسف الذى من رماه - أى الرملة - وهو تلميذ يسوع ، لسبب الخوف من اليهود سأل بيلاطس أن يأخذ جسد يسوع فأتى له بيلاطس فجاء وأخذ جسد يسوع . وجاء أيضا « نيقوديموس » وهو تلميذه أيضا ليلاً وهو حامل مزيج مروعود نحو مئة منا فأخذ جسد يسوع ولفاه بأكفان من الأطياب » (٢) وقدر الاستاذ / عوض سمعان المئة من « بنحو خمسين كيلو جراما » (٣) ويقول الدكتور / وليم إدى فى تفسيره لهذه الفقرة عن المرو والعود كلاهما طيب الرائحة ثمين ويحفظ بهما لمنع الفساد... وكانت طريقة استعمالهما فى التحنيط أنهم يسحقونهما ويصنعون مسحوقهما على جثة الميت ويلفونها بلفائف تحيط الجسد كله .

ويعلق الدكتور زهران على هذه الكمية الكبيرة بقوله : « وهذا القدر من جملة هذه الأطياب كمية هائلة خارجة عن المألوف ، ولا سبب لها إلا أن يكون المقصد منها علاج الجروح التى كانت بجسد المصلوب ، وهى بهذا الاعتبار ملفقة للنظر ولعل هذا ما حدا ببعض من أنكروا موت المصلوب إلى القول بأن كمية الأطياب هى السبب » (٤) ولذلك ينقل عوض سمعان عن أحد اليهود قوله « بعد ثلاث ساعات من صلبه نقله تلاميذه وهو على قيد

---

(١) العود نوع من العطارة طيب الرائحة غالى الثمن جداً يستعمل فى أشياء طبية كثيرة كما يستعمل فى العطارة التى تطيب جسد الانسان .

(٢) انجيل يوحنا الاصحاح التاسع عشر فقرة : ٣٨ - ٤٠ .

(٣) عوض سمعان : قيامة المسيح والأدلة على صدقها ص ٨٥ .

(٤) د . محمد على زهران انجيل يوحنا فى الميزان ص ٣١١



الحياه إلى القبر ، وهناك وضعوا في أكفانه الكثير من العقاقير والعطور  
التي ساعدت على إلتئام جروحه وانعاش نفسه « (١) .

#### الخلاصة :

والذى نخلص إليه من خلال أدلة الأناجيل ونصوصها أن نبي الله عيسى  
- عليه السلام - لم يقتل ولم يصلب ، وأن الذى وقع عليه القبض عند مداومة  
الجنود الرومان للمسيح ، ليس هو المسيح ، وإنما شبيهه ، وأنه هو الذى  
حوكم بشبهة أنه المسيح ، وأنه هو الذى قدم للصلب ، وقد توصلنا من خلال  
نصوص الأناجيل أنه نزل من فوق الصليب حياً قبل أن يموت .  
وفى هذا بيان لقدرة الله الغالبة حيث أنه سبحانه كتب النجاة لنبيه  
ورسوله عيسى وحفظه من الإهانة ، كما كتب النجاة لمن جاد بنفسه فداء  
لنبيه الذى آمن به وهذا أمر شائع لأتباع الرسل  
أو أنه لقى جزاء خيانتته حيث أن قدرة الله الغالبة وضعته فى مكان  
لايستطيع أن يقول فيه : لست أنا المسيح حتى لا يكذب ولا يلتفت إلى كلام .  
ومن ثم تكون العقائد التى أسسها بولس على قصة الصلب كتأليه  
المسيح، وبنوته لله ، والخطيئة والفداء وغير ذلك من عقائد باطلة لا أساس  
لها .

---

(١) راجع : عوض سمعان : قيامه المسيح والأدلة على صدقها ص ٥١ وراجع : د . محمد  
على زهران إنجيل يوحنا فى الميزان ص ٢١١

### المبحث الثالث :

#### عرض عقيدة بنوة المسيح لله وتقنيدها

من العقائد الوثنية التي أوجدها بولس في المسيحية عقيدة بنوة المسيح لله والتي أصبحت بعد بولس ركيزة أساسية في الديانة المسيحية ، ومفهوم هذه العقيدة هي أن عيسى ابن الله وأن الله أرسله ليصلب ويقتل فداءً للبشرية بسبب الخطيئة الأولى التي ارتكبها آدم أبو البشر بسبب أكله من الشجرة يبرر بولس هذه العقيدة بقوله : « أرسل الله ابنه مولوداً من امرأة تحت الناموس ، يفدى الذين تحت الناموس لننال التبنى » (١) .

ويقول أيضاً « الذي لم يشفق على ابنه بل بذله لأجلنا أجمعين » (٢) .  
يمثل هذ الأقوال استطاع بولس أن يؤصل لعقيدة التبنى لدى المسيحيين ، حتى أصبحت جزءاً من العقيدة المسيحية منذ القرن الثاني الميلادي كما يقول شارل جينيير : « منذ القرن الثاني أصبح من المبادئ المعتمدة أن عيسى هو ابن الله انتسب إليه نسبة مباشرة وإن كانت من نوع خاص ، ثم إنه أيضاً هو الله » (٣) .

وقد تأصلت هذه العقيدة عقب انعقاد مجمع نيقية الأول (٤) الذي نتج

---

(١) رسالة بولس إلى أهل غلاطية الأصحاح الرابع فقر ٤ - ٥ .

(٢) رسالة بولس إلى أهل رومية الأصحاح الثامن فقر ٣٢ .

(٣) شارل جينيير : المسيحية نشأتها وتطورها ص ١٥٧ .

(٤) انعقد هذا المجمع سنة ٣٢٥ م لإيجاد حل للمسائل المتنازع عليها خاصة ما يتعلق بأمر العقيدة وعلاقة الأب بالابن وهل : هما متساويان في الجوهر ، أو أن الأب غير الابن وكان سبب انعقاد هذا المجمع انتشار مذهب أريوس الذي أنكر بنوة المسيح الله حيث قال : « أن المسيح خلقه الأب . خلقاً فهو إذن غير أزلي وهو مخلوق مثل باقي المخلوقات ... وأن طبيعته تتغير كأي مخلوق ، وهو كأي مخلوق أيضاً قابِر على عمل الخير والشر ... وهو أيضاً معرض للخطر ، ولايستطيع أن يحيط بكل شيء .. وهو بهذا الوصف لا يستحق أن نعبد ، بل أن نحتربه وأن نعتزف بجميله .. » راجع موسوعة تاريخ الاقباط : تكليف زكي شنودة ج ١ ص ١٥٠ .

عنه قانون الإيمان الذي يتضمن « نؤمن بإله واحد أب ضابط الكل خالق كل الأشياء . ما يرى وما لا يرى ورب واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد المولود من الأب قبل كل الدهور نور من نور إله حق من إله حق مولود غير مخلوق مساو للأب في الجوهر ، الذي به كان كل شيء ، الذي من أجله نحن البشر ومن أجل خلاصنا ، نزل من السماء وتجسد من الروح القدس ، ومن مريم العذراء ، وتأنس وصلب عنا على عهد بيلاطس النبطي .... »

والكنائس الثلاثة اليوم تؤمن بهذا القانون وتعتبره أساس عقيدتها ، وإن كان هذا القانون يختلف قليلا في النص الكاثوليكي عن هذا النص ، وبهذا القانون أصبحت العقيدة المسيحية معقدة يصعب فهمها ومن ثم زادت الاختلافات وتعددت الآراء حول طبيعة السيد المسيح فمنهم من يعتقد بأن المسيح هو الله ومنهم من يعتقد أنه ابن الله ومنهم من يعتقد أنه ثالث ثلاثة وتفرقوا إلى ثلاث فرق :

١ - أعظمها : فرقة الملكانية ، وهي مذهب جميع ملوك النصارى .. والكاثوليكية اليوم امتداد لهذه الفرقة ورأى هذه الفرقة في طبيعة المسيح أن الكلمة اتحدت بجسد المسيح وتدرعت بناسوته ، وأن الله ثلاثة أقانيم أب ، وابن ، وروح قدس . كلها لم تزل ، وأن عيسى عليه السلام : إله تام كله ، وإنسان تام كله ليس أحدهما غير الآخر ، وأن الإنسان منه ، هو الذي صلب وقتل ، وأن الإله منه لم ينله شيء من ذلك وأن مريم ولدت الإله والإنسان ، وأنهما معاً شيء واحد » (٢)

---

(١) راجع القس إلياس مقار ص ٥٦ - ٦٦ .  
(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل وابن حزم ج ١ ص ١١٠ .

ويفهم من هذا أن الملكانية تعتقد بأن للمسيح طبيعتين لاهوتية، وناسوتية، وأن الآلهة ثلاثة يتميزون منفصلون : الأب - والابن - والروح القدس . فالأب هو الجوهر مع صفة الأبوة والابن هو الجوهر مع صفة البنوة ، والروح القدس هو الجوهر مع صفة الانبثاق . وكل الأقانيم الثلاثة متساوية في الأزلية والأبدية وجميع الكماليات الإلهية « (١) وهذا هو مذهب الكاثوليك ، ومذهب البروتستانت متطابق مع مذهب الكاثوليك وقد أشار القرآن الكريم إلى كفر هؤلاء في قوله تعالى « لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد » (٢)

٢ - اليعقوبية : وهم الذين قالوا : انقلبت الكلمة لحما ودما فصار الإله هو المسيح وهو الظاهر بجسده بل هو هو ، وزعمت اليعقوبية أن المسيح أقنوم واحد إلا أنه من جوهرين ، وربما قالوا طبيعة واحدة من طبيعتين ، فجوهر الإله القديم وجوهر الإنسان المحدث تركيبا ، كما تركيبت النفس والبدن ، فصارا جوهرًا واحدًا أقنومًا واحدًا ، وهو إنسان كله وإله كله ، فيقال : الإنسان صار إلهًا ، ولا ينعكس كالفحمة تطرح في النار فيقال : صارت الفحمة نارا ، ولا يقال : صارت النار فحمة « (٣) والكنيسة الأرثوذكسية اليوم امتداد لها في رأيها ، وقد أشار القرآن الكريم إلى كفرهم قال تعالى « لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم » (٤) .

(١) المبادئ المسيحية حبيب جرجس : ج ١ ص ٩٥ ، أسس عقيدة النصارى بين الاسلام والمسيحية للدكتور حسين خطاب ص ٥٣ .

(٢) سورة المائدة آية ٣٧ .

(٣) راجع الملل والنحل للشهرستاني ج ٢ ص ٦٦ وراجع النصرانية من التوحيد إلى التثليث للدكتور محمد أحمد الحاج ص ٣٠٢ .

(٤) سورة المائدة آية ١٧١ .

هذه أهم الفرق فى المسيحية ، وهذه خلاصة عقيدتهم فى طبيعة المسيح -  
عليه السلام - وقد تأثروا فيها بأقوال القديس بولس كما يقول الدكتور /  
محمد أحمد الحاج : « إن الكنيسة الأرثوذكسية تستدل على مذهبها بقول  
القديس بولس (١) ، وقد أشار أستاذنا الدكتور / حسين خطاب بأن بولس  
استقى فكرة تأليه الإنسان من مصدرين هما

١ - من عقيدته اليهودية حيث أن الإله عند اليهود مؤنس فهو يندم ويغار  
ولا يعرف ما يخفى له ... فكان من السهل على بولس أن يستقى فكرة تأنيس  
الإله من عقيدته المقدسة .

٢ - المصدر الثانى أن بولس يهودى العقيدة يونانى ، رومانى ، فقد تأثر  
بما يقال عن آلهة المشرق الآسيوى ، وما شاع فى الإمبراطورية  
الرومانية عن الإله الفارسى « ميترا » وما يقال عن « أنيس » فى بلاد  
الفرجين ... » (٢)

هكذا وضع بولس بذرة بنوة المسيح لله ، وألوهية المسيح ، وقد صادفت  
أرضاً خضبة عند أتباعه ، ولهذا فسوف نورد الأدلة والحجج الدالة على  
بطلان هذه العقيدة .

#### تفنيد عقيدة بنوة المسيح لله تعالى : -

إن التوحيد هو الخاصية البارزة فى كل دين جاء به رسول من عند الله ،  
كما أنه المقوم الأول لدين الله كله كما يقول بذلك العلماء ، ولهذا يكرر القرآن  
الكريم ، ويؤكد هذه الحقيقة فى قصة كل رسول ، كما يكررها إجمالاً على

(١) راجع : النصرانية من التوحيد إلى التثليث ط أولى ص ٢٠٤ .  
(٢) راجع : اسس عقيدة النصارى بين الاسلام والمسيحية ص ٤٥ . ٤٦ .

وجه القطع واليقين في قوله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ (١) .

ولأنه ما من رسول أرسله الله إلا وقد دعا قومه إلى عبادة الله تعالى الواحد في ذاته وصفاته وأفعاله المتصف بكل كمال ، المنزه عن كل نقص ، لأن مجرد الإيمان بالله غير كاف في ميدان العقيدة ، بل لابد من لازم لذلك الإيمان ، وهو ما يعبر عنه العلماء ، بالوحدانية في الذات والصفات والأفعال : والتنزيه عن الشبيه والشريك والصاحبة والولد ، وال طول والاتحاد ، والإفراد في القصد والمراقبة ، والقيام بالتكاليف التشريعية الصادرة عن الخالق سبحانه (٢)

فأله سبحانه منزه عن الشبيه والشريك والصاحبة والولد ، كما أنه سبحانه منزه عن الطول والاتحاد . ومن ثم فكل من ادعى أن عيسى ابن الله أو أنه هو الله فقد كفر بالله ، لأنه ألصق لله ما لا يليق بذاته المقدسة . قال تعالى : ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُ قَانُتُونَ ﴾ (٣) .

ومن البراهين الدالة على بطلان هذه العقيدة ما يلي :-

أولاً : إن هذه العقيدة لم تعرف في القرون الثلاثة الأولى ولم يبدأ باستخدامها إلا الذين تأثروا بالثقافة اليونانية يقول شارل : «إنها اللغة التي استخدمها القديس بولس كما استخدمها مؤلف الإنجيل الرابع » (٤) تلميذ بولس ، ولم تأخذ طابعاً رسمياً إلا في القرن الرابع الميلادي فمن المعروف

(١) سورة الانبياء آية رقم : ٢٥ .

(٢) راجع : تيارت فكرية معاصرة ، بحث الدكتور بكر زكي عوض - طبعه - النوحة ص .

(٣) سورة البقرة آية رقم : ١١٦ .

(٤) شارل جنيبير : المسيحية نشأتها وتطورها ص ٥١ .

بين علماء اللاهوت المسيحي وكتاب المسيحية أن العقيدة بنوة المسيح لم تتأصل إلا بعد مجمع نيقية الأول الذي انعقد في سنة ٣٢٥م بامر من الإمبراطور الوثني « قسطنطين » وذلك للنظر في إنتشار مذهب « أريوس » الذي يقوم على وحدانية الله وأن عيسى نبي ورسول مخلوق كسائر البشر وقد حضر هذا المجمع ٢٠٤٨ من الأساقفة والقساوسة وبعد مناقشات طويلة استغرقت ما يقرب من شهرين قالت الاكثية وعددهم ١٧٣٠ من البطارقة والأساقفة أن المسيح ليس إله ولا ابناً لله وإنما هو بشر مخلوق أوحى الله إليه . وجمعت القلة وعددها ٣١٨ إلى أن يسوع إله أبن إله ولما كان الإمبراطور « قسطنطين » نفسه يميل مع القائلين بنوة المسيح لله تبعاً لعقيدته الوثنية ، فقد حول الأقلية إصدار مرسومه من قرارات وقال لهم « لقد سلطتكم اليوم على مملكتي لتصنعوا ما ينهي لكم » .

ومن هنا يحق لكل إنسان أن يسأل لو كانت هذه العقيدة صحيحة فلماذا تأخرت إلى القرن الرابع الميلادي ؟ وكيف يحق لهذه القلة التي لا تزيد نسبتها على ١٥٪ أن يضفوا هذه القرارات الوثنية التي تلتزم بها كل الكنائس المسيحية مع اختلاف مذاهبيها حتى اليوم ، وتقرر بنوة المسيح لله في مقابل ٨٥٪ من مجموع الفاضلين يتكفون هذه العقيدة ؟ !

ثانياً : أن هذه العقيدة كما هو معلوم لدى كثير من الباحثين المسيحيين فكرة وثنية وجدت في الديانة البوذية والهندائية والمصرية القديمة ، يقول العلامة « أندريه تايكين » الذي أمضى أكثر من ثلاثين عاماً في تدريس علم الأديان المقارن في جامعات فرنسا في كتابه « الأصول الوثنية للمسيحية » منكرًا هذه العقيدة معترفاً بأنها تعود إلى الأصول الوثنية . لم يكن مستغرباً

فى بلاد الشرق القديم أن يقوم من يزعم نفسه أنه ابن الله، ففى مصر القديمة نجد الكثيرين ممن يزعمون أنفسهم أبناء الله كأبناء توت وتياح وزع، بل إننا نجد على إحدى حفريات الأسرة التاسعة عشرة عبارة «يو الله، وخلاصة القول أننا لانتطيع نحن مؤرخى الأديان إلا أن نهتدوا بالأصل الوثنى لعبارة ابن الله .

كما لابد لنا من القول أن هذه العبارة قد كان لها تأثير كبير على استقطاب الكثير من الوثنيين فى الديانات المسيحية ، بل دخل بعضهم فى الدين الجديد بسببها غير أننا نضل من ثرة هذه العبارة على لسان المسيح فهى لم ترد إلا فى مقطع واحد من إنجيل يوحنا « (١) . هكذا يدل أحد علماء المسيحية على وثنية هذه العقيدة التى اختلقها بولس ويكفى أنها شهادة من أنفسهم على أنفسهم ، وأن المسيح لم يتلفظ بها إلا مرة واحدة على سبيل المجاز

كما يتبين من كلام « أندريه » أن بولس هو الذى أوجد هذه العقيدة عندما أخرج المسيحية من المحلية إلى العالمية لإستقطاب الوثنيين .

وإذا إنتقلنا إلى عالم آخر وهو البروفيسور « لادغار ويند » نجده يقول فى كتابه « الأسرار الوثنية فى عهد النهضة » « لم يكتف مفكروا عصر النهضة فى إستلهاهم آلهة الرومان واليونان القدامى فى محاولاتهم للتقريب والتأليف بين المسيحية والوثنية بل راحوا ينقبون فى التراث المصرى القديم عن الآنية المثلىة

ويقول العلامة ول ديورانت فى كتابه « قصة الحضارة - قيصرو المسيح

(١) راجع أنطوية نابتون وآخرين - الأصل الوثنية للمسيحية من ٢٩ - ٢٤



إن المسيحية لم تقض على الوثنية بل تبنتها « ثم يقول : « وقصارى القول أن المسيحية كانت آخر شئ ابتدعه العالم الوثنى القديم أما العالم الإنجليزى « إدوين جوش » فيقول فى كتابه « نشأة الديانة المسيحية » « إن المسيحية مأخوذة من الأصل الرومانى الوثنى بأن للإله ابنا هو عبارة عن « رمس ابن رياسلتيا » التى لم يكن لها رجل ولكنها ولدت « رمس » الابن من الإله الأب « مارس » تلك طائفة من أقوال أهل العلم المتخصصين فى المسيحية تدلل على وثنية هذه العقيدة كما أنها تؤكد فى نفس الوقت على أن بولس هو الذى أوجدها .

ثالثاً : إن دائرة المعارف الكتابية لم تتمكن من إيجاد لفظ البنوة قبل بولس لهذا وجدت نفسها مضطرة أن تقول : « فيما قبل بولس الرسول لا يذكر اللقب ابن الله إلا مرة واحدة فى الاصحاحات الإثنى عشر من سفر أعمال الرسل وذلك عند موضع كرازة بولس فى الجامع بالمسيح » أن هذا هو ابن الله « (١)

وهذا أمر يدعو للعجب ، والتفسير الوحيد لذلك أن تلاميذ المسيح وحوارييه لم يستخدموا هذا اللفظ قبل بولس وأن بولس فى سبيل دفع المسيحية للعالمية أختلق هذا اللفظ .

رابعاً : يتبين للباحث فى الكتاب المقدس بعهديه أن لفظ الابن لم يقتصر على المسيح ابن مريم بل على كثيرين غيره ، كما أنه يطلق على الصالحين وعلى الطالبين وعلى المحبين لأمر الله والمحبين للسلام .

---

(١) سفر أعمال الرسل الاصحاح التاسع فقرة ٢ .

#### قمتلا :-

- أ - أطلق على آدم عليه السلام فقد ورد في إنجيل لوقا « .... ابن أنوش  
ابن شيس ابن آدم ابن الله » (١)
- فهل آدم عليه السلام ابن الله ؟ وإذا كان آدم ليس ابناً لله كما يعتقد  
النصارى فعيسى عليه السلام ليس ابناً لله .
- يقول الشيخ رحمة الله الهندي موضحاً أن البنوة التي وردت في العهد  
الجديد إما أن تكون متناقضة أو أن تؤخذ على أنها مجازية كلها « لله  
درلوقا لقد أجاد هاهنا لأنه لما كان المسيح عليه السلام مولوداً بلا أب فقط  
نسبه إلى يوسف النجار ، ولما كان آدم عليه السلام مولوداً بلا أبوين نسبه  
إلى الله » (٢) .
- أى إذا كان عيسى ابن الله فمن باب أولى أن يكون آدم ابن الله ومن ثم  
تتعدد البنوة إلى ما لا نهاية وهذا محال وعليه فآدم ليس ابناً لله كما أن  
عيسى كذلك . وصدق الله العظيم إذ يقول : « إن مثل عيسى عند الله كمثل  
آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون » (٣) .
- ب - أن هذه البنوة أطلقت على يعقوب وإفرايم فقد جاء في العهد القديم :  
« يقول الرب ابني بكرى إسرائيل » (٤) « وإفرايم بكرى » فما معنى أن  
اسرائيل الابن البكر لله وإفرايم الابن البكر لله وعيسى الابن البكر لله !!  
هل يستطيع أحد من أهل الكتاب أن يفسر هذه البنوة والبكرية المتعددة !!  
ج - كما أطلقت البنوة على الأشراف فقد جاء في سفر التكوين : « أن
- 
- (١) انجيل لوقا الأصحاح الثانيه فقره ٣٢ .  
(٢) إظهار الحق لرحمة الله الهندي ج ٣ ص ٧٥٤ .  
(٣) سورة آل عمران آية رقم ٥٩ .  
(٤) سفر الخروج الأصحاح الرابع فقره ١٢ .

أبناء الله رأوا بنات الناس أنهن حستأوا فأتخذوا لهم نساء من كل ما اختاروه « (١)

و : « وبخل بنو الله على بنات الناس وولدن لهم ولدان » (٢) فكيف نفهم هذا النص ؟ هل يفهم على حقيقته وهذا مالا يتفق عليه عقل ، أم يفهم على المجاز وهذا أقرب للصواب وبالتالي تكون بنوة عيسى لله من هذا القبيل . رب سائل يسأل فيقول أن البنوة في التصوص السابقة مجازية وأن المسيح اكتسب البنوة المجازية وتميز بأنه مولود غير مخلوق مساوٍ للأب في الجوهر الذي به كان كل شئ في الماء وعلى الأرض كما يقولون ذلك في قانون الإيمان الذي يعرفه كل مسيحي ، فنرد عليه بتصوص العهد الجديد حيث نسبت الولدية لغير عيسى فقد جاء في إنجيل يوحنا ما يفيد أن الصالحين مولودون من الله كذلك مثل « كل من هو مولود من الله لا يفعل خطيئة لأن زرعاً يثبت فيه ، ولا يستطيع أن يخطئ لأنه مولود من الله » (٣) فكيف يفهم هذا النص هل كل من لا يفعل خطيئة يعتبر مولوداً من الله ، ومن ثم فهو مساوٍ لله في الجوهر حسب قانون الإيمان المسيحي ؟ أم أن النص يفيد أن الصالحين مولودون من الله وأن عيسى هو كذلك أيضاً . خامساً : أن البنوة تتعارض مع ما يؤمن به النصاري من فكرة التعميد حيث أن يوحنا قد عمّد المسيح - عليه السلام - كما جاء في إنجيل متى : « جاء يسوع من الجليل إلى الأردن إلى يوحنا ليتعمد منه .... فلما اعتمد يسوع ضعد من الماء » فهذا النص يفيد أن يوحنا قام بتعميد المسيح .

(١) سفر التكوين الأصحاح الثالث فقرة ٢ .

(٢) إنجيل متى الأصحاح الخامس فقرة ٩ .

(٣) إنجيل يوحنا الأصحاح الحاد والثلاثين فقرة ٩ .

والتعميد في الديانة المسيحية علامة على التطهير من الخطيئة والنجاسة، كما أن معمودية يوحنا الذي عمد فيها المسيح تسمى معمودية التوبة بمغفرة خطايا .

فإذا كان يسوع إله كما يزعمون فكيف يتم تعميده من قبل مخلوق ؟ وهل المخلوق يظهر الإله من الخطايا ؟ وهل لله خطايا أصلاً ؟ تعالي الله عن ذلك عنواً كبيراً .

سائساً : من الأدلة المهمة في بطلان هذه البنية أيضاً أن الأناجيل - لم يرد فيها نص واحد يأمر الناس بعبادة عيسى ، أو بالسجود له ، أو بغير ذلك من العبادات ، فلو كان المسيح ابناً لله مساوياً له لوجدت مثل هذه النصوص أو مثل اسجدوا للمسيح ، أو صلوا له ، أو اعبدوني أو غير ذلك من الصيغ ، فعلام يدل هذا ؟ أليس هذا دليل على اختلاق عقيدة البنية ؟ سابعاً : يؤكد بعض علماء المسيحية أنفسهم أن لفظ البنية جاء تحريفاً لكلمة عبد الله فيقول شارل : « لم يكن الإثنى عشر ليوافقوا علي نعت عيسى بابن الله مكتفين بتعبير خادم الله (١) »

ثم يقول : « والنتيجة الأكيدة لدراسات الباحثين هي أن عيسى لم يدعى أنه المسيح المنتظر ولم يقل عن نفسه أنه ابن الله ... ونعتقد أنه من المحتمل أن يكون عيسى تصور نفسه عبد الله، وتقديم للناس بهذه الصفة . والكلمة العبرية « عبد » كثيراً ما تترجم إلى اليونانية بكلمة تعني خادماً أو طفلاً، وتطور كلمة طفل ليس بالأمر العسير. ولكن مفهوم ابن الله ينبع من الفكر اليوناني (٢) .

(١) شارل جنيبير . المسيحية نشأتها وتطورها ص ١١٧ .

٢ المصدر السابق ص ٩١ .

وهذه النتيجة التي توصل إليها عالم الأديان المسيحي « شارل جنير » من خلال دراسته لتاريخ المسيحية هي نفسها التي أشار إليها القرآن الكريم عندما قص ماقاله عيسى عن نفسه : « قال إني عبد الله أتاني الكتاب وجعلني نبياً » (١)

ثامناً : كما أننا نجد من الشواهد الإنجيلية الدالة على أن المسيح عبد الله ، والتي تنفي عنه إدعاء التصاري أنه إله ، أو أنه ابن الله ، شواهد كثيرة جداً أحصى منها صاحب كتاب « الفارق بين المخلوق والخالق » مئة وأحد عشر شاهداً نكتفي منها بما يلي :

١ - يتكلم متى عن عيسى فيقول : « نفسي حزينة جداً حتى الموت » (٢) وهنا نسأل ببورنا هل يمكن للإله أن يحزن ؟ وهل يمكن له أن يكتب ؟ ولماذا يكتب ؟ وهل يمكن للإله أن يموت ؟ !

٢ - يذكر متى أيضاً في إنجيله أن عيسى - عليه السلام - كان كثير الصلاة فيقول : « وعندما صرف الجموع صعد إلى الجبل منفرداً ليصلي » (٣)

... فإذا كان الله لا يصلي لأحد ، فإن ابنه لا يصلي لأحد من باب تماثل الابن مع أبيه ، فلمن كان يصلي المسيح إذا ؟ ولماذا كان يكثر من الصلاة ؟ إن الأمر ببساطة لأنه عبد الله وليس ابناً له وهذا ما أشار إليه القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنِي مَبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ۝ (٤) .

(١) سورة مريم آية رقم ٣٠ ،

(٢) إنجيل متى الإصحاح السادس والعشرون فقره ٢٧ - ٢٨ ،

(٣) انجيل متى الإصحاح الرابع عشر فقره ٢٣ .

(٤) سورة مريم آية رقم ٣١ .

٣ - يذكر متى قصة المسيح خلاصتها أنه جاع أمام تلاميذه فنظر شجرة تين على الطريق فعادت إليها الخضرة والثمار وأخذ منها وأكل يقول الإمام القرافي « من هذا النص يستدل على عبودية المسيح من وجوه منها - جوعه وهو ينافى الربوبية ، ويثبت العبودية - عدم علمه بعدم ثمرة الشجرة ... فدل هذا على أنه بشر لا يعلم الغيب وفي هذا ما يكفي على وصفه بالعبودية لله وإبطال نسبة البنوة له .

٤ - أيضا مما يثبت بطلان الاعتقاد بالوهية المسيح ، التطور في المراحل العمرية من طفل ثم صبي ، فشاب ، فرجل ففي انجيل متى « كتاب ميلاد يسوع المسيح » (١) وقف النجم فوق حيث كان الصبي « (٢) فكيف يكون عيسى مولوداً وإلها في الوقت ذاته ، وهل يجوز للإله ان يتطور من مرحلة إلى مرحلة !!

٥ - مما يثبت بطلان الاعتقاد بالوهية المسيح ارتباطه بشريعة موسى - عليه السلام - وأنه ما جاء لينقض التاموس ، كذلك إرساله إلى بنى إسرائيل فقط ففي إنجيل متى « لم أرسل إلا إلى خراف بنى إسرائيل الضالة » (٣) فقله هذا يثبت أنه رسول وأنه إلى بنى إسرائيل فقط فكيف يكون إلها لطبقة معينة أو جنس معين ، وإذا كان الأمر كذلك فلكل جنس إله وتتعدد الالهة وهذا أمر محال (٤) .

٦ - مما يثبت بطلان الاعتقاد بالوهيته التعب والاعتراف بالعجز ففي

(١) انجيا متى الأصحاح الأول فقره : ١

(٢) انجيل متى الأصحاح الثاني فقره : ٩ .

(٣) انجيل متى الأصحاح الثالث عشر فقره : ٣٤ .

(٤) انجيل متى الأصحاح الحادى والعشرون : ١ - ٢٠ .

إنجيل متى أنه دخل القدس راكباً جحشاً » راكباً على آتان وجحش ابن آتان « (١) فغلام يدل هذا ؟ وهل الإله يركب ؟ !  
إن الأدلة على بطلان اعتقاد النصارى فى بنوة المسيح لله وبطلان الاعتقاد بألوهيته كثيرة لايحصيها العد . وما قدمناه من أدلة من واقع نصوصهم المقدسة تبين وتوضح أن عيسى - عليه السلام - ليس أكثر من إنسان أوحى الله إليه كمال أمر الله سبحانه وتعالى رسوله محمد ﷺ أن يقول ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ (٢) .

---

(١) إنجيل متى الاصحاح الحادى والعشرون : ١ - ٥ .

(٢) سورة الكهف آية رقم ١١٠ .





## **الفصل الثامن**

### **وسائل الاستشراق**

**و يتضمن المباحث الآتية :**

- ١ - التأليف و الترجمة و جمع المخطوطات .
- ٢ - التدريس الجامعي .
- ٣ - المجامع العلمية .
- ٤ - وسائل الاستشراق و العصر الحديث .



## وسائل الاستشراق

تتوعد وسائل الاستشراق كما تتوعد أهدافه ، و لم يال المستشرقون جهداً في سبيل الوصول إلى أهدافهم ، و لم يبخلوا بمال و لا وقت في سبيل تحقيق غاياتهم . و لم يكن من السهل الوصول إلى معرفة أحوال المسلمين و طباعهم ، و دراسة نقاط القوة و الضعف لديهم خاصة في الفترات الأولى لحركة الاستشراق ، و التي لم تكن وسائل الاتصال قد تقدمت بنحو ما هي عليه الآن مما كان يحتم ضرورة السفر إلى البلدان الإسلامية ، و مطالعة أحوالها و جمع كتبها و معارفها و دراسة هذه الكتب و تلك المعارف أخذاً من المصادر المسطورة ، و الأحوال المنظورة و كان من أهم هذه الوسائل ما يلي :

### أولاً : التأليف و الترجمة و جمع المخطوطات :

خلفت الحضارة الإسلامية تراثاً حضارياً و ثقافياً في البلاد الأوروبية فترة تواجدتها هناك ، ضم هذا التراث الثقافي الكثير و الكثير من العلوم و المعارف عن الإسلام و المسلمين ليس في الغرب وحده بل و في الشرق أيضاً خاصة و أن المسلمين كانوا أمة واحدة تحت قيادة واحدة . و كان التواصل قائماً بين المسلمين في الشرق و الغرب بلا حواجز و لا فواصل لما يحملونه من عقيدة واحدة و تاريخ واحد و لغة واحدة - لغة القرآن ..

ساعد هذا التراث الحضاري في كتابة المستشرقين عن الإسلام و المسلمين خاصة و أن المسلم مهما تغير مكانه و ظروفه لن يختلف في

منطلقاته و لا اساسيات حياته و التي لم تعد تخضع لعرف و لا تقليد  
و إنما صارت تخضع للوحي و التشريع .  
و مما أثرى كتابات المستشرقين عن الإسلام و المسلمين و فاقت  
مؤلفاتهم في ذلك عن العدد حصراً تواجد جمع منهم في بلاد الشرق  
الإسلامي حتى يتعرفوا علي أحوال المسلمين بالمعيشة الفعلية لا عن  
طريق ما طوى في صفحات الكتب و تضمنته المخطوطات فحسب .  
و حرص هؤلاء المتواجدون في الشرق الإسلامي على تعلم اللغة  
العربية و النطق بها لترداد الصورة وضوحاً و العمل إتقاناً ، ساعدهم  
ذلك في تفسير المخطوطات الإسلامية و فك رموزها و من ثم الاستفادة  
منها في مؤلفاتهم صياغة ، و في حياتهم تنمية و تقدماً .  
و لقد تعددت مجالات التأليف لدى المستشرقين في الدراسات  
الإسلامية عن الإسلام و اتجاهاته ، و رسول – صلى الله عليه و سلم –  
و قرآنه ، كما تناولت التاريخ ، و علم الكلام و الشريعة ، و الفلسفة ،  
و التصوف ، و كذا اللغة العربية و آدابها ، .....  
و يكفي دليلاً على ما قد وصلت إليه هذه المؤلفات من كثرة و ذبوع  
" أنها قد وصلت في مدة قرن و نصف أي منذ أوائل القرن التاسع عشر  
حتى منتصف القرن العشرين نحو ستين ألف كتاب " ( ١ ) بواقع أربعمئة  
كتاب كل عام ، و نحو ثلاثة و ثلاثين كتاباً كل شهر .

---

(١) الثقافة الإسلامية في مواجهة التحديات : د / عدنان زرزور و زميله ص ١٢٧ .

و معنى ذلك أنه مع شروق كل شمس يولد مؤلف جديد لدي  
المستشرقين عن الإسلام و المسلمين ، ذلك مع ما كان من صعوبات في  
جمع المعلومات و التأليف و النشر ، فما بالنا اليوم و قد ذلت جميع هذه  
الصعوبات ؟ !! .

و قد بدأت حركة الترجمة من المستشرقين للدراسات الإسلامية  
و العربية منذ أمد بعيد ، صاحبت نشأة الاستشراق و تطورت معه  
" و بدءاً من عام ١١٣٠ م كان العلماء المسيحيون في أوروبا يعملون  
جاهدين على ترجمة الكتب العربية في الفلسفة و العلوم ، و كان لرئيس  
أساقفة طليطلة الفضل في إخراج ترجمات مبكرة لبعض الكتب العلمية  
العربية ، بعد الاقتناع بأن العرب يملكون مفاتيح قدر عظيم من تراث  
العالم ( الكلاسيكي ) .

و كانت هناك في القرن الثاني عشر أيضاً بعض المحاولات للتعرف  
على الإسلام بقدر من الموضوعية و لكن مع الهدف الواضح و المعلن  
هو محاربة التعاليم الإسلامية الإلحادية – كما يعتبرونها – و من أجل  
ذلك قام بطرس الموقر ( ت ١١٥٦ م ) رئيس رهبان ( كلوني ) بتشكيل  
جماعة من المترجمين في إسبانيا يعملون كفريق واحد من أجل الحصول  
على معرفة علمية موضوعية عن الدين الإسلامي . و في تلك الفترة  
ظهرت أول ترجمة للقرآن عام ١١٤٣ م و قام بها الإنجليزي ( روبرت  
أوف كيتون ) " (١) .

(١) هموم الأمة الإسلامية د / زقزوق ص ١٤٧ ، ١٤٨ ط الهيئة المصرية العامة  
للكتاب مكتبة الأسرة ٢٠٠١ .

و هكذا عرف المستشرقون في حركات التأليف و انترجمة روح الجماعة لتتكامل مجهوداتهم و تتحد ، فتعظم الفائدة ، خاصة و هم يعلمون اتساع المعارف الإسلامية و شمولها الأمر الذي يصعب سبر أغوارها فرادى .

و من هنا تكاتف المستشرقون في دراساتهم للإسلام . " و كان من ذلك تعاون ( إدوارد زخاو ) ١٨٤٥ - ١٩٣٠ و هو أحد المستشرقين الألمان - مع سبعة آخرين بترجمة و تحقيق الطبقات الكبرى لابن سعد و الذي يعد أحد المصادر المهمة عن تاريخ الرسول - صلى الله عليه و سلم - ، كما أنه أقدم مصدر دون به تراجم الرواة المحدثين ... ، و قد قاموا بتحقيق الطبقات الكبرى عن خمس مخطوطات توافرت لديهم ... . كما قام ( إدوارد زخاو ) أيضا بترجمة كتاب ( الآثار الباقية ) للبيروني إلى الإنجليزية عام ١٨٦٩ م ..... و ساعده المستشرق ( فستفلد ) في تصويبها ، كما استعان بفريق من الفلكيين و الرياضيين في ترجمة بعض الكتب الإسلامية في هذا المجال " (١) .

و من هنا كان المستشرقون يعملون غالباً بروح الفريق الواحد . و لا يخفي ما لهذه الترجمة التي قام بها المستشرقون من أخطار على التراث الإسلامي كله و ذلك لأنها :  
- " أيا كانت درجة أمانة صاحب الترجمة ليست هي النص الأصلي .

(١) جهود المستشرقين في التراث العربي بين التحقيق و الترجمة د / محمد عوني عبد الرؤوف ص ٤١ - ٤٦ بتصرف و اختصار ط ١ م ٢٠٠٤ م .

- إمكانية تحريف النصوص لدى المستشرقين ، فتاريخهم مع الإسلام و علومه تجعل المسلم يقدم سوء الظن معهم على غيره .  
- يمهّد المستشرقون لتلك الترجمات بمقدمات تحمل تصوراتهم عن الإسلام ، و كأنهم يحصنون القارئ ضد الإسلام قبل أن يدخل على حقائق مما يؤدي إلى اصطدام القارئ مع تلك الحقائق .  
و لا شك أن أسلوب المستشرقين في ترجمات القرآن الكريم إلى لغاتهم من الوسائل الخطيرة في تعمية الأوربيين عن حقائق الإسلام " (١) .  
و قد اهتم المستشرقون باللغة العربية اهتماماً واسعاً لعلمهم ما لهذه اللغة من أثر في تراث المسلمين و حضارتهم و في حفظ دينهم و صيانة شريعتهم ، و ما لها من مكانة في القلوب و أثر في الوعي و المعرفة ، فضلاً عما يقدم من تعلم اللغة العربية من عون في الاطلاع على ما لدي المسلمين من معارف و علوم ، فلن تترجم مخطوطات ، و لن تؤلف مؤلفات تحكى اللغة العربية من عون في الاطلاع على ما لدي المسلمين من معارف و علوم ، فلن تترجم مخطوطات ، و لن تؤلف مؤلفات تحكى واقع المسلمين و صاحبها لا يعرف عن لغتهم شيء !  
" و من هنا كان الأمر المهم بالنسبة لتطور الاستشراق الاقتناع بضرورة تعلم لغات المسلمين عموماً و اللغة العربية على وجه الخصوص " (٢) .

(١) الثقافة الإسلامية في مواجهة التحديات ص ١٢٩ .

(٢) هموم الأمة الإسلامية ص ١٤٨ .

" وفي القرن السابع عشر بدأ المستشرقون في جمع المخطوطات الإسلامية ، و أنشئت كراسي للغة العربية في أماكن مختلفة ، و مما هو جدير بالذكر أن قرار إنشاء كرسي للغة العربية في جامعة ( كامبردج ) في أماكن مختلفة ، عام ١٦٣٦ م قد نص صراحة على خدمة هدفين : أحدهما تجارى و الآخر تبشيري . فقد جاء في خطاب للمراجع الأكاديمية المسنولة في جامعة ( كامبردج ) بتاريخ ٩ مايو ١٦٣٦ م إلى مؤسسي هذا الكرسي ما يلي : " و نحن ندرك أننا لا نهدف من هذا العمل إلا الاقتراب من الأدب الجيد بتعريض جانب كبير من المعرفة للنور بدلاً من احتباسه في نطاق هذه اللغة التي نسعى لتعليمها ، و لكننا نهدف أيضاً إلى تقديم خدمة نافعة إلى الملك و الدولة عن طريق تجارتنا مع الأقطار الشرقية ، و إلى تمجيد الله بتوسيع حدود الكنيسة و الدعوة إلى الديانة المسيحية بين هؤلاء الذين يعيشون الآن في الظلمات " (١) .

" و في نهاية القرن الثامن عشر و بالتحديد في عام ١٧٩٥ م أنشئت في باريس مدرسة اللغات الشرقية الحية و بدأت حركة الاستشراق في فرنسا تتخذ طابعاً علمياً علي يد ( سلفستر دوساسي ) ( ت ١٨٣٨ م ) الذي أصبح إمام المستشرقين الأوروبيين في عصره . " (٢) .

" و هناك كثير من المستشرقين – و بوجه خاص في ألمانيا و النمسا – بدعوا طريقهم في مجال الاستشراق مترجمين أو قناصل لدولهم في الشرق الأوسط مثل " جو زيف فون هامر برجشتال " ( ت ١٨٥٦ م )

(١) المرجع السابق ص ١٤٩ .

(٢) المرجع نفسه ص ١٥١ .



مؤسس أول مجلة استشرافية متخصصة في أوروبا و هي مجلة ( ينباع الشرق ) التي صدرت في ( فيينا ) من عام ١٨٠٩ - ١٨١٨ م . وفي ذلك الوقت بدأ المستشرقون في مختلف بلدان أوروبا و أمريكا بإنشاء جمعيات لمتابعة الدراسات الاستشرافية .

فقد تأسست أولا الجمعية الآسيوية في باريس عام ١٨٢٢ م ، ثم الجمعية الملكية الآسيوية في بريطانيا و أيرلندا عام ١٨٢٣ م ، و الجمعية الشرقية الأمريكية عام ١٨٤٢ م ، و الجمعية الشرقية الألمانية عام ١٨٤٥ م و سرعان ما نشطت هذه الجمعيات في إصدار المجلات و المطبوعات المختلفة " (١) .

و كما تكاتف المستشرقون في بحثهم الدراسات الإسلامية و تكاملت جهودهم في ترجمة التراث الإسلامي عرف بعضهم التخصص في مجال من مجالات الدراسات الإسلامية ، حتى تكون المعرفة أدق ، و المعلومة أوسع .

" فقد تركزت اهتمامات ( وليم مونجمري وات ) مثلا على السيرة النبوية و ألف سلسلة من الكتب في ذلك و كان منها :

- محمد بمكة ١٩٥٣ .

- محمد بالمدينة .

- محمد نبيا و رجل دولة ١٩٦١ . عوامل انتشار الإسلام ١٩٦١ .

- الوحي الإسلامي في العالم الحديث ١٩٦٩ .

---

(١) المرجع السابق ص ١٥٢ .

- الفكرة التكوينية للفكر الإسلامي ١٩٧٣ . " (١) .  
- " و قد تركزت اهتمامات ( كارل بروكلمان ) ١٨٦٨ - ١٩٥٦ -  
أحد المستشرقين الألمان - على التاريخ الإسلامي و له في ذلك العديد  
من المؤلفات منها :  
( العلاقة بين كتاب الكامل في التاريخ لابن الأثير ، و كتاب تاريخ  
الطبري ) ١٨٩٠ .  
( تاريخ الأدب العربي ) ١٩٣٩ م .  
و قد تعاون ( بروكلمان ) مع ( إدوارد زاخو ) في تحقيق ( طبقات  
ابن سعد ) " (٢) .  
فنلاحظ من هذين المثالين أن ( مونجمري ) قد كتب ستة كتب في  
السيرة النبوية على مدار عشرين عاما ، و أن ( بروكلمان ) قد عاش  
مع التاريخ الإسلامي قرابة خمسين عاما ما بين أول مؤلف و آخر  
مؤلف ، علي أن هذه المؤلفات هي أبرز ما كتب في هذين المجالين  
خلافاً لحضور المؤتمرات و عمل نشرات و الكتابة في المجلات  
و غير ذلك .  
و طول المعاشة مع تخصص واحد يعطي فرصة للباحث في الإلمام  
به و سبر أغواره و التعرف على نقاط القوة و الضعف فيه و من ثم  
تكون الفرصة سانحة لتوجيه الكتابات من خلال هذه الدراسة نحو الهدم  
أو البناء حسب دوافع كل كاتب .

(١) المستشرقون لنجيب العقيقي ج ٢ ص ٥٥٤ .  
(٢) جهود المستشرقين في التراث العربي ص ٤٧ - ٤٨ بتصرف .

يقول د / زقزوق و هو يتحدث عن الجوانب الإيجابية للمستشرقين :  
" تتوفر على موضوع معين من الدراسات العربية و الإسلامية  
و قضاء العمر كله في البحث و الاستقصاء لاستيفاء شتي جوانبه  
و لهذا نجد أن لديهم معرفة جيدة بكل ما ينشر عن الدراسات الإسلامية  
و العربية في بلادنا العربية . و كتاباتهم الخاصة و العامة عامرة بشتى  
المراجع العربية و الإسلامية قديمها و حديثها " (١) .

و يقول عن تكاتفهم و تكامل مجهوداتهم في دراساتهم " هناك ترابط  
بين جماعة المستشرقين في مختلف البلدان و تنسيق مستمر و تعاون  
كامل في مجالات الدراسات العربية و الإسلامية .  
ففنوا الاتصال بينهم قائمة و مستمرة عن طريق المؤتمرات  
المنتظمة و الدوريات و الحوليات و المجلات و النشرات و المطبوعات  
المختلفة .... " (٢) .

و نظراً لغزارة المعارف الإسلامية ، و عظمة الحضارة الإسلامية  
لم يكن الطريق إلى معرفة حقائقها و أسرارها و الكتابة عنها و ترجمة  
مخطوطاتها و تراثها بالأمر السهل ، فقد احتاج المستشرقون الوقت  
و الصبر في طريقهم نحو هذا الهدف فضلاً عن التكاثر و التخصصية  
في بحثهم و دراساتهم . ، " فالمستشرقون بصفة عامة لديهم صبر  
عجيب في البحث و الدراسة " (٣) ، و قد استخدموا شتى الوسائل

(١) هموم الأمة الإسلامية ص ١٥٦ .

(٢) هموم الأمة الإسلامية ص ١٥٦ بتصرف يسير .

(٣) المرجع السابق بتصرف يسير ص ١٥٥ .

للوصول إلى المعلومة و جمع المعارف حتى إن البعض قد استخدم الحيل و التخفي " و منهم المستشرق الهولندي ( سنوك هورجرونيين ) لما أراد أن يكتب كتاباً عن مكة ، لم يثن عزمه لدراسة مكة على الطبيعة أنه مسيحي لا يجوز له أن يدخل مكة فانتحل اسماً إسلامياً هو ( عبد الغفار ) ، و زار مكة عام ١٨٨٤ م و أقام هناك مدة خمسة أشهر ، و كان يجيد العربية كأحد أبنائها .

و بعد هذه الرحلة كتب عن مكة كتابين أولهما : الحج إلى مكة ، و ثانيهما : مكة و جغرافيتها في القرن التاسع عشر - في جزئين - وصف فيه مكة وصفاً دقيقاً شاملاً مع خرائط عديدة . " ( ١ ) .

و لا أدل على صبر هؤلاء المستشرقين في البحث و الدراسة من المعاجم التي ألفوها في مجالات اللغة العربية ، و الحديث النبوي ، و كذا المجلدات التي تناولت التاريخ الإسلامي ، و الموسوعات الإسلامية ، مما يحتاج إلى وقت طويل و جهد شاق للوصول إلى ما صارت عليه برغم ما فيها من أخطاء متعددة و غير متعمدة إلا أن الواقع يقرر أنها قد أخذت مكانها بين الدراسات الإسلامية ، بل و صار الكثير و الكثير من الباحثين المسلمين يعتمدون عليها في دراساتهم .

و يظل بعد ذلك سؤال يتردد على ذهن و هو :

إلى أي مدى التزم المستشرقون بالمنهج العلمي في دراساتهم و أبحاثهم ؟  
و ما هي معالم هذا المنهج الذي استخدموه في دراساتهم و كتاباتهم عن الإسلام ؟

---

(١) المرجع نفسه بتصرف ص ١٥٥ .

## المنهج الذي اتبعه المستشرقون في دراساتهم و كتاباتهم عن الإسلام :

قسم الكتاب المسلمون ممن كتبوا عن الاستشراق المستشرقين إلى منصفين و غير منصفين ، و وصفوا المنصفين بالندرة ، و غير المنصفين بالأغلب الأعم ، و قسموا غير المنصفين إلى : مجاهر بحقه و كرهه للإسلام معلن بغضه للمسلمين : ( قَدْ بَدَتْ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَقْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ) (١) .

و مآكر خبيث سلك مسلك دس السم في الدسم ، فأظهر معسول الكلام عن الإسلام و المسلمين ، و أضمر ما يحمله للمسلمين و الإسلام من حقد دفين . كلماته على السطور ، و معانيه بين السطور . و لعل هذا الصنف هو أخطر الأصناف لانخداع بعض المسلمين بفكرهم ، و إعجابهم برأيهم ، فعظموهم و هم مخدوعون ، و تبعوهم و هم مضللون ، و لم يفقه إليهم إلا أولوا النهي و البصائر ، ممن استتاروا بالإسلام فأيقظ فيهم الضمائر ، فكشفوا كيد الكائدين ، و مكر الماكرين و كان هذا الصنف مع هؤلاء كما أخبر القرآن : ( يَخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ) (٢) . و في الواقع إننا عند تأمل هذه التقسيمات نحتاج أن نحرر مفهوم الإنصاف أولاً لما في ذلك من أهمية و خطورة .

---

(١) سورة آل عمران ( ١١٨ ) .

(٢) سورة البقرة ( ٩ ) .

فالإنصاف في العربية هو العدل (١) ، و على ذلك فخلع صفة الإنصاف على أحد المستشرقين هو إصاق العدل به ، و يترتب على ذلك قبول ما قاله عن الإسلام و المسلمين و تصديقه ، و هذا بالأمر الصعب و الذي يحتاج إلى دراسات متعمقة و مستفيضة حتى نقف على بيئة كل مستشرق و نشأته و تربيته و اتجاهاته و دوافعه و أهدافه ، ثم بعد ذلك نقف على دراساته و أبحاثه جملة و تفصيلا حتى لا يخرج الحكم مجزءاً ، أو مرحلياً ، و على ذلك لا نستطيع أن نصف مستشرق بالإنصاف من عدمه من خلال حقبة زمنية أو من خلال كتاب ألف أو مقال نشر مهما كان مدحه في الإسلام و ثناؤه على المسلمين ، لا نستطيع أن نحكم عليه إلا بعد موته ، خاصة أنه ربما غير رايه في اي لحظة أو تحت أي ظرف ، فيكون حكمنا عليه متعجلاً .

إن كتابات المستشرقين عن الإسلام ما هي إلا فكر بشري يخضع للتغيير و الظروف و تتحكم فيه الدوافع و الميول لذا لا نستطيع أن نخرج حكماً كلياً إلا بعد انتهائه ، و يكون الحكم قبل ذلك مرحلياً فنقول فلان أنصف عندما قال كذا ، و أجحف عندما قال كذا ، و لا يكون الحكم عاماً على فكره من مقال أو كتاب أو مرحلة زمنية .

و ما دام الإنصاف يعني العدل فإبني أرى أن الذي يوصف بالإنصاف قطعاً من المستشرقين في الدراسات الإسلامية هو الذي ساقته دراساته إلى الإسلام ، و دلت أبحاثه على الحق الواضح و الطريق البين فذاك الذي أنصف مع نفسه و في دراساته .

(١) القاموس المحيط ج ٣ ص ١٩٤ .

أما من يكتب عن الإسلام معسول الكلام فيمجد في القرآن و السنة  
و يثني على حضرة النبي - صلى الله عليه و سلام - و يعظم التراث  
الإسلامي و يقر لذلك كله بالصدق ، و يضل بعد ذلك في ظلمته بعد أن  
أبصر نور الحق ، فهذا ما زالت موروثاته غالبية ، و بيئته متحكمة ،  
و عصبية قائمة ، فأنى لمن كان كذلك أن يوصف بالعدل و قد ظلم نفسه  
أول ما ظلم . !

فهذا الصنف الأخير ينبغي أن يكون تعاملنا مع فكره و دراساته  
كتعاملنا مع الإسرائيليات في تراثنا فلا نصدق جملة و لا نكذب جملة ،  
و لكن نأخذ ما وافق ديننا ، و اتسق مع عقيدتنا ، و ثوابتها الإسلامية ،  
و نرفض و نكذب ما خالف و عارض ، فلا نبرئ الساحة على  
الإطلاق ، و لا ندين الفكر على العموم ، و لكن نحتاج إلى ميزان  
الضبط و الاعتدال ، و هذا لن يتأتى إلا بدراسة واعية و بحث متأن في  
هذه الأفكار الواردة ، و الدراسات الوافدة .

و مما يؤكد على أهمية ما ذكرت هو اختلاف الحكم على  
المستشرقين بين زمن و زمن و مؤلف و مؤلف ، فيتعجل البعض في  
إطلاق لفظ المنصفين على بعضهم ، و سرعان ما يتغير الموقف  
و تتضح الصورة و يغير الحكم .

و لما كان جل المستشرقين يدفعهم التعصب ، و يحركهم الهوى ،  
غابت العلمية عن مناهجهم ، و الحيادة عن دراستهم ، و الحق عن بحثهم  
و فكرهم ، " و يمكن القول بأن الاستشراق - في دراسته للإسلام -  
ليس علماً بأي مقياس علمي ، و إنما هو عبارة عن أيولوجية خاصة

يراد من خلالها ترويح تصورات معينة عن الإسلام بصرف النظر عما إذا كانت هذه التصورات قائمة على حقائق أو مرتكزة على أوهام و افتراءات " (١) .

" و يعد الاستشراق أسلوباً خاصاً في التفكير ينبني على تفرقة أساسية بين الشرق و الغرب . فالشرق شرق و الغرب غرب و لن يلتقيا كما قال الشاعر الاستعماري المشهور ( كيلنج ) .....

فالعربيون عقليون محبوبون للسلام . متحررون منطقيون و قادرين على اكتساب قيم حقيقية ، أما الشرقيون فليس لهم من ذلك شيء ، و لذا لم يتخلص الاستشراق في دراسته للإسلام من الخلفية الدينية للجدل اللاهوتي العقيم الذي انبثق من الاستشراق أساساً ، و لم يتغير شيء من هذا الوضع حتى اليوم باستثناء بعض الشواذ . و تخدم اليوم وسائل الإعلام المتعددة في الغرب تأكيد و تقوية الوضع التقليدي الذي ما يزال ينظر إلى الإسلام إلى حد كبير بمنظار القرون الوسطى " (٢) .

" و افنقد معظم المستشرقين الموضوعية في كتاباتهم عن الإسلام في حين أنهم عند كتاباتهم عن الديانات الوضعية مثل البوذية و الهندوكية و غيرها يكونون موضوعيين في عرضهم لها و كما حكي القرآن عن أسلافهم : ( أَلَمْ نَرِ إِلَى الَّذِينَ أَوْثُوا نَصِيْبًا مِنَ الْكِتَابِ

(١) هموم الأمة الإسلامية ص ١٦١ .

(٢) هموم الأمة الإسلامية ص ١٥٩ .



يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ  
الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا (١) .

فالإسلام فقط بين كل الديانات التي ظهرت في الشرق والغرب هو  
الذي يهاجم . و المسلمون فقط من بين الشرقيين جميعا هم الذين  
يوصمون بشتى الأوصاف الدنيئة ، فهم الإرهابيون . سفاكوا الدماء –  
المفسدون . المتخلفون .... " (٢) .

" و لم ير المستشرقون في الشرق إلا ما كانوا يريدون رؤيته ،  
فاهتموا كثيرا بالأشياء الصغيرة و الغريبة ، و ما أرادوا أن يتطور  
الشرق ليبلغ المرحلة التي بلغتها أوربا ، و من ثم كانوا يكرهون النهضة  
فيه " (٣) .

و لا عجب بعد ذلك كله أن يأتي منهجهم في الدراسات الإسلامية  
– خاصة ما يتعلق بالقرآن و السيرة النبوية – معوجا بعيدا عن المنهج  
العلمي و مجاف للعقل ، مخالف للمنطق و كان من بين ما اتبعوه من  
مناهج في دراساتهم ما يلي :

" ١ – منهج الأثر و التأثير لإفراغ الإسلام من ذاتيته و إحالته إلى  
المجوسية و اليهودية و النصرانية " (٤) و غيرها حتى يغيب كيان  
الإسلام و ذاتيته ، و يصورونه بصورة الضعيف الذي لا يملك قوة في

(١) سورة النساء ( ٥٠ ) .

(٢) هموم الأمة الإسلامية ص ١٦٣ بتصرف .

(٣) من كلام المستشرق (رودنسون) راجع المرجع السابق ص ١٦٢ ، ١٦٣ .

(٤) محاضرات في الاستشراق و التبشير د / محمد شعيب ص ٢٣ .

ذاته و إنما نما و ترعرع متطفلاً على غيره من ديانات أو تشريعات أو أعراف ، و من صور استخدام هذا المنهج ما رددته المستشرقون " أمثال ( جولد زيهر ) و ( جر ونجيه ) و ( شاخت ) عن علاقة الشريعة الإسلامية بأعراف الجاهلية ، فجعلوا التشريع الإسلامي المتعلق بالأسرة و الوراثة مستمداً من أعراف الجاهلية ، و خاضعاً للنظام القبلي الذي كان ذاتاً قبل الإسلام " (١) .

و لا يخفي زيف هذا الزعم ، و فرية هذه الشبهة ، و لا أدل منها على جهل المستشرقين المرودين لها بالإسلام ، بل حتى بالأعراف الجاهلية ، لأنهم لو ملكوا أدنى صور التفكير لوقفوا على الفروق الهائلة ما بين الإسلام و الأعراف الجاهلية ، لا فيما يتعلق بالأسرة و الوراثة فحسب بل في جوانب الحياة كلها مما يدل على ما أحدثه الإسلام من تغيير جذري في المجتمع ، و إماتة لما كان متعارفاً عليه في الجاهلية مما يتنافى مع الإسلام و روحه .

و لو كان الأمر كما يزعم هؤلاء من أن التشريع الإسلامي جاء امتداداً للأعراف الجاهلية فلماذا كذب المكذوبون ، و ناصبوا النبي - صلى الله عليه و سلم - العداة ؟ !!

و نحو ذلك ما رددته بعض المستشرقين عن صلة الشريعة الإسلامية بالقانون الروماني و أخذها عنه باعتباره متقدماً عليها زمناً (٢) ، و من يطالع القانون الروماني في هذه الفترة المتقدمة على الإسلام و ما جاء

(١) د / أنور الجندي في كتابه .

(٢) راجع تفصيل ذلك و الرد عليه د / أنور الجندي .

في الشريعة الإسلامية لن يجد وجها واحدا للشبه يجمع بين الاثنين ، بل إن القانون اللاتيني المعاصر في أوروبا قد ثار على القانون الروماني القديم لعدم صلاحية الأخير ، و اقتبس من الفقه الإسلامي الكثير و الكثير لما رأوا فيه من دقة و إحكام و رعاية للمصالح و تسيير شئون الناس بلا تضارب و تخطيط .

و هكذا يستخدم المستشرقون منهج التأثير و التأثير في كل ما لا يستطيعون إنكار محاسنه في الإسلام حتى يفرغوا الإسلام من ذاتيته ، فيشعر الإنسان أن ما في الإسلام من مبادئ و تراث إما غير صالح ، و لو صالح فليس منه و لكنه اقتباس من غيره .

و هم في ذلك يرددون ما قاله المشركون للنبي - صلى الله عليه وسلم - عندما قالوا كما حكى القرآن : ( ..... إِنَّمَا يَعْلَمُهُ بَشَرٌ ..... ) ( ١ ) حتى ينزلوا من قيمة ما جاء به النبي - صلى الله عليه وسلم - . فهم يعلمون أن نسبة القرآن الكريم لله عز و جل تعلو بشأنه القرآن و تعظم منزلته ، و كذا بشأن النبي - صلى الله عليه وسلم - . و منزلته ، ولذا حاولوا التقليل من ذلك و رفضه ، بجعله تابعا لفكر بشري ، و ذيل لهذا الأعجمي ، و رد عليهم القرآن الكريم : ( وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِي وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ ) ( ٢ ) .

(١) سورة النحل ( ١٠٣ ) .

(٢) سورة النحل ( ١٠٣ ) .

يقول صاحب الظلال : " و الفرية الاخرى بزعمهم ان الذي يعلم الرسول - صلى الله عليه و سلم - هذا القرآن إنما هو بشر . سموه باسمه ، و اختلفت الروايات في تعيينه ..... و أيا ما كان فقد رد عليهم الرد البسيط الواضح الذي لا يحتاج إلى جدل : " لسان الذي يلحدون إليه أعجمي و هذا لسان عربي مبين " فكيف يمكن لمن لسانه أعجمي أن يعلم محمداً هذا الكتاب العربي المبين ؟ .

و هذه المقالة منهم يصعب حملها على الجد ، و أغلب الظن أنها كيد من كيدهم الذي كانوا يدبرونه و هم يعلمون كذبه و افتراءه . و إلا فكيف يقولون - و هم أخبر بقيمة هذا الكتاب و إعجازه إن أعجمياً يملك أن يعلم محمداً هذا الكتاب . و لئن كان قادراً على مثله ليظهرن به لنفسه ! . و اليوم ، بعدما تقدمت البشرية كثيراً و تفتقت مواهب البشر عن كتب و مؤلفات ، و عن نظم و تشريعات ، يملك كل من يتذوق القول ، و كل من يفقه أصول النظم الاجتماعية ، و التشريعات القانونية أن مثل هذا الكتاب لا يمكن أن يكون من عمل البشر .

و حتى الماديون الملحدون في روسيا الشيوعية ، عندما أرادوا أن يطعنوا في هذا الدين في مؤتمر المستشرقين عام ١٩٥٤ م كانت دعواهم أن هذا القرآن لا يمكن أن يكون من عمل فرد واحد - هو محمد - بل من عمل جماعة كبيرة - و أنه لا يمكن أن يكون قد كتب في الجزيرة العربية بل إن بعض أجزائه كتب خارجها !!!

دعاهم إلى هذا استكثار هذا الكتاب على موهبة رجل واحد . و على علم أمة واحدة . " (١) .

و هكذا يردد أعداء اليوم ما ردد أعداء الأمس ، و يتفق سابقهم مع لاحقهم في الضعن في الإسلام بشتى الصور بلا دليل و لا حجة اللهم الا القاء التهم و الإدعاءات ، و كما أخبر القرآن عن السابقين : ( وقال الذين كفروا إن هذا إلا إفك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون فقد جاءوا ظلماً وزوراً ) (٤) وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلاً ) (١) لرفع نسبة القرآن لله - عز و جل - .

كذلك يرجع اللاحقون الإسلام لغيره من ديانات أو أعراف ، و يرجعون التشريع إلى أنظمة وضعية و قوانين بشرية لم تعرف الإسلام و لم يعرفها الإسلام ، فيجعلون منه امتداداً لها حتى يرفعوا قدسية انتساب هذا الدين لله - عز و جل - فيضعف شأنه ، و يصير فكراً بشرياً فيسهل الطعن فيه و الغاؤه .

٢ - " المنهج العلماني الذي يستبعد وقوع ظواهر دينية لا تخضع لقوانين الأجسام المادية . هذا المنهج الذي يقوم على التشكيك خاصة في أمر الوحي " (٣) فيقول ( مونتمري وات ) : " القول بأن محمداً كان صادقاً لا يعني بأن القرآن وحي حق و أنه من صنع الله إذ يمكن أن نعتقد بدون تناقض أن محمداً كان مقتنعاً بأن الوحي ينزل عليه من الله و أن نؤمن في نفس الوقت بأنه كان مخطئاً " (٤) .

(١) في ظلال القرآن - الشيخ / سيد قطب ج ٤ ص ٢١٩٤ . ٢١٩٥ .

(٢) سورة الفرقان ٤ ، ٥ .

(٣) محاضرات في الاستشراق و التبشير ص ٢٣ .

(٤) الاستشراق في السيرة النبوية دراسة تاريخية لأراء ( وات بروكلمان ) عبد الله محمد الأمين ص ٣٩ - ٤٠ .

و هكذا تغلب عليه نزعته المادية التي لا تتصور إلا ما يدركه بالحواس ، و هذا صلب الفكر العلماني الذي ينكر كل ما لا يخضع للمادة ، مع أنهم يقرون بوجود ما لا يرى و لا يعرف إلا بتأثيره ، فالتيار الكهربائي لا يدرك إلا بتأثيره ، و الصورة المبتوثة لا تدرك إلا بعد النقاطها و تأثيرها ، و مع ذلك لا تنكر ، فضلا عما أقروا بوقوعه في كتبهم - التي يزعمون قداستها - من معجزات و خوارق حدثت لأنبيائهم و رسلهم و مع ذلك لم ينكر وقوعها أحد منهم ، و لكنهم إذ ينتحون هذا المنحى يعودون بذاكرة التاريخ للطلبات العجيبة التي طلبها المشركون من رسول الله - صلى الله عليه و سلم - لما أنكروا الوحي بسبب أفولهم الفكري ، و تصورهم المادي و كما جاء في قوله تعالى :  
(وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَرٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا) (٨٩) وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا (٩٠) أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجَّرَ النُّهَارُ خَلَالَهَا تَفْجِيرًا (٩١) أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زُغَمَتْ عَلَيْنَا مِثْقَالًا أَوْ تَأْتِيَ بَالَهُ وَالْمَلَائِكَةُ قَبِيلًا (٩٢) أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرَفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنْزَلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرَأُ فَلَنْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا) (١) .

" و هكذا قصر إدراكهم عن التطلع إلى أفق الإعجاز القرآنية ، فراحوا يطلبون تلك الخوارق المادية ، و يتعنتون في اقتراحاتهم الدالة

(١) سورة الإسراء ( ٨٩ - ٩٣ ) .

على الطفولية العقلية أو يتبحرون في حق الذات الإلهية بلا أدب و لا تخرج .. لم ينفعهم تصريف القرآن للأمثال و التنويع فيها لعرض حقائقه في أساليب شتى تناسب شتى العقول و المشاعر ، و شتى الأجيال و الأطوار ..... و تبدو طفولة الإدراك و التصور ، كما يبدو التعنت في هذه المقترحات الساذجة ، و هم يسوون بين البيت المزخرف و العروج إلى السماء ! أو يبين تقجير ينبوع من الأرض و مجيء الله - سبحانه - و الملائكة قبلا ! و الذي يجمع في تصورهم بين هذه المقترحات كلها هو أنها خوارق . فإذا جاءهم بها نظروا في الإيمان له و التصديق به . و غفلوا عن الخارقة الباقية في القرآن ، و هم يعجزون عن الإتيان بمثله في نظمه و معناه و منهجه ، و لكنهم لا يلمسون هذا الإعجاز بحواسهم فلا يطلبون ما تدركه الحواس ! " (١)

٣ - " المنهج المادي الذي يعتبر أن ظهور الإسلام كان رداً على مرض العصر الذي سببه التطور الذي انتقل بالعرب من حياة بدوية إلى اقتصاد حضري ، و أن الغزوات التي قام بها النبي - صلى الله عليه و سلم - كانت من هذا القبيل بسبب زيادة السكان و المحافظة على مستوى المعيشة " (٢) . و هم بذلك يريدون تفرغ الإسلام من أهدافه التي جاء بها ، و يخضعونه للمتغيرات الحياتية و الظروف الاجتماعية فيسهل تطويعه و تغييره ، كما أنهم يصورونه ثورة اقتصادية بسبب الجوع و الفقر و أتباعه ما هم إلا مر تزقة تدفعهم لقمة العيش للسعي

(١) في ظلال القرآن ج ٤ ص ٢٢٥٠ باختصار .

(٢) محاضرات في الاستشراق و التبشير ص ٢٤ .

للحصول عليها و لو بالقوة و بدأ يخرجون الجهاد الإسلامي عن طريقه و هدفه . إلى طريق الإرهاب و التنفيس عما بداخل المسلمين من حقد و حسد على غيرهم مما يترجم بالقتل و سفك الدماء . و يصور الإسلام بأنه دين لا يعرف حضارة و لا ينهض بمجتمع فما هو إلا ثورة على نظام سائد قامت فجأة يدفعها العوز و الحاجة و تستمرى شتى الوسائل للوصول إلى أهدافها الدنيئة . " يقول ( موير ) : " إن سيف محمد و القرآن هما أكثر الأعداء الذين عرفهم العالم حتى الآن عنادا ضد الحضارة و الحرية الحقيقية " و يزعم ( فون جرو نيباوم ) أن الإسلام دين غير إنساني و غير قادر على التصور و المعرفة الموضوعية ، و هو دين غير أخلاقي و غير علمي و استبدادي " ( ١ ) .

٤ - " المنهج الإسقاطي الذي يقوم على إسقاط الرؤية الغربية حول تدرج الأديان الوثنية على الدين الإسلامي " ( ٢ ) فيتحدث ( وات ) من خلال المنهج الإسقاطي عن الدين الإسلامي فيقول " إن أقدم الأجزاء في القرآن لا تحتوي على أي هجوم على الوثنية ، بل كانت تقول بوجود توحيد غامض عند أتباع محمد ثم أخذ الإلحاح يشتد على وجود إله واحد مع اشتداد النقد لعبادة الأصنام ، ثم يصف القرآن بالتحيز و التحايل على المكيين خشية الارتطام بهم " ( ٣ ) .

(١) هموم الأمة الإسلامية باختصار ص ١٦٣ .

(٢) محاضرات في الاستشراق و التبشير ص ٢٤ .

(٣) الاستشراق في السيرة النبوية د / عبد الله الأمين ص ٣٩ .



" و يعمد المستشرقون إلى تطبيق المقاييس المسيحية على الدين الإسلامي و على نبيه - صلى الله عليه و سلم - . فالمسيح - في نظر المسيحيين - هو أساس العقيدة و لهذا تنسب المسيحية إليه ، و قد طبق المستشرقون ذلك على الإسلام و اعتبروا أن محمداً يعني بالنسبة للمسلمين ما يعنيه المسيح بالنسبة للمسيحية ، و لهذا أطلقوا على الإسلام اسم ( المذهب المحمدي ) ، و إن كان هناك سبب آخر لاستخدام هذا الوصف لدي الكثيرين منهم و هو إعطاء لانطباع بأن الإسلام دين بشري من صنع محمداً - صلى الله عليه و سلم - و ليس من عند الله - عز و جل - . أما نسبة المسيحية إلى المسيح فلا تعطى هذا الانطباع لديهم لاعتقادهم أن المسيح ابن الله " (١) .

كما يعمد المستشرقون أيضاً إلى إسقاط الرؤية الواقعية اليوم للشعوب الإسلامية من تأخر و ضعف على الإسلام و تعاليمه حتى يجعلوا من الإسلام سبباً في هذا التخلف و هذا الضعف و يبحث أتباعه عن الحل للخروج من هذا الضعف و التأخر في غيره بعيداً عنه ، و قد أحدث ذلك بلبلة لدي بعض المسلمين فرددوا مقولات المستشرقين من أن الإسلام سبب التخلف الذي يعيشه المسلمون ، و ينبغي أن يتخذ المسلمون من الغرب قبلة يتطلعون إليها و يحتذون بها إذا ما أرادوا تقدماً و تحضراً ، و إن كان لابد من نموذج لدي المسلمين من داخلهم فليكن نموذج القعود و الكسل و الجهل و ليس العمل و العلم و الجهاد .

---

(١) هموم الأمة الإسلامية ص ١٦٢ بتصرف يسير .

"فإسلام الكتاب و السنة يعد في نظر مستشرق معاصر مثل (كيسلينج) إسلاماً ميتاً . أما الإسلام الحي الذي يجب الاهتمام بدراسته فهو ذلك الإسلام المنتشر بين فرق ( الدراويش ) في مختلف الأقطار الإسلامية ، و هو تلك الممارسات السائدة في حياة المسلمين اليوم بصرف النظر عن اقترابها أو ابتعادها من الإسلام الأول " (١) .

٥ - " منهج النفي و الافتراض و اعتماد الضعيف و الشاذ ، و قد أسرف المستشرقون في استخدام هذا المنهج حيث لا تنجو رواية إسلامية صحيحة من نفيهم لها أو تشكيكهم فيها ، و بعد النفي و التشكيك يعتمدون الضعيف و الشاذ و الموضوع " (٢) .

و يكاد هذا النوع من المناهج الأكثر ذيوماً بين المناهج فيعمد المستشرقون إلى التشكيك في كل ما من شأنه أن يبرز محاسن الإسلام و يظهر الوجهة الحقيقية له ، و يلتقطون الشاذ و الضعيف و الموضوع الذي من شأنه تشويه صورة الإسلام و يضخمون من حجمه و يجعلونه أصلاً في كلامهم و أساساً في أحكامهم ، و تتبعوا ما في التراث الإسلامي من شاذ و ضعيف دس في التراث الإسلامي بمكر و خبت أو وجد فيه بلا قصد و جعلوا من ذلك أساساً للتراث الإسلامي و ركائز منطلقاته ، في الوقت الذي غضوا الطرف عن الصحيح المعتمد و شككوا في صحته حتى يظهر للرائي على أنه فرع هامشي لا يستحق اهتماماً فيظل الشاذ و الضعيف و الموضوع في بؤرة الاهتمام ، يقول

(١) المرجع السابق ص ١٦٢ .

(٢) في مناهج المستشرقين عماد الدين خليل د ١ ص ١٥٩ .

صاحب الحديث و المحدثون : " ... عمل هؤلاء المستشرقون جاهدين على تشكيك المسلمين في دينهم عن طريق الطعن في الحديث و رواته باسم البحث الحر ، و طريقة هؤلاء القوم التي اختاروها لأنفسهم و أملتها عليهم أغراضهم السياسية هي توهين القوي من الحديث و تقوية الضعيف أو الموضوع ، و تضخيم الصغير و تحقير العظيم و تشويه الحقائق و التعامي عما تقضى به الأدلة و البراهين . كل هذا ليثبوهوا محاسن الإسلام و علمائه في أنظار من افتتن بمدنييتهم المادية الزائفة من صغار الأحلام و ضعفاء الإيمان . و ما موقفهم هذا من الإسلام إلا كما يقول القائل .

إذا رأوا هفوة طاروا بها فرحا \* مني و ما علموا من صالح دفنوا (١) .  
و الأمثلة على استخدامهم هذا المنهج أكثر من أن تحصى و يكفي منها على سبيل المثال و ليس الحصر قصة الغرائق والتي ثبت بطلانها سندا و متنا و لغة و أسلوبا و تاريخا و مع ذلك يتغنى بها المستشرقون في كتاباتهم و سجلوها في موسوعاتهم و منها الموسوعة البريطانية و جاء عن ذلك " هناك مصدر يقول : " إن محمدا اعترف بالسلطة النسبية لثلاثة آلهة هم اللات و مناة و العزي ، ولكنه عاد و ألغى ذلك في وقت لاحق " (٢) .  
كما ذكرها (كارل بروكلمان ) في تاريخ الشعوب الإسلامية (٣) ،  
" و زعم ( وات ) أن القصة صحيحة لأنها في غاية الغرابة فلا بد أن

(١) الحديث و المحدثون د / محمد محمد أبو زهو ص ٣٠٢ ط دار الفكر العربي .

(٢) قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية د / فضل حسن عباس ص ١٢٠ ، ١٢١ .

(٣) تاريخ الشعوب الإسلامية ( كارل بروكلمان ) ص ٢٥ .

تكون حقيقية في جوهرها إذ لا يتصور أن يكون أحدا اختلق قصة مثلها  
ثم أخضع جماعة ضخمة من المسلمين لتخليها " (١) . " ولم لا يفرح  
المستشرقون بهذه القصة و هي تتنافى مع عصمة الأنبياء ، و تفتح  
طريقاً إلى الشك في القرآن الكريم " (٢) .

و من الأمثلة الدالة على استخدام المستشرقين لمنهج الافتراض  
و الاعتماد على الشاذ ما تغنوا به في شأن تعدد زوجات النبي - صلى  
الله عليه و سلم - ، و ما كان من زواجه - صلى الله عليه و سلم -  
بالسيدة زينب بنت جحش ( رضى الله عنها ) ، فلم يخل كتاب من كتب  
المستشرقين الطاعنين في نبوة النبي ( صلى الله عليه و سلم ) و في  
شخصه إلا و سجل الاتهامات و الافتراءات حول زواج النبي ( صلى  
الله عليه و سلم ) من السيدة زينب ، متهما النبي ( صلى الله عليه  
و سلم ) بالشهوانية ، و الشغف بالنساء ، و غير ذلك من أوصاف الخسة  
و الدناءة ، معتمدين في تسجيل هذا القصص و تلك الأقاويل على  
روايات شاذة و ضعيفة و مدسوسة في تراثنا الإسلامي ، و متجاهلين  
عن عمد عن الروايات الصحيحة المتعلقة بهذا الشأن .

و من الذين رددوا الاتهامات للنبي ( صلى الله عليه و سلم )  
مستخدمين منهج الأخذ بالشاذ و ترك الصحيح ( غوستاف لوبون ) -

(١) السيرة النبوية الصحيحة د / أكرم العمري ص ٢٧١ ، ٢٧٢ مطبعة العبيكان  
١٤١٨ هـ / ٣

(٢) خطر الأحاديث الضعيفة و الموضوعة على الدعوة الإسلامية د / يسري عبد  
الخالق ص ٤٥ .

و هو من يصفه البعض بالإتصاف - حيث يقول : " ضعف محمد الوحيد هو حبه الطارئ للنساء ، و هو الذي اقتصر على زوجته الأولى حتى بلغ الخمسين من عمره ، و لم يخف محمد حبه فقد قال : " حبيب إلى من دنياكم ثلاث الطيب و النساء و جعلت قرّة عيني في الصلاة " ، و لم يبال محمد بسن المرأة التي يتزوجها ، فتزوج ( عائشة ) و هي بنت عشر سنين ، و تزوج ( ميمونة ) و هي في الحادية و الخمسين من سنّها ، و أطلق محمد العنان لهذا الحب حتى إنه رأى اتفاقاً زوجه ابنه بالتبني و هي عارية فوقع في قلبه منها شيء فسرحها بعلها ليتزوجها محمد . فاعتم المسلمون فأوحي إلى محمد بواسطة جبريل الذي كان يتصل يومياً آيات تسوِّغ ذلك ، و انقلب الانتقاد إلى سكوت " (١) .

و هكذا يتهم هذا المستشرق حضرة النبي ( صلى الله عليه و سلم ) بهذه السخافات ، و ليس هو وحده بل و يشرك معه أمهات المؤمنين ، و يتهم الوحي بالتحايل على المسلمين لتسوِّغ زواج النبي ( صلى الله عليه و سلم ) من السيدة زينب - رضى الله عنها - ، و يعتمد في ذلك كله على روايات ثبت بطلانها سنداً و متنّاً (٢) ، و ثبت زيفها عقلاً

---

(١) حضارة العرب ص ١١٢ و الحديث الذي جاء في النص ليس به كلمة ثلاث ، و قال عنه الحاكم صحيح على شرط مسلم كما جاء في فيض القدير ح ٣ / ٣٧٠ .

(٢) راجع تفصيل ذلك خطر الأحاديث الضعيفة و الموضوعة على الدعوة الإسلامية ص ٦٠ و ما بعدها .

و منطقاً و مع ذلك يخلعون على أنفسهم صفة الحيادية و النزاهة  
و المنهجية في تناولهم التراث الإسلامي !! .

و قد سجل المستشرق ( مونتجمري وات ) ما سجله ( غوستاف  
لوبون ) في هذه المسألة ليتشابه الفكر و المداد فيقول : " و قد ذهبت  
- أي زينب - إلى المدينة مع أخواتها ، و زوجها محمد بالرغم عنها  
من زيد بن حارثة ، و قد ذهب محمد فيما بعد حوالي السنة الرابعة  
لل هجرة إلى بيت زيد للتحديث إليه ، و كان زيد غائباً فشهد زينب و هي  
عارية فأحبها كما يقولون لتوه فمضي و هو يقول لنفسه سبحانه الله  
مقلب القلوب " (١) .

و قد نحي ( اميل در منعم ) نفس المنحي فيقول " شعر محمد بالعقد  
الأخير من عمره بميل كبير إلى النساء ..... و دخل محمد ذات يوم  
بيت زيد بن حارثة بعد الفراغ من غزوة بني النضير ، و كان زيد في  
ذلك اليوم غائباً عن بيته ، فوجد محمد نفسه تجاه زوجة زيد - زينب  
بنت جحش - التي كانت أجمل فتيات قومها ، و كانت زينب آنذ سافرة  
و شبه عارية و عاملة على زينتها و إدارة بيتها فأثر هذا الجمال السافر  
الغض الفياض في نفس النبي فقال " سبحانه مقلب القلوب " ، و لم  
ينطق بغير هذه الكلمة و انصرف حالاً . و قصت زينب ما رأت على  
زوجها زيد فارتبك كثيراً ، و كان زيد المخلص لمحمد المنعم عليه يعلم  
مزاجه المتقد و بدأ الوضع محيراً للغاية .... " (٢) .

(١) محمد في المدينة ص ٥٠٢ ترجمة شعبان بركات .  
(٢) حياة محمد لإميل در منعم ترجمة عادل زعيتر ص ٢٩٩ .

و قد طار المستشرقون و المبشرون بمثل هذه المطاعن فرحا زاعمين أنهم بذلك سينالون من عفة النبي ( صلى الله عليه و سلم ) و طهارته و أمليين بذلك تشويه صورته لدي أتباعهم أولا ، ثم تشكيك بعض المسلمين ممن جهل دينه و تراثه .

و قد عرض بعضهم هذه الاتهامات في أكثر من كتاب واحد كما فعل القسيس ( فندر ) ( أحد كبار المبشرين ) . و يقول عنه صاحب أدلة اليقين " إن هذا القسيس ذكر مسألة تعدد زوجات النبي ( صلى الله عليه و سلم ) في غير موضع من كتابه - ميزان الحق - فقد ذكرها في صحيفة ٣٥٤ ، ٣٩٣ ، ٤٠٧ ، ٤٤٣ ، و في كل مرة يسب خير الأنبياء و يعرض به تعريضا يستفز غضب الحليم " (١) .

٦ - " منهج البناء و الهدم و هو منهج يقوم على الإطراء لبعض الأمور ثم هدم الجوانب المضينة لنفس الأمور التي امتدحها فمثلا يتحدث ( وات ) عن حركة النبي ( صلى الله عليه و سلم ) و بعد نظره للأمور ، ثم يؤكد أن مثل هذا الحكيم لا يمكن أن يدعو قيصر الروم و الإمبراطور الفارسي للدخول في الإسلام .

فهذا المستشرق يحاول هدم فكرة عالمية الإسلام من خلال إبراز الجانب السياسي للنبي ( صلى الله عليه و سلم ) (٢) .

(١) أدلة اليقين للشيخ عبد الرحمن الجزيري ص ٢٦ ، و قد رد الشيخ على ذلك ردا مستفيضا بعد عرض الشبهة .

(٢) محاضرات في الاستشراق و التبشير د / محمد شعيب ص ٢٥ .

و تكمن خطورة هذا المنهج في استدراج العقل نحو الأخذ بما يمليه عليه فيدس السم في الدسم ، فيبدأ مادحاً مؤيداً ثم لا يلبث أن يكون ذاماً معارضاً هادماً ، مما يندفع به سطحيوا المعرفة و الإدراك ، الأمر الذي يوصف المستشرق - صاحب هذا المنهج - بالإنصاف و هو أول المجحفين . و ما ذلك إلا لإلباسه كلامه ثوب الإطراء و التأييد بينما حقيقته تتضح كرها و حقداً .

فمثلاً يتكلمون عن النبي ( صلى الله عليه و سلم ) فيصفونه بالعبقرية و القيادة و التفرد و غير ذلك مما يشنف الأذان و مع ذلك يوجهون الطعن في نبوته ( صلى الله عليه و سلم ) .

يصفون ما أحدثه الإسلام لدى العرب من تقدم و حضارة بالعظمة ، بالثورة ، بالإصلاح ، و غير ذلك ، و يقصرون ذلك على العرب وحدهم ، و أن الإسلام لا يصلح لغيرهم ليخلعوا عنه صفة العالمية .

فهذه أهم المناهج التي سلكها جل المستشرقين في دراساتهم حول الإسلام و التراث الإسلامي ، كلها اصطبغت بالتحيز و الهوى ، و قامت على التدليس و الظنون و الافتراء ، فلم تنهض بحجة و لم تثبت بأدلة ، و جاءت مخالفة للمنهج العلمي للبحث و الحكم ، و هم مع ذلك يزعمون لأنفسهم منهجية ، و ينسبون لدراساتهم موضوعية .

بقول ( رودي بارت : " نحن معشر المستشرقين عندما نقوم اليوم بدراسات في العلوم العربية الإسلامية لا نقوم بها قط لكي نبرهن على صفة العالم العربي الإسلامي ، بل على العكس .. و نحن بطبيعة الحال لا نأخذ كل شيء ترويه المصادر على عواهنه دون أن نعمل فيه



النظر ، بل نقيم وزناً فحسب لما يثبت أما النقد التاريخي .. ونحن في هذا نطبق على الإسلام وتاريخه و على المؤلفات العربية التي نشغل بها المعيار النقدي نفسه الذي نطبقه على تاريخ الفكر عندنا " (١) .

هكذا يتحدث هذا المستشرق بلسان المستشرقين فينسب الحياد و النزاهة و الموضوعية لدراساتهم ، و أنهم نظروا في تناولهم للتراث الإسلامي نفس النظرة التي ينظرون بها في فكرهم ، لكن القضية ليست مجرد أقاويل دعائية فهم يقولون ما يشاءون ، فعند الفحص الدقيق لدراساتهم و أبحاثهم عن الإسلام نجد أنها قد ضلت طريق الموضوعية و المنهجية ، و قادتها العصبية الدينية ، و الدوافع الاستعمارية ، فكانت جل دراساتهم أسلحة فكرية موجهة للإسلام و المسلمين .

فضلاً عن أن كلام (رودي بارت) يجافي المنهجية ليس فقط بادعائه النزاهة في دراساتهم و إنما في تعميمه الحكم على جميع المستشرقين ، و هذا لا يسلم إلا باستقراء كل ما كتب المستشرقون و ألفوا و ترجموا ، و هذا من قبيل المستحيل ، لكن الرجل يحكم من دوافعهم التي اتفقوا عليها و ليس عن دراساتهم التي قاموا بها .

يقول د (زقزوق) : " و البحث العلمي النزاهة لا صلة له إطلاقاً بالرغبة في الطعن و التجريح ، و البحث عن نقاط الضعف و التشويه ، و تتبع الأخطاء ، و الأسلوب العلمي يحتم ضرورة الاستيثاق من صحة النصوص و الأسانيد التي نستنبط منها ما نستنبط من نظريات ، و لكن

(١) الدراسات الإسلامية و العربية في الجامعات الألمانية ص ١٠ . رودي بارت ترجمة د / مصطفى ماهر . القاهرة ١٩٦٧ م .

الرغبة في التجريح و التشويه كثيراً ما حملت المستشرقين على التماس  
أسانيد واهية مرفوضة يؤيدون بها ما يقررونه من نظريات " (١) .  
و المتأمل في كتب المستشرقين يستطيع أن يتلمس طبيعة المناهج  
التي سلكوها في دراساتهم للإسلام ، فضلاً عن أن يتكشف له من بين  
السطور الأستباب التي دفعتهم لسلوك مناهج لا علاقة لها بالعلمية  
و الموضوعية ، و الدوافع التي قادتهم إلى تجاوز مفردات المنهج  
العلمي الصحيح الذي طالما تحدثوا عنه و مجدوا فيه .  
و تكمن أسباب مجافاة جل المستشرقين المنهجية العلمية في  
دراساتهم في ثلاثة أسباب هي :

أ - تباين المنطلقات الفكرية بين المسيحية و الإسلام :

و نسترجع هنا ما قاله د / زقزوق :

" يعد الاستشراق أسلوباً خاصاً في التفكير يبني على تفرقة أساسية  
بين الشرق و الغرب ، فالشرق شرق و الغرب غرب و لن يلتقيا " كما  
قال الشاعر الاستعماري المشهور ( كيلنج ) .  
فالغربيون عقليون محبون للسلام متحررون منطقيون و قادرين  
على اكتساب قيم حقيقية ، أما الشرقيون فليس لهم من ذلك كله  
شيء " (٢) .

(١) الاستشراق و الخلفية الفكرية للصراع الحضاري د / محمود زقزوق ص ٩٤

بتصرف يسير طدار المنار ط ٢ / ١٩٨٩ م .

(٢) هموم الأمة الإسلامية د / زقزوق ص ١٥٩ .

فمنطلق الفكر الغربي - الاستشراقى يقوم على العنصرية الجنسية ، فالغرب أعلى البشر مقاماً ، و أرفعهم رتبة و قدراً ، فلهم كل شئ من أوصاف المحامد و الحسن ، بينما يقبع الشرقيون في درجة متدنية من التخلف و الدونية و لا نصيب لهم في تكريم ، و لا ينبغي تطلعهم لرفعة ، - فالشرق شرق و الغرب غرب - .

من هذه النظرة العنصرية ينطلق المستشرقون في دراساتهم الإسلام ، و يدفعهم ذلك على تشويه كل حسن و جميل فيه ، و الطعن في كل ثابت و أصيل حتى تنطمس معالمه ، و تشوه ملامحه لتتناسب الصورة العنصرية في التفكير الغربي .

و الإسلام لا يعتد بشيء من هذه النظرة لتأنيده التي ينطلق منها الاستشراق في فكره ، فلا شرق و لا غرب في الإسلام ، فالكون كله خلقه الله و سخره لخدمة الإنسان - مطلق إنسان - و لا فرق بين أسود و أبيض و لا شرقي و لا غربي ، و لا بما يتفاضل به الجاهلون من مال و جمال و جنس و رتبة ، فلا يقيم الإسلام لهذه الأمور وزناً عند التفاضل ، فميزان التفاضل بين الناس في الإسلام على قدر طاعتهم لخالقهم و خشيتهم منه : ( إِنْ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ اتَّقَاكُمْ ) (١) .

و النظرة الغربية في تقسيم البشر ( شرقيين و غربيين ) نظرة تذهب بالعدل الإلهي فما ذنب الشرقي أن يحرم من الفكر و الإبداع و التحضر و الرقى ، ..... لمجرد أنه ولد في الشرق و لا دخل له في ذلك ؟ ! ، و هل تحكم الغربي في مكان ولادته حتى يستحق ما تصوره من تقدير

(١) سورة الحجرات ١٣ .

و إحترام لمجرد أنه غربي ؟ ! . و من خلال هذا التقسيم الزائف انطلق  
المستشرقون في دراساتهم و أحكامهم و التي كان لابد أن تضل  
طريقها . فلا يستقيم الظل و العود أعوج ، فللغرب كل شيء ، و لا  
شيء للشرق و نسترجع هنا ما قاله المستشرق ( رودنسون ) " و لم ير  
المستشرقون في الشرق إلا كما كانوا يريدون رؤيته ، فاهتموا كثيراً  
بالأشياء الصغيرة و الغربية ، و لم يكونوا يريدون أن يتطور الشرق  
ليبلغ المرحلة التي بلغتها أوربا ، و من ثم يكرهون النهضة فيه " (١) .  
و هذه النظرة هي التي حدث بالأوروبيين تقسيم العالم إلي دول  
متحضرة و أخرى متخلفة ، أو دول العالم الأول و أخرى ثان و أخرى  
ثالث ، حرصوا على جعل الدول العربية و الإسلامية في مصاف الدول  
المتخلفة أو النامية أو دول العالم الثالث ، حتى يتأسس لدي هذه الشعوب  
برقي الجنس الأوربي و تحضره و يتخذون منه قدوة و مثلاً ، و بالفعل  
انخدع بعض من أبناء هذه الشعوب بهذه التصورات الضالة ، و راح  
ينظر إلى الغرب على أنه قبلة يجب أن يتحول إليها ، و أمل يجب أن  
يتطلع إليه دونما نظر بحقيقة ما عليه الغرب و ما يريده منا ، و لا يعبا  
باختلاف الدين و الثقافة و المجتمع و غير ذلك . فيصرف همه للعيش  
فيه ، و تقليد من فيه و لو على حساب دينه و مجتمعه و نفسه ..... ! .  
" و هناك حقيقة مهمة يتجاهلها المستشرقون ببساطة ، و هي أن  
الحضارة الغربية - التي يصفونها باعتزاز بأنها حضارة مسيحية -  
مبنية في الأصل على تعاليم رجل شرقي و هو المسيح - عليه

(١) هموم الأمة الإسلامية ص ١٦٢ ، ١٦٣ .

السلام - ، و على ما نقلوه من العرب من علوم عربية و من تراث قديم  
تطور على أيدي العرب - و التاريخ شاهد بذلك - .  
و هذه الحقيقة تجعل هذه التفرقة المبدئية إلى شرق و غرب و التي  
يعتمد عليها الاستشراق أمراً مخالفاً للمنطق . فالمسيحية دين شرقي .  
و الزعم بأن الغرب متقدم لأنه يدين بالمسيحية ، و الشرق متخلف لأنه  
يدين بالإسلام زعم لا أساس له من العلم و الواقع ، فالتقدم الذي يشهده  
الغرب اليوم في مجال العلم و التكنولوجيا لا علاقة له بالمسيحية كدين ،  
و التخلف الذي يعاني منه الشرق لا يتحمل الإسلام وزره ، فهذا التخلف  
يعد عقوبة مستحقة من الإسلام على المسلمين لتخليهم عنه لا لتمسكهم  
به كما يزعم الزاعمون " (١) .

كذلك تختلف المسيحية عن الإسلام في المنطلق العقدي ،  
فالمسيحيون ألوهوا المسيح - عليه السلام - فكان هذا التاليه أساس  
عقيدتهم ، بينما تقوم العقيدة الإسلامية على توحيد الله - عز و جل -  
الواحد الأحد ، و ما المسيح إلا نبي من أنبياء الله - تعالى - اصطفاهم  
من البشر وصنعهم على عينه لتبليغ شرعه و إخراج الناس من الظلمات  
إلى النور .

" لكن المستشرقين عمدوا إلى تطبيق المقاييس المسيحية على الدين  
الإسلامي و على نبيه ( صلى الله عليه و سلم ) فالمسيح - في نظرهم -  
هو أساس العقيدة ، و لهذا تنسب إليه المسيحية ، و قد طبق المستشرقون  
ذلك على الإسلام ، و اعتبروا أن محمداً يعني بالنسبة للمسلمين ما يعنيه

(١) هموم الأمة الإسلامية ص ١٥٩ بتصرف يسير .

المسيح بالنسبة للمسيحية ، و لهذا أطلقوا على الإسلام - اسم ( المذهب  
المحمدي ) .

و لكن هناك سبباً آخر لاستخدام هذا الوصف لذي الكثيرين منهم  
و هو إعطاء الانطباع بأن الإسلام دين بشري من صنع محمد و ليس  
من عند الله . أما نسبة المسيحية فلا تعطي هذا الانطباع لديهم لاعتقادهم  
أن المسيح بن الله .

و تتم مقارنة أخرى بين محمد و المسيح يكون المسيح فيها هو  
المقياس : فمحمد مزواج و شهواني في مقال المسيح العفيف الذي لم  
يتزوج ، و محمد محارب و سياسي أما يسوع فهو مسالم مغرب يدعو  
إلى محبة الأعداء .... و هكذا " (١) ..

#### ب - الخوف من الإسلام :

مثل الإسلام للمستشرقين - جلهم - مارداً أقصى مضجعهم ، و أفلق  
راحتهم ، رأوا فيه المستعمر الذي زلزل حضارتهم و أزاح دولتهم  
و أذل أجدادهم و آباءهم ! ، فتحركت في نفوسهم دوافع الكراهية  
و ألحقوا نحوه .

و مما فزعهم من الإسلام أن الدين الوحيد الذي يملك مقومات الذبوع  
و الانتشار ، و من مبادئه العالمية و من وسائله الجهاد ، و هذا يعارض  
فكرهم و تطلعاتهم ، فهم يخشون منه العودة إلى ديارهم و يعلمون أنه  
من أشد العقبات التي تحول بينهم و بين نشر أفكارهم و التبشير بدينهم ،

---

(١) المرجع السابق ص ١٦٢ .

فدفعهم ذلك للطعن فيه ، وكيل الاتهامات له ، فإني لمنهجية علمية تتوفر لهم مع ذلك كله !! .

" فكتابات معظم المستشرقين عن الإسلام تفتقد الموضوعية في حين أنهم عندما يكتبون عن ديانات وضعية مثل البوذية و الهندوكية و غيرها يكونون موضوعيين في عرضهم لها .

فالإسلام فقط من بين كل الديانات هو الذي يهاجم ! ، و المسلمون فقط من بين الشرقيين جميعاً هم الذين يوصفون بشتى الأوصاف الدنيئة ! ، و ما ذلك إلا لأن الإسلام يمثل بالنسبة لأوروبا صدمة مستمرة . فقد كان الخوف من الإسلام هو القاعدة . و حتى نهاية القرن السابع عشر كان " الخطر العثماني " رابطاً عند حدود أوروبا و يمثل - في اعتقادهم - تهديداً مستمراً بالنسبة للمدنية المسيحية كلها .

و لهذا يمكن القول - كما يقول إدوارد سعيد - بأن الاستشراق من الناحية النفسية صورة من صور جنون الاضطهاد ...

و من هنا يمكن فهم ما يقوله ( موير ) : " إن سيف محمد و القرآن هما أكثر الأعداء الذين عرفهم العالم حتى الآن عناداً ضد الحضارة و الحرية الحقيقة ، و كذا ما يزعمه ( فون جرونيباوم ) : من أن الإسلام ظاهرة فريدة لا مثيل لها في أي دين آخر أو حضارة أخرى ، فهو دين غير إنساني و غير قادر على التطور و المعرفة الموضوعية ، و هو دين غير أخلاقي و غير علمي استبدادي " (١) .

(١) هموم الأمة الإسلامية ص ١٦٣ بتصرف و اختصار .

### جـ - التعصب الأعمى :

الإنسان في دراسته و حكمه على الأشياء يسلك طريقاً من طرق

أربعة :

طريق العلم الصحيح و المعرفة الحقة و المنهجية الواضحة و الفكر

المستقيم .

و إما طريق الظن و التخمين ، و إما طريق التقليد و المحاكاة ،

و إما طريق الهوى و الميول .

و قد ذم الإسلام جميع الطرق إلا الطريق الأول و هو البحث المتأنى

و الدراسة المجردة النزيهة و العلم الصحيح و الفكر المستقيم ، فذم

الظن بأنه لا يغني عن الحق شيئاً و تظل معه الأفهام تائهة و الأحكام

زائفة ، فقال تعالى : (..... وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً) (١) .

كما ذم الإسلام طريق التقليد الأعمى و المحاكاة النبلهاء في الحكم

على الأشياء ، لأن طريق التقليد الأعمى ساد للمنافذ معطل للإدراكات

فقال تعالى عمن سلكوا هذا الطريق : (..... أُولَئِكَ كَانَ أَبَاؤُهُمْ لَا

يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلَا يَهْتَدُونَ) (٢) (..... أُولَئِكَ كَانَ أَبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ

شَيْئاً وَلَا يَهْتَدُونَ) (٣) ، و قال (صلى الله عليه و سلم) " لا يكن

أحدكم إمعة .... " (٤) .

(١) سورة النجم ( ٢٨ ) .

(٢) سورة البقرة ١٧٠

(٣) سورة المائدة ١٠٤ .

(٤) أخرجه الترمذى . ك البر و الصلة ب - ما جاء في الإحسان و العفو . و قال حديث حسن

غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه ح ٢٠٠٧ .



كما ذم الإسلام طريق الهوى فهو طريق يرمي نحو الجهالة و يسوق  
إلى الضلالة قال تعالى : ( ..... وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ  
اللَّهِ .... ) (١) .

و التعصب الأعمى يسد على الإنسان منافذ البحث النزيه و الدراسة  
المجردة ، و يدفعه نحو سلوك الطرق المعوجة في دراسته و ترتيب  
أحكامه .

و لم ينس المستشرقون - جلهم - دوافعهم الأصلية التي دفعتهم نحو  
الشرق الإسلامي ، و سيطر عليهم الدافع الديني و الاستعماري ،  
فانطلقوا يملؤهم الميل و الهوى نحو دينهم و رغباتهم و انسلخوا من  
طريق الحيدة و النزاهة في أبحاثهم و أفكارهم إلى طرق معوجة  
رسموها لأنفسهم ، و نسجت خيوطها أهواؤهم و ميولهم فجنحوا بها  
بعيدا عن الواقعية و الموضوعية ، " فكثيرا ما يدخل المستشرق على  
الفكرة بشيء من التحفز لا يدفعه دراستها سوى الرغبة في التجريح ،  
و توهين العقيدة الإسلامية للنيل من أحكام الإسلام و الأمثلة على ذلك  
أكثر من أن تحصى و منها ما عرضه المستشرق ( جاستون فييت ) في  
كتابه ( مجد الإسلام ) عن تاريخ الإسلام و ظهر فيه التعصب  
الأعمى ، و تحكم الميل و الهوى ، و بدا الحقد ينضح منه على الإسلام  
و المسلمين ، و لم تكن مهمة المؤلف إلا في اختيار الصفحات بناءً على  
الاتجاه الذي حدده لنفسه كي يسير عليه .

---

(١) سورة ص ٢٦ .

و هنا تكمن خطورة هذا الطراز من التأليف لأن المؤلف مهما اجتهد  
و تحرى الإنصاف في الاختيار لا يمكن أن يتخلص من ميوله .  
و باختصار جاء الكتاب كله طعناً في النبي - صلى الله عليه  
و سلم - و القرآن و عقيدة الإسلام و تاريخه و السبب في ذلك أن الكاتب  
لم يتجرد من تعصبه الأعمى و أدى به حقه إلى تحديد الاتجاه الذي خطه  
لنفسه قبل أن يكتب كلمة واحدة " (١) .

و لم يكن تجردهم من النزاهة في فكرهم و أحكامهم و اتباعهم  
الهوى هو ثمرة تعصبهم الأعمى بل تعددت ثمرات هذا التعصب  
و الخوف من الإسلام و من ذلك :

#### تعتمد المغالطات :

" و من مغالطاتهم الخطيرة : تحكمهم في المصادر التي يختارونها  
فينقلون من كتب التاريخ ما يحكمون به في تاريخ الفقه ، و من كتب  
الأدب ما يحكمون به في تاريخ الحديث النبوي ، و يصححون ما ينقله  
الدميري في كتابه الحيوان ، و يكذبون ما يرون الإمام مالك في  
الموطأ !!! " (٢) .

---

(١) الثقافة الإسلامية في مواجهة التحديات - دراسة معاصرة لأبرز التيارات  
المناوئة للإسلام - د / يحيى ربيع و زميليه ص ١٣٧ بتصرف ط مركز الحكمة  
يقطر ط ١ / ١٩٩٦ م ، عرض كتاب ( مجد الإسلام ) - المشار إليه بالتفصيل في  
نهاية كتاب الفكر الإسلامي الحديث و صلته بالاستعمار الغربي ص ٥٧ ؛  
د / محمد البهي ط مكتبة وهبه ط ٩ .

(٢) الثقافة الإسلامية في مواجهة التحديات ص ١٣٨ .

" و من أمثلة ذلك ما ذكره د / السباعي عن ( جولد تسهر ) - أحد المستشرقين اليهود و هو مجرى - من أنه نقل من كتاب الحيوان للدميري أن أبا حنيفة ( رضى الله عنه ) لم يكن يعرف هل كانت غزوة بدر قبل غزوة أحد أو بعدها ؟ و أراد أن يجعل هذه الرواية دليلا على عدم معرفة كبار الأئمة في العصور الأولى بأحكام الإسلام و تاريخ الرسول ( صلى الله عليه و سلم ) ، و رتب على ذلك حكما عجيبا هو أن الحديث الشريف ليس من قول النبي ( صلى الله عليه و سلم ) إنما هو من صنع القرون الثلاثة الأولى " (١) .

" و كتاب ( حياة الحيوان ) الذي اعتمد على هذا المستشرق ليس كتابا في الفقه و لا السيرة ، كما أن صاحبه ليس مؤرخا و لا فقيها ، إنما هو كتاب جمع صاحبه فيه كثيرا من النوادر و الحكايات ، و استدل عليها بالروايات غير الصحيحة دون أن يكلف نفسه البحث عن صحتها ، لأن ما في الكتاب - من النوادر و الحكايات - لا ترقى في صحة الروايات ، و لا يضيره ضعفها ! بل إن الدميري لو حرص على الروايات الصحيحة وحدها ، لما وجد سبيلا لتأليف هذا الكتاب !! " (٢) .

(١) الاستشراق و المستشرقون ما لهم و ما عليهم د / مصطفى السباعي ص ٤٤ ط المكتب الإسلامي ط ٣ / ١٩٨٥ م و راجع أيضا ص ١٤٤ من كتاب اجنحة المكر الثلاثة و خوافيها التبشير - الاستشراق - الاستعمار د / عبد الرحمن حسن حنيكة ط دار القلم دمشق ط ٨ / ٢٠٠٠ .  
(٢) الثقافة الإسلامية في مواجهة التحديات ص ١٣٩ .

### العناية الشديدة بما يخدم أغراضهم :

كما كان من ثمرات تعصب المستشرقين الأعمى في دراساتهم العناية الشديدة بما يخدم أغراضهم و يمهّد السبيل لتحقيق أهدافهم و لا شك أن ذلك يطمس على الفكر فلا يتحرى مصداقية و لا يلتزم منهجية ، و من صور ذلك " تأكيدهم على أهمية الفرق المنشقة على الإسلام كالبابية و البهائية و القاديانية و غيرها و كذا إبرازهم الخلافات بين الفرق الإسلامية و تعميقها كما بين السنة و الشيعة ، و دائماً يعتبرون المنشقين أصحاب فكر ثوري تحرري عقلي ، و دائماً يهتمون بكل غريب و شاذ ، و دائماً يقيسون ما يرونه في العالم الإسلامي على ما لديهم من قوالب مصبوبة جامدة " (١) .

و هم بذلك يستغلون ما في التاريخ الإسلامي من نقاط سوداء – الإسلام منها براء – فيكبرونها و يعظمونها و يجعلونها مرآة للإسلام كله و يحكمون عليه من خلالها ، متجاهلين الصورة الحقيقية الواضحة و يجعلون منها صورة شاذة فرعية ، و ما يريدون و يشتهون هو الأصل و هو ما ينبغي عرضه و الحديث عنه ، و هذا لا يمت إلى البحث العلمي بصلة .

### تحريف النصوص :

و كان من مرشحات التعصب الأعمى الذي ساق المستشرقين في دراساتهم عن الإسلام تحريف النصوص ، و هذا الأمر ليس بغريب

(١) هموم الأمة الإسلامية بتصرف ص ١٦٢ .

عليهم طالما يدفعهم التعصب و يسوقهم الهوى فلا بد أن يأخذوا من النصوص ما يتوافق مع أهوائهم و إلا حرفوها عن مواضعها و تلاعبوا في معانيها و دلالتها حتى تلبي حاجتهم و تشبع رغبتهم . و إذا كان الأجداد حرفوا ما عندهم من كتب حتى توافق أهواءهم فما بالنا بالأحفاد مع كتب غيرهم !! .

" و لا شك أن التحريف أسوأ ألوان مجافاة المنهج الصحيح في البحث العلمي ، لأنه خروج على هذا المنهج ، بل ضرب به عرض الحائط ، و لأن تحريف النص يعني تعمد الكذب و قلب الحقائق ، و الأدهى أن يرتكب هذا باسم التجرد و الدقة و التمهيص . لقد حرص المستشرقون على أن يضيفوا على أنفسهم هالة من هيبة العلم و قداسة محرابه ، لكن ضيبتهم متلبسين بالتزوير جعلنا نفتنع أن ما رفعوه لم يكن إلا شعارات أخفوا وراءها أغراضهم و أهواءهم " (١) . و قد برز الكثير من المستشرقين ممن استخدموا تحريف النصوص و إليباس الحق باطلا و الباطل حقاً ، و كان على رأسهم ( جولد تسيهر ) و الذي كان له الباع الأكبر من ذلك خاصة في مطاعنه التي وجهها للسنة ، و لم يكتف هذا المستشرق بالطعن في أحاديث النبي ( صلى الله عليه و سلم ) أو صحابته ( رضى الله عنهم ) بل راح يطعن في الكثير من علماء السنة الذين حفظوها و اهتموا بتدوينها لعلمه بان الطعن في هؤلاء طعن في السنة كلها .

(١) الثقافة الإسلامية في مواجهة التحديات ص ١٤٢ .

و من صور طعنه في هؤلاء عن طريق تحريف النصوص " ما اتهم به الإمام الزهري - رحمه الله - و هو أحد أعمدة السنة حفظا و كتابة و تدوينا و أحد التابعين الذين شرفوا بصحبة بعض من أصحاب النبي ( صلى الله عليه و سلم ) و توفي ١٢٤ هـ (١) - من استعداده لوضع أحاديث لبني أمية ، بل إنه وضع فعلا أحاديث سياسية لصالحهم ، و أنه كان ممن يري العمل مع الحكومة ، فلم يكن يتجنب الذهاب إلى القصر ، بل كان كثير ما يتحرك في حاشية السلطان ! فيقول ( جولد تسيهر ) " بل إننا نجده في حاشية الحجاج في حجة ، و هو ذلك الرجل الميغض ، و قد جعله هشام مريباً لولي عهده " (٢) .

و الاتهام هنا واضح من كلام هذا المستشرق ، فهو يرمى الإمام الزهري بوضعه الأحاديث لذوي السلطان و هو بذلك يظهره بمظهر المتاجر بالسنة المتطلع لصحبة ذوي السلطان و لو على حساب دينه و هذا فيه من السخف ما فيه ، و يحاول أن يستدل على كلامه بمجرد صحبته الإمام الزهري - على كلامه - للحجاج في الحج و دخوله في حاشية واحد من ذوي السلطان ، و يظن أنه قد أفحم بالحجة و أقام البرهان ! .

يقول د / السباعي : " و الإمام الزهري أحد أعمدة السنة ، و هدمه هدم للسنة الشريفة ، لكن هذا الهدم للزهري ، قام على نصوص خرفها

(١) راجع ترجمته و مناقبه في الحديث و المحدثون ص ١٧٤ ، ١٧٥ .

(٢) راجع الثقافة الإسلامية في مواجهة التحديات ص ١٤٢ ، ١٤٣ بتصرف و اختصار .

( جولد تسير ) . فالإمام الزهري لم يكن مع الحجاج في حاشيته حين حج ، وإنما كان مع عبد الله بن عمر حين اجتمع مع الحجاج ، وهذا هو حقيقة النص كما ورد في تهذيب التهذيب لابن حجر " أخرج عبد الرزاق في مصنفه عن الزهري قال : كتب عبد الملك إلى الحجاج أن اقتد بآبى عمر في المناسك فأرسل إليه الحجاج يوم عرفة : إذا أردت أن تروح فأذننا ، فراح هو و سالم و أنا معهما ، قال ابن شهاب الزهري : و كنت صائماً فلقيت مع الحر شدة " .

فإن الزهري كان مع عبد الله بن عمر حين اجتمع مع الحجاج ، و لم يكن في معية الحجاج و لا حاشيته كما ذكر المستشرق . بل يمكن أن نقول إن الحجاج هو الذي كان في حاشية عبد الله بن عمر و الزهري ، لأنه طلبها للاقتداء بهما في المناسك " (١) .

و هكذا يدفع التعصب الأعمى المستشرقين بعيداً عن المنهجية العلمية في البحث ، و عن الفكر المستقيم في الدراسة ، و عن الحكم الصحيح على الأشياء ، فسيطر عليهم الهوى و قادتهم الميول ، و استباحوا المغالطات ، و تعمدوا التحريف و غير ذلك من صور الافتراء و الاختلاق التي وظفوها لخدمة أغراضهم و تحقيق أهدافهم ، و زعموا أن لا طريق إلا طريقهم في البحث و التحري ، و لا رؤية إلا رؤيتهم في الفكر و التأمل ، حتى تنخدع بأفكارهم العقول و يتشرب سمومهم كل ظلوم و جهول .

(١) السنة و مكانتها في التشريع الإسلامي ص ١٩٢ ، ٢٢٣ د / مصطفى السباعي .

يقول ( د / سمايلوفتش ) عن ( بروكلمان ) كنموذج سيطر عليه التعصب وقاده للخلط والمغالطة والتحريف " .... و بروكلمان كاي مستشرق آخر لا ينسى تعصبه على الدين الإسلامي حين يخوض في غماره ، و يعميه التعصب لأحد أمرين :

**أولهما :** أنه لم يستطيع أن يشذ عن بني جنسه حين يعرض للإسلام و يعلن الرأي الحق ، و يوافق على ما أتى به الإسلام من أمور يقبل عليها أصحاب الآراء الحرة من الأجانب .

**ثانيهما :** أن عدم معرفته الحقّة بالعربية و أسرارها دعاه إلى مجانبة الصواب " (١) .

و يقول في موقع آخر " ... و من الجلي أن العصبية هي التي كانت تقود ( بروكلمان ) في أغلب الأحوال و هو يبحث و يتجرأ على المقدسات الإسلامية و معتقداتها ، و ليس هذا من موضوعية الباحث الحق و لا من شيمته " (٢) .

#### د - الجهل باللغة العربية و عدم الإحاطة بها .

اللغة العربية هي أساس الثقافة الإسلامية ، و ركيزة التراث الإسلامي كله ، فهي لغة القرآن ، وبغير الإمام بها و قواعدها و أسرارها لا يستطيع الإنسان فهم كتاب الله - عز و جل - و هو الذي نزل بلسان عربي مبين ، فلا بد من الدراية بالعربية و سبر أغوارها حتى

(١) فلسفة الاستشراق و أثرها في الأدب العربي المعاصر ص ٣١٦ .

(٢) المرجع السابق ص ٣١٨ .



يرتشف الإنسان من القرآن ما يرتشف ، و كذا السنة النبوية لن يستطيع المتناول لدراستها فهمها ، و معرفة شمولها و خصائصها ، و إدراك معانيها إلا بسير أغوار العربية .

و من هنا كانت اللغة العربية عاملاً هاماً في حفظ القرآن و السنة ، فعلى قدر الحفاظ على اللغة العربية و إتقان أهلها لها يأتي التمسك بالقرآن و السنة ، و قد وعى أعداء الإسلام ما تمثله اللغة في حياة المجتمعات ، فهي عماد قوتها ، و سر نهضتها ، بها تحيا الأمم و تقوي ، أو تندثر و تهوى .

و من هنا علم أعداء الإسلام ما للغة العربية من تأثير في الحياة الإسلامية كلها ، فعملوا جاهدين للنيل من اللغة العربية حتى يلبسوا على المسلمين دينهم ، و توالت تيارات التشكيك في اللغة و ادعاء صعوبتها ، و الدعوة لاستبدالها بالعامية و غيرها ، كل ذلك حتى يضعف تأثيرها عند أهلها و من ثم يضعف الدين كله في نفوسهم .

و من هنا وقع المستشرقون في أخطاء عديدة أكثر من أن تحصى في دراساتهم الإسلام و تاريخه بسبب اللغة العربية تارة عن عمد فتكون الأخطاء من قبيل التحريف و تعمد المغالطات و الطعن في اللغة على وجه الخصوص و الدراسات الإسلامية على وجه العموم ، و تارة عن غير قصد فتكون الأخطاء من قبيل الجهل باللغة العربية و في كلتا الحالتين فالتأثير واحد .

إن اللغة العربية بحر لا ساحل له و يحتاج إلى ذي مهارة عالية في الغوص لالتقاط درره و استخراج لآلئه ، كما يحتاج إلى امتلاك أدوات خاصة حتى يتحقق له أمله .

و اللغة العربية ثرية في ألفاظها و معانيها ، و في جملها و تراكيبها ، تحوي من الكنوز و الأسرار ما لا يدركه إلا حاذق ماهر ، مما يصعب على غير العربي الإلمام به و معرفة مراميها .

" و من هنا فإن كثيراً من المستشرقين قد وقع في أخطاء علمية جسيمة بسبب جهلهم باللغة العربية و أساليبها و طرائق التعبير فيها ، و من ثم يرتبون على فهمهم المغلوط أحكاماً خاطئة ، و نتائج غير صحيحة مما يتنافي مع أصول المنهج العلمي السليم " (١) .

و من ذلك - على سبيل المثال و ليس الحصر - ما قاله المستشرق (بروكلمان) في كتابه . تاريخ الشعوب الإسلامية : " و إذا كان العرب يؤلفون طبقة الحاكمين ، فقد كان الأعاجم من الجهة الثانية هم الرعية أي القطيع ، و جمعها رعايا ، كما يدعوهم تشبيه سامي قديم كان مألوفاً حتى عند الآشوريين " (٢) .

### و قد أخطأ هذا المستشرق من ناحيتين : (٣)

**الأولى :** تعلقه بلفظ " رعية " تعلقاً لغوياً استنتج منه أن المسلمين عاملوا الأعاجم باستعلاء و نظروا إليهم كقطيع من الغنم أو الماشية . مع

(١) الثقافة الإسلامية في مواجهة التحديات ص ١٣٤ بتصرف .

(٢) الاستشراق و المستشرقون د / مصطفى السباعي ص ٤٦ .

(٣) الثقافة الإسلامية في مواجهة التحديات ص ١٣٥ .

أن مادة هذه الكلمة في قواميس اللغة العربية تعني كل مرعوس ، و كلمة " راعي " تعني كل رئيس ! ، فالراعي تطلق على رئيس القوم ، و على راعي الغنم . و الرعية تطلق على الماشية و تطلق على القوم . و الكلمة في جميع الحالات تعني الحفظ و سياسة المرعوس بلطف و رحمة و به جاءت الكلمة في كتب اللغة (١) . فالراعي كل ولي أمير قوم ، و القوم : رعية ، و راعيت أمره : حفظته كرعاه ، و قد جاء في القرطبي : " حقيقة ( راعنا ) في اللغة أرعنا و لنرعك ، لأن المفاعلة من اثنين ، فتكون من رعاك الله ، أي احفظنا و لنحفظك ، و ارقبنا و لنرقبك " (٢) .

و على هذا فقد أخطأ ( بروكلمان ) عندما قصر معنى الرعية على قطع الغنم ، و جعل ذلك نظرة المسلمين إلى الأعاجم !! .

**الثنائية :** أخطأ أيضاً عندما زعم أن هذه الكلمة ( الرعية ) كأنها مصطلح جديد لم يستخدمه المسلمون أو يطلقوه إلا على الأعاجم بعد الفتوحات الإسلامية ، و هذا خطأ شنيع ، لأن اللفظة بمعناها اللغوي الذي أشرنا إليه أطلقها المسلمون على عامة المسلمين ، و كانت تطلق على المسلمين العرب قبل الفتوحات ، و هي نفسها التي أطلقت بعد الفتوحات ، فانضوي تحتها كل من انضم إلى المسلمين من غير العرب .

(١) راجع في ذلك لسان العرب حـ ص ط . ، القاموس المحيط حـ ٤ ص ٣٢٩

ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٠ م .

(٢) الجامع لأحكام القرآن مج ١ ج ٢ ص ٤٠ .

يدل على ذلك ما ورد عن رسول الله ( صلى الله عليه و سلم ) في قوله : " ألا كلكم راع ، و كلكم مسئول عن رعيته .. " (١) ، و قوله ( صلى الله عليه و سلم ) : " ما من والٍ يلي رعية من المسلمين فيموت و هو غاش لهم إلا حرم الله عليه الجنة " (٢) .

و الراعي عند أهل الاختصاص هو " الحافظ الموثق المتميز الملتزم صلاح ما أوتمن عليه حفظه فهو مطلوب بالعدل فيه و القيام بمصالحه " (٣) .

فانظر كيف أن الكلمة تلزم الحاكم بالعدل و الإصلاح و المساواة ، و كيف أن كلمة ( رعية ) تعني رعاية الحاكم بها – أي بهذه الرعية – و الإشفاق عليها ، و كيف أن المستشرق تغافل عن كل هذا ، أو غفل عنه ، أو لم يدركه و يقف عليه .

بل انظر كيف ضرب بكل الوثائق التاريخية – عن عدالة الفاتحين المسلمين و معاملتهم الرعية على السواء دون تفرقة بين عرب و عجم – عرض الحائط ، و تعلق بهذه الكلمة تعلقاً لغوياً غير سليم و غير أمين . و من الأمثلة الدالة على فقد ( بروكلمان ) الموضوعية في منهجه ، و وقوعه في الأخطاء بسبب جهلة باللغة العربية ما رده عن شعر حسان بن ثابت • رضى الله عنه ( فقال " حقا كان الرسول ( صلى الله عليه و سلم ) شديد الكراهية للشعر و الشعراء و لكنه كان محتاجا إلى

---

(١) متفق عليه .

(٢) متفق عليه .

(٣) فتح الباري

شاعر يجيب على شعراء وفود القبائل التي كانت تغد كثيرا على المدينة معلنة دخول قبائلها في الإسلام .... و أكثر شعر حسان قريب الألفاظ إلى حد الابتذال ، و لا يصل إلى مستوى جد رفيع ، و إنما يرجع فضل انتشاره و التعلق به في الأزمنة المتأخرة إلى غرضه العظيم الأهمية و هو مدح النبي " ، و إذن فرأي ( بروكلمان ) في شعر حسان أنه مبتذل ثم لا يدل على هذا و كان له أن يدل على دعوي إطلاقها و لكنه لم يفعل ، ثم هو على ما يبدو لا يفرق بين السهولة العذبة و بين الابتذال و يرجع انتشار شعره لا على السهولة و إنما لمدحه الرسول العظيم ( صلى الله عليه و سلم ) .

و نسأله بدورنا هل يرجع انتشار شعر زهير بن أبي سلمى و غيره إلى عوامل خارجية أيضا أم لسهولته و ما فيه من تصوير حيوي جميل ... ؟ " (١) .

فهذا المستشرق يلقي بالتهمة بلا أدلة و لا برهان فبدءا يُرجع شعر حسان ( رضى الله عنه ) لحاجة النبي ( صلى الله عليه و سلم ) إلى من يجيب الوفود التي جاءت تعلن إسلامها و إسلام قبائلها و لا ندري أي حاجة في ذلك خاصة وأن الوفود جاءت مسلمة ولم تأت معارضة ؟ !! ، و هو بذلك يطعن في موهبة حسان الشعرية و كأنما اضطر اضطرارا لتلبية أمر النبي و لذا على حد زعم ( بروكلمان ) جاء الشعر مبتذلا لفراغه من الموهبة الفطرية ، و في هذا كله افتتات على النبي ( صلى الله عليه و سلم ) و على حسان ( رضى الله عنه ) .

(١) فلسفة الاستشراق ص ٣١٨ .

ثم ينصب الرجل نفسه خصماً و حكماً ليحكم على شعر حسان بهذه الأحكام الظالمة بلا سوغ و لا دليل ، و العجب أن يحكم هذا المستشرق هذا الحكم علي شعر حسان بينما لم يحكمه أهل اللغة أنفسهم و كان معروفاً ما عليه العرب في هذه العصور من بلاغة و فصاحة مما يدفعهم نحو لفظ المبتذل و الرث من اللغة سواء كانت شعراً أو نثراً !! ، و على فرض أن سكت الأتباع – أتباع النبي ( صلى الله عليه و سلم ) – على شعر حسان و قبلوه لمدحه النبي . صلى الله عليه و سلم ( فأين كان المعارضون ؟ !! و هل يكفي في نشر شعر مبتذل و أدب رث مجرد اتصاله بزعيم أو رئيس ؟ ! .

و من هنا يقف الجهل باللغة العربية كأحد الأسباب التي حالت بين المستشرقين و المنهج العلمي السليم في تناولهم الدراسات الإسلامية بل و في فهمهم حقائق الإسلام ، و يعزو الشيخ / محمد رشيد رضا الأسباب العائقة عن فهم الأجانب للقرآن إلى : جهل بلاغته ، و إلى قصور ترجمات القرآن و ضعفها فيقول : " إن ترجمات القرآن التي يعتمد عليها علماء الإفرنج في فهم القرآن كلها قاصرة عن أداء معانيه ، و إنه لمن الثابت عندنا أن بعضهم تعمّدوا تحريف كلمه عن مواضعه ، على أنه قلما يكون فهمهم تاماً صحيحاً ، و يكثر هذا فيمن لم يكن مؤمناً به ، بل يجتمع لكل منهم القصوران كلاهما : قصور فهمه و قصور لغته " (١) .

(١) الوحي المحمدي ص ٢٤ - ٢٥ ط المكتب الإسلامي ط ٨

و من ذلك كله بدأ واضحا مدي تهافت المزاعم و الأباطيل التي ساقها المستشرقون ضد الإسلام دفعهم نحوها تعصبيهم الأعمى و حقدهم على الإسلام و جهلهم باللغة العربية و غير ذلك مما بيناه من أسباب حادت بهم عن طريق المنهج العلمي القويم .

#### ثانياً : التدريس الجامعي :

تأخذ الدراسة الجامعية مكانة خاصة لدي المجتمعات ، فتمثل حلقة راقية متقدمة من التعليم في حياة أبناء المجتمع ، يتطلع إليها الأسر و الأفراد فتحلم كل أسرة بانضمام أبنائها إليها ، و يتطلع كل فرد لهذه الدراسة أملا في الانطلاق الفكري و التحرر العقلي ، طامعا في اكتساب المعارف و الخبرات ، و تحمل المسؤوليات ، ينتظر من وراء دراسته فهما لواقعه و معاشية لمجتمعه خاصة و أنه في هذه المرحلة يكتمل نضجه ، و ينظر المجتمع إليه نظرة الرجولة و ينتظر منه الكثير و الكثير .

فالمرحلة الجامعية نقطة تحول في حياة الأفراد و الأسر و المجتمعات ، و نظراً لما بلغت هذه المرحلة من أهمية فإن الدول الواعية تنظر إليها بعين الاهتمام طالباً و أستاذاً و مناهج حتى تؤتي هذه المرحلة ثمارها نفعاً للمجتمع و النهوض به .

و تأتي مكانة الأستاذ الجامعي من مكانة الجامعة و أهميتها ، ليكون قدوة لكل تلميذ ، و رمز كل متعلم ، ينظر إليه الطالب بعين الثقة و الصدق لعلمه . أن أستاذه أحرص الناس عليه ، فالأستاذ في حقيقة الأمر والد لطلابه ، لا ييخل عليهم بعلم و لا يضمن عليهم بوقت و خير .

و قد استغل المستشرقون ما للجامعة و الأستاذ الجامعي من مكانة و أهمية في خدمة أغراضهم ، و وجدوا في التعليم فرصة سانحة لبث أفكارهم ، و تنفيذ جزء هام من مخططاتهم ضد الإسلام .  
و كان التدريس الجامعي أحد الوسائل الهامة التي اعتمد عليها المستشرقون في صراعهم ضد الإسلام ، و اتخذ هذا التدريس صورتين :

الأولى : تدريس المستشرقين في الجامعات العربية و الإسلامية في بلاد المسلمين .

و الثانية : تدريسهم في أقسام خصصت للدراسات الشرقية و الإسلامية في جامعاتهم و يستقطب لها أبناء المسلمين للحصول على الإجازات العلمية ، و في كلتا الصورتين يسير المخطط و يتحقق الهدف .

فالصورة الأولى يأتي المستشرق إلى جامعات المسلمين متخذاً مكان الأستاذ الذي يثق به طلابه ، و لا يتشككون في نزاهته و إخلاصه ، و يجد الأستاذ الطريق معبداً لبث فكره و نشر سمومه .

و في الصورة الثانية يتعامل المستشرقون مع هذه الأقسام الخاصة بالدراسات الشرقية و الإسلامية على أنها معامل تفريخ لمن يحملون فكرهم و يعيشون توجيهاتهم من العرب و المسلمين ، ليعودوا إلى أوطانهم مستشرقين محليين في أوطانهم ينفذون المخططات و يروجون للسموم ، و كلتا الصورتين مر و خطير .



" لا تكاد تخلو جامعة أوروبية أو أمريكية من معهد خاص للدراسات الشرقية أو الإسلامية والعربية . بل يوجد في بعض الجامعات أكثر من معهد للاستشراق .

و تقوم هذه المعاهد بمهمة التدريس لتخريج الدارسين في أقسام الماجستير و الدكتوراه ممن يتواصلون في المجال الأكاديمي الاستشراقي أو من غيره من مجالات السلك الدبلوماسي أو الالتحاق في الأقسام الشرقية بدور الكتب و في مراكز البحوث المهمة بالشرق أو غيرها ..... و يلتحق بهذه المعاهد أعداد لا بأس بها من العرب و المسلمين الذين يعودون إلى بلادهم لتولي مهمة التدريس في جامعاتها " (١) .

" و قد تأثر كثير من الذين درسوا في الجامعات الغربية من أبناء المسلمين بدراسات المستشرقين ، و اتخذوا بأساليبهم ، و أخذوا يرددون شبهاتهم ، و يروجون لها بين المسلمين و يعتبرونها حقائق علمية مسلماً بها ، و أخذوا يعلمونها طلابهم من المسلمين ، و يكتبون فيها المؤلفات العديدة ، و تعمل الدوائر الاستعمارية على ترويج هذه الكتب ، و دعم مؤلفيها ، و دفعهم بأيدي خفية إلى أعلى مراكز الإدارة و التوجيه داخل بلادهم ، للاستفادة منهم في خدمة أغراض التبشير و الاستعمار ، و في هدم الإسلام و تشويه تاريخ المسلمين " (٢) .

(١) الاستشراق و الخلفية الفكرية للصراع الحضاري د/ زقزوق ص ٧١ ، ٧٢ بتصرف .

(٢) أجنحة المكر الثلاثة ص ١٥٣ بتصرف يسير .

و الواقع اليوم يكاد ينطق بهذا التأثير ، فقد اعتلى المراكز القيادية في جميع المجالات في الدول العربية و الإسلامية لا أقول أفراداً بل جيل من العلمانيين - إلا من رحم ربي - الذين كانوا نتاجاً طبيعياً لهذا الفكر الاستشراقي سواء ممن درسوا في جامعاته في الغرب ، أو درس لهم في جامعاتهم المحلية و النتيجة واحدة .

إن تأثير الأستاذ الجامعي في طلابه أشبه في اتساعها بتأثير الداعية في جمهوره ، فالأستاذ لا يخاطب هذه العقليات المعدودة المحدود التي تستمع له بل يمتد تأثيره أفقياً ليشمل التلميذ و أسرته و أصدقاءه و جيرانه ، .... و من ثم مجتمعه ، و يمتد رأسياً ليشمل جيلاً آخر ، حيث ينقل هذا التلميذ فكره لأبنائه و أبناء أبنائه حتى يرسخ هذا الفكر و تثبت دعائمه ، و يأخذ صيغة الاحترام و القداسة مما يصعب اقتلاعه بعد أن صار موروثاً ثقافياً فكرياً للأجيال المتلاحقة .

فما بالنا بتأثير هذا الفكر بعد أن يفتح للطلاب الدارسين له أبواب الجامعات يدرسون ، و في المؤتمرات و المحافل يتحدثون ، و يحتضنهم الإعلام بصوره و مؤسساته ، يعظم فكرهم ، و يمجّد آراءهم ، فإلى أي مدى ينتشر هذا الفكر ، و إلى أي درجة يصل خطره و تأثيره ؟ !! .

و لا يعرف المستشرقون الارتجال في تصيد الطالبة الدارسين في جامعاتهم سواء في بلدانهم أم في بلاد الشرق ، كما لا يعرفون الارتجال في اختيار المستشرقين الذين يقومون بالتدريس في أقسام الدراسات الشرقية و العربية و الإسلامية في بلادهم ، أو ممن يستقدمون منهم للتدريس في الجامعات الشرقية .

فعن الطلبة فقد نقل صاحب كتاب أجنحة المكر الثلاثة ما جاء في كتاب المشكلة الشرقية و الذي فيه " لا شك أن المبشرين فيما يتعلق بتخريب و تشويه عقيدة المسلمين قد فشلوا تماماً ، و لكن هذه الغاية يمكن الوصول إليها من خلال الجامعات الغربية ، فيجب أن تختار طلبة من ذوي الطبائع الضعيفة و الشخصية الممزقة و السلوك المنحل من الشرق و لا سيما من البلاد الإسلامية ، و تمنحهم المنح الدراسية ، حتى تتبع لهم الشهادات بأي سعر ، ليكونوا المبشرين المجهولين لنا ، لتأسيس السلوك الاجتماعي و السياسي الذي نصبوا إليه في البلاد الإسلامية .

إن اعتقادي لقوي بأن الجامعات الغربية يجب أن تستغل استغلالاً تاماً جنون الشرقيين للدرجات العلمية و الشهادات . و استعمال أمثال هؤلاء الطلبة كمبشرين و وعاظ و مدرسين لأهدافنا و مآربنا باسم تهذيب المسلمين و الإسلام " (١) .

و يكون الطلبة بعد هذا الاختيار تحت الملاحظة من أساتذة الاستشراف في الجامعات الغربية ، فمن سار على الدرب الذي رسمه المستشرقون منح الدرجة العلمية ، و كان الطالب النجيب الذي يستحق التفوق و النجاح ، و من خابت نظرتهم فيه و ناوأهم في فكرهم ، أو جاء بما لا يوافق أهواءهم فلن يمنح درجته ، و يعد من الفاشلين المذمومين .

و قد ذكر في ذلك د / مصطفى السباعي - رحمه الله - ما دار بينه و بين ( البر وفسور أندرسون ) رئيس قسم قوانين الأحوال الشخصية المعمول بها في العالم الإسلامي - في معهد الدراسات الشرقية في (١) أجنحة المكر الثلاثة ص ١٥٢ .

جامعة لندن – " فقد حدث انه أسقط أحد المتخرجين من الأزهر الذين أرادوا نوال شهادة الدكتوراه في التشريع الإسلامي من جامعة لندن بسبب أنه قدم أطروحته عن حقوق المرأة في الإسلام ، و برهن فيها على أن الإسلام أعطي المرأة حقوقها الكاملة ، فكلمه د / السباعي في ذلك و سألته : كيف أسقطته و منعتته من نوال الدكتوراه لهذا السبب ، و أنتم تدعون حرية الفكر في جامعاتكم ؟ ! .

فقال ( أندرسون ) : لأنه كان يقول إن الإسلام يمنح المرأة كذا ، و الإسلام قرر للمرأة كذا ، فهل هو ناطق رسمي باسم الإسلام ؟ هل هو أبو حنيفة أو الشافعي حتى يقول هذا الكلام و يتكلم باسم الإسلام ؟ إن آراءه في حقوق المرأة لم ينص عليها فقهاء الإسلام الأقدمون ، فهذا رجل مغرور بنفسه حين ادعى أنه يفهم الإسلام أكثر مما فهمه أبو حنيفة و الشافعي " (١) .

هكذا يصادر المستشرقون فكر الأزهرى ، و يتناول على أئمة الفقه الإسلامي بالاتهامات الكاذبة ، و لكن هذه طبيعتهم ، لا يرون في الإسلام إلا ما يريدون رؤيته ، و قد صدق الله عز و جل : ( وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى..... ) (٢) .

و كما افتتن البعض من أبناء المسلمين بالدراسة في الجامعات الغربية ، افتتن غيرهم بالدراسة في الجامعات الأجنبية الموجودة في البلاد الإسلامية ، بل راح الكثير من هؤلاء يفاخرون بأنهم في الجامعة

(١) المرجع السابق ص ١٥٦ ، ١٥٧ بتصرف يسير .

(٢) سورة البقرة ١٢٠ .

الأمريكية أو الفرنسية أو الألمانية و غيرها من الجامعات و المعاهد الأجنبية و التي أصبحت منتشرة بصورة واسعة في بلاد الشرق الإسلامي ، و فضلا عن ذلك " سقطت معظم الجامعات المنشأة في بلاد المسلمين تحت الأيدي الخفية للاستشراق و التبشير و الدوائر الاستعمارية ، و غدت خططها و مناهجها و توجيهاتها تخضع بطريق غير مباشر لما تفرضه و تمليه الأيدي الخفية ، و غدت الكنيسة الغربية تفخر بان العلوم الإسلامية و العلوم العربية تدرّس على طريقتها التي تخدم أغراضها في بلاد المسلمين ، و بأن المشرفين على تدريس هذه العلوم من تلامذة أبنائها " (١) .

و استطاع الغرب تزيين جامعاته في بلاد الشرق ، و إكسابها هالة مزيفة بما يروجه حولها و ينفق عليها حتى غدت أملا يتطلع إليها أبناء المسلمين بالرغم من تكاليفها الباهظة و التي لا يقدر عليها إلا فئة معينة من أبناء الشعوب الإسلامية ، و لعل هذه الفئة هي المعنية من هذه الجامعات فتجمع أموالهم لخدمة أغراضها بدلاً من أن توجه لأهداف أخرى قد تواجه سياستهم و فكرهم .

فخريج الجامعات الأجنبية تفتح له الأبواب المغلقة ، و له الأولوية في العمل ، وله الاحترام الاجتماعي و غيره لمجرد تخرجه من هذه الجامعات ، و هذه الصورة تحدث انكساراً لدى أبناء الجامعات المحلية . و إن كانت هي الأخرى لم تسلم من سموم الاستشراق – فينقم

---

(١) أجنحة المكر الثلاثة ص ١٥٣ .

عليها وعلي مجتمعه و يصبح دخوله للجامعات الأجنبية أملا قد يبيع لتحقيقه كل شيء حتى نفسه و دينه !! .

و فرضت هذه الجامعات أجيالا تجهل دينها و رسالتها في الحياة ، تقدر التفاهات و تعيش للذات ، تنقم على مجتمعاتها و دينها ، و تقدر الغرب و تعتنق كل ما لديه لمجرد أنه غربي ، و وجد من أبناء المسلمين من يتقن لغات أجنبية و لا يعلم شيئا عن لغته و يحقرها ، و وجد منهم من يعلم السيرة الذاتية لرموز الغرب في مجالات عدة و لا يعلم شيئا عن نبيه ( صلى الله عليه و سلم ) !! .

و عن الأساتذة ، فقد اعتنى المستشرقون بمن يقومون بالتدريس في الجامعات الشرقية اعتناء خاصا ، فكانوا يتخيرون بمقاييس خاصة حسب ظروف كل بلد ، و طاقات كل مستشرق ، و لذا برع أغلبهم فيما أسند إليه من مهام استشرافية ، و كان المستشرق الذي يتوجه للتدريس الجامعي في بلاد الشرق يتخير من أشد المستشرقين عصبية و حنقا على الإسلام . يقول د / السباعي : " و من المؤسف أن أشدهم خطرا و عداوا للإسلام كانوا هم الذين يستدعون إلى الجامعات العربية و الإسلامية في القاهرة و دمشق و بغداد و الرباط و كرا تشي و لاهور و غيرها من بلدان شرقية إسلامية ليتحدثوا عن الإسلام " (١) ، " بل الأدهى من ذلك أن نستعين ببعض المستشرقين ليقوم بتدريس اللغة العربية ، أو يلتحق

(١) الاستشراق و المستشرقون د / السباعي ص ٢٦ بتصرف

بأقسامها في جامعاتنا ، و ذلك يحدث كثيرا ، و من هنا تأتي خطورة ما يتركونه في نفوس الدارسين من آثار " (١) .

" ففي مصر - مثلا - استقدم المستشرق الإيطالي ( جويدي ) لتدريس الأدب جغرافيا و تاريخيا ، و ( سانتيللا ) لتدريس تاريخ الفلسفة ، و ( كازانوفا ) الفرنسي لتدريس فقه اللغة العربية و العلاقة بين الأدب العربي و الغربي ، و كان يبت سموه لطلابه و التي منها اعتقاده بيشورية القرآن ، و أنه من تأليف الرسول ( صلى الله عليه و سلم ) ، و أن أسلوبه مختلف بين المكي و المدني بتأثيرات يهودية ، و كان د / طه حسين معجبا بشخصيته ، و تفسيره القرآن و يعتقد أنه أقدر علي فهم القرآن و تفسيره من العلماء المسلمين ! " (٢) .

" و ممن درسوا في جامعة القاهرة المستشرق الألماني اليهودي ( شاخت ) و كان أشد المستشرقين حقدًا على الإسلام و كان يتبنى فكر ( جولد تسيهر ) في ذلك الإطار . وله مؤلف في تاريخ التشريع الإسلامي كله دس و تحريف علي أسلوب شيخه ( جولد تسيهر ) " (٣) .

و قد اختار المستشرقون منهم من يقوم بالإشراف على الأقسام الخاصة بالدراسات العربية الإسلامية بنفس المقياس الذي اختاروا به من

(١) الثقافة الإسلامية في مواجهة التحديات ص ١٢٧ .

(٢) طه حسين حياته و فكره في ضوء الإسلام د / أنور الجندي ص ٣٤ ، ٣٦ ، محاضرات في الاستشراق و التبشير ص ٢٦ بتصرف .

(٣) اجنحة المكر الثلاثة من كلام د / السبعي ص ١٥٨ ، ١٥٩ بتصرف .

يقوم منهم بالتدريس في الجامعات العربية و الإسلامية و الذي يقوم على التعصب الأعمى و شدة الحقد على الإسلام و المسلمين ، و من خلال كلام د / السباعي - رحمه الله - عن رحلته التي قام بها عام ١٩٦٥ و التي طاف فيها على أكثر جامعات أوروبا ، و يقول : " إن الدول الاستعمارية كبريطانيا و فرنسا ما تزال حريصة على توجيه الاستشراق وجهته التقليدية ، من كونه أداة هدم للإسلام و تشويه لسمعة المسلمين ففي فرنسا لا يزال ( بلاشير ) ، و ( ماسينيون ) و هما شيخا المستشرقين الفرنسيين في وقتنا الحاضر يعملان في وزارة الخارجية الفرنسية ، كخبيرين في شئون العرب و المسلمين .

و في إنجلترا رأينا أن الاستشراق له مكان محترم في جامعات لندن و أكسفورد و كمبردج و أدنبرة و جلاسكو و غيرها ، و يشرف عليها يهود و إنجليز استعماريون و مبشرون ....

و كان أول من اجتمعت بهم هو البروفيسور ( أندرسون ) رئيس قسم قوانين الأحوال الشخصية المعول بها في العالم الإسلامي - في معهد الدراسات الشرقية في جامعة لندن - و هو متخرج من كلية اللاهوت في جامعة كمبردج ، و كان من أركان حرب الجيش البريطاني في مصر خلال الحرب العالمية الثانية .....

و زرت جامعة ( أدنبرة ) باسكتلندة ، فكان المستشرق الذي يرأس الدراسات الإسلامية فيها قسيساً بلباس مدني .....



و في جامعة ( جلاسكو ) باسكتلندة أيضا كان رئيس الدراسات العربية فيها قسيساً عاش رئيساً للإرسالية التبشيرية في القدس قرابة عشرين سنة .

... و في جامعة أكسفورد وجدنا رئيس قسم الدراسات الإسلامية و العربية فيها يهودياً يتكلم العربية ببطء و صعوبة و كان أيضاً يعمل في دائرة الاستخبارات البريطانية في ليبيا خلال الحرب العالمية الثانية ..... " (١) .

و من هنا كان اختيار العنصر الطلابي الذي يتلقى العلم على أيدي المستشرقين سواء في جامعاتهم و جامعاتنا ، و كذا اختيار أعضاء التدريس الجامعي منهم في بلادهم و بلادنا كان من جملة الأعمال المخطط لها ، و الموجهة توجيهاً منظماً و إلا لما أتى أكله و أثمر غرسه حتى كان من أهم وسائل الاستشراق .

### ثالثاً : المجامع العلمية :

تعد المجامع و المؤتمرات العلمية من أخصب الوسائل التي تثري الفكر و تنظم الجهد و تذلل العقبات و ترسم النتائج و التوقعات ففي أي مجال علمي يحتاج أصحابه للقاء و التجمع لتبادل الخبرات ، و التعرف على الجديد و المشكلات ، فيدلو كل واحد من المشاركين بدلوه فيكون اللقاء أنفع و الفائدة أعم خاصة عند تكامل الأدوار ، و اتحاد الهدف و تقارب الأفكار .

(١) أجنحة المكر الثلاثة ص ١٥٥ - ١٥٩ بتصرف و اختصار .

و قد استغل المستشرقون ما في المجامع من فوائد ، واتخذوها وسيلة هامة في تحقيق أهدافهم نحو الشرق الإسلامي ، و تنوعت المجامع التي أقاموها و شاركوا فيها تارة تكون على أرضهم في الغرب و تارة تكون في دول الشرق الإسلامي ،

و في كلتا الحالتين وحدوا هدفهم ، و تكاملت أدوارهم . و كانت هذه المجامع فرصة لعرض ما وصل إليه كل واحد منهم في دراساته و أبحاثه ، و ينقل كل واحد خبراته لغيره ، كما أن هذه المؤتمرات كانت فرصة لرسم خطوط المستقبل و ما يحتاجون من تطوير في كل مرحلة جديدة ، كما كشف هذه المؤتمرات عن العقبات التي كانت تعترض طريقهم فكانت تتيح الفرصة لبحثها و تذليلها ، كما كانت تعطي هذه المجامع فرصة تقييم العمل في كل مرحلة من المراحل مما يسهل معه تحديد ما يحتاج دفعا و تنشيطا ، و معرفة ما يحتاج تحديثا و تطويرا .

و لأهمية هذه المجامع حرص المستشرقون على تنظيمها منذ أمد بعيد لتنظيم العمل فيما بينهم ، و تنوعت هذه المجامع و المؤتمرات بين مؤتمرات دولية و مؤتمرات محلية و منها ما عقد في الغرب و منها ما عقد في الشرق ، و سواء تنوع أنواعها و تعددت مسمياتها كان المستشرقون حريصين كل الحرص على حضورها و المشاركة فيها ، و ينظرون إليها نظرة الاهتمام و التقدير .

" و قد تم عقد أول مؤتمر دولي للمستشرقين في باريس في عام ١٨٧٣ م ، و تعقد هذه المؤتمرات منذ ذلك الحين بصفة

منتظمة ، ... و هذا عدا المؤتمرات و الندوات و اللقاءات الإقليمية التي يرجع بعضها إلى تاريخ أقدم من تاريخ أول المؤتمرات الدولية ، فقد عقد أول مؤتمر للمستشرقين الألمان في مدينة ( در سدن ) بألمانيا في عام ١٨٤٩ م و لا تزال مثل هذه المؤتمرات تعقد بانتظام حتى اليوم . و تضم هذه المؤتمرات الدولية للمستشرقين منات العلماء فمثلا مؤتمر ( أكسفورد ) كان يضم تسعمائة عالم من خمس و عشرين دولة ، و خمس و ثمانين جامعة ، و تسع و ستين جمعية علمية ، و مجموعات العمل في كل مؤتمر تبلغ أربع عشرة مجموعة تختص كل منها ببحث مجال معين من الدراسات الاستشرافية .... " (١) مما يشير إلى تنظيم جيد لهذه المؤتمرات و الإعداد الجيد لها حتى تثمر نتائجها ، و إلا لما استمر تنظيمها .

" و قد استغل المستشرقون المجامع العلمية في الدول العربية و الإسلامية فعملوا بها ، و أصلحوا من أعضائها المرموقين ، و قد أشاع الإعلام الدولي حولهم هالات من الإعجاب و الثناء في قدرتهم على البحث و التمكن من المعرفة ، و حيازة مصادرها و من هؤلاء : المستشرق الإنجليزي ( براون ) و الذي كان يجمع بين العضوية في المجمع العلمي العربي بدمشق ، و المجمع البريطاني ، و المستشرق الإنجليزي أيضاً ( هاملتون جيب ) الذي كان يحرص على حضور مؤتمرات جميع المجامع ، و المستشرق ( كار لو نيلينو ) الذي كان

(١) الاستشراق و الخلفية الفكرية للصراع الحضاري ص ٥٢ ، ٥٣ .

عضوا في المجمع العلمي الإيطالي و المجمع العلمي العربي بدمشق و اللغوي بالقاهرة منذ تأسيسه ... " (١) .

و هكذا حرص الكثير من المستشرقين على الجمع بين عضوية المجمع في الشرق و الغرب حتى يمكنهم ذلك من التعرف على ما يحدث هنا و هناك بصورة أقرب و أوضح ، و بناء على ذلك يستطيعون رسم خطواتهم ، و نسج خيوطهم . و بطبيعة الحال لكل مؤتمر أبحاثه و دراساته ، فكان المستشرقون يهتمون بجمع هذه الأبحاث و تلك الدراسات " و يقومون بنشرها في مجلدات للاهداء بها كنظم و مناهج و وسائل ، ثم أصبحت مع دراسات مؤتمراتهم الدولية و الإقليمية - أصنولا و أمهات و أسانيد للباحثين " (٢) " و تقوم على هذه المؤتمرات ، و إصدار هذه المجلات جمعيات استشرافية في عدد من الدول الأوروبية " (٣) .

#### وسائل الاستشراق و العصر الحديث :

أعطي العصر الحديث بما يملكه من تقدم علمي ( و تكنولوجي ) في وسائل الاتصال فرصة سانحة حتى يتعاضد دور هذه الوسائل ، و يتسع انتشارها ، و يمتد ذبوعها ، و بعد أن صار العالم كله قرية واحدة ، و لم يعد تناقل المعلومات و الأفكار إلا ضغطة زر بعد أن كان في الماضي

(١) محاضرات في الاستشراق و التبشير ص ٢٦ و ٢٧ .

(٢) المستشرقون الحقيقي ج ٣ ص ٣٦٥ و ما بعدها .

(٣) لمحات في الثقافة الإسلامية : عمر عودة الخطيب ص ٢٠٦ مؤسسة الرسالة

بيروت ١٩٧٧ م .

سفرا و ترحالا ، و تعباً و نصبا ، يستغرق فترة طويلة من الزمن و من الجهد حتى ينشر كتاب و حتى تتم ترجمة ، و حتى تحقق مخطوطة ، و حتى ينعقد مؤتمر أو يدرس أستاذ ، أصبح الأمر اليوم لا يستدعي الوقت الطويل ، و لا العبء الثقيل ، فأصبح الأستاذ يستطيع بث فكره و هو في بيته و أمامه قاعدة طلابية لا تعرف جدران جامعة ، و لا حيز معهد ، بل إنه يستطيع أن يخاطب العالم كله عن طريق أجهزة الإعلام التي أحدثت انفتاح العالم بعض على بعض ، و هنا تكمن الخطورة عندما نعلم أن السيطرة الإعلامية يمسك بزمامها اليهود و الغربيون ، و يستطيعون من خلال ذلك توجيه المجتمعات و الشعوب حسب رؤيتهم و أهوائهم .

و عن طريق الإعلام المفتوح و وسائل الاتصال أصبح التدريس الجامعي كوسيلة من وسائل الاستشراق تدريسا عاما لكل سن و لكل فكر و لكل طائفة . ، مكن الإعلام الحديث من مقعد لكل أستاذ في كل بيت و مدرسة ، و هيئة و مؤسسة ، و لا عجب بعدئذ أن نجد شبابنا في كل يوم و ساعة بأيديهم العديد من الشبهات و المطاعن في الإسلام و المسلمين و التي تلقوها من شبكات ( الإنترنت ) يسوقها البروفيسور فلان ، و الأستاذ فلان من أساتذة الاستشراق في الداخل و الخارج ، و لا عجب أن تخصص مواقع عديدة لخدمة هذه الأغراض المشبوهة ، و الأهداف المسمومة .

عن طريق الإعلام الحديث أصبح التواصل بين المستشرقين لا يحتاج إلى عقد مؤتمرات و لا إلى لقاءات طالما أن هذه الوسائل قد مكنتهم من

التواصل المستمر ، و عن طريق شبكات ( الإنترنت ) يستطيع  
المستشرقون عقد الحوارات و المناقشات و تبادل الأفكار و المعلومات ،  
و الاطلاع على الأبحاث و تقييم الجهود و تنظيمها و تحديد المشكلات  
و حلها ، فوفر عليهم ذلك الوقت و الجهد . و لم يعد المشاركون في  
مؤتمراتهم عندئذ عشرات أو مئات بل من الممكن أن يشارك فيها أهل  
الأرض عن طريق وسائل الإعلام الحديث ، و لم تعد مخصصة بوقت ،  
بل تحدد عند الحاجة و لا تنقيد بزمان ، مما يعطيهم فرصة متابعة الجهود  
ليس عاماً بعام أو شهراً بشهر بل ساعة بساعة و لحظة و لحظة .  
لم يعد العامل الزمني مهماً في تأليف المؤلفات ، و لا في كتابة  
المقالات ، و طبع المطبوعات ، بعد أن صار جمع المادة العلمية لا  
يحتاج لتنقل و سفر ، بل أصبحت المعارف و العلوم في مكتبة كل واحد  
– الخاصة – يستطيع معرفة ما يريد عن طريق بحثه في حاسبه –  
الكمبيوتر – و مما يزيد من سهولة الأمر أن معظمهم لا يتبعون منهجية  
علمية سليمة في كتابة هذه المؤلفات – و قد أشرنا إلي هذه المناهج قريباً  
– فيقبل الواحد منهم تسوقه رغبته الشخصية ، و ما ملأ فكره و قلبه من  
عصبيته ، فلا مانع من تعمد المغالطات ، و تحريف النصوص  
و الكلمات ، و لا أسهل من القص و اللصق حسب الهوى و الميول .  
كما قللت وسائل الاتصال و النشر الحديث من تكلفة الطبع و النشر ،  
و لم يعد العامل الاقتصادي عائقاً أمام هذه المؤلفات و المنشورات –  
فضلاً عن أنه لم يكن عائقاً في السابق بسبب الاعتمادات الهائلة التي

تخصصها الدول الغربية و الكنيسة لخدمة أغراض الاستشراق و التبشير  
- فانتسعت انتشاراً و ذاع صيتها .

و إذا ما أنتج المشرقون ستين ألف كتاب في الفترة ما بين أوائل القرن  
التاسع عشر و حتى منتصف القرن العشرين - بمعدل كتاب كل يوم  
تقريباً - عن الإسلام و المسلمين فإنهم اليوم يستطيعون إخراج كتاب  
لكل ساعة و أكثر في ظل وسائل الإعلام و الاتصال في العصر  
الحديث . خاصة و أن لديهم بعض من أبناء المسلمين و الشرق من  
جندوهم لخدمتهم فصاروا للمستشرقين عبيداً و للاستشراق عباداً ،  
و يساهمون في الكتابة و التأليف مع المستشرقين الأجانب جنباً الى جنب .

و من هنا فقد أزلت وسائل الإعلام و الاتصال جميع الحجب التي  
كانت تحول بين المستشرقين و نفاذ وسائلهم إلى شعوب الشرق و دول  
الإسلام ، و إذا ما كانت هذه الوسائل في الماضي تخطو خطوات الجمل  
في الصحراء فإنها اليوم تتطلق انطلاق الصاروخ في الفضاء .

و في الحقيقة و عند التأمل نجد أن العصر الحديث و ما قدمه من  
وسائل اتصال و إعلام واسعة النطاق ، و فاقت كل التوقعات فإننا  
- كمسلمين - نستطيع أن نستخدم هذه الوسائل أيضاً في مواجهة  
الاستشراق و سموم المستشرقين ، فكما استغل المستشرقون الإعلام  
و الاتصال لخدمتهم نستطيع أيضاً فعل ذلك بشيء من التخطيط و التنظيم  
و تكامل الجهود و توحيد الصف ، و اختيار العناصر المناسبة للخدمة  
في هذا المجال و التي لا بد أن تتحلى بالإخلاص و تتسم بالوعي  
و الإدراك و الخبرة في هذا المجال حتى نقف بالوسائل الحديثة على ثغر

من ثغور الإسلام ، و نحلم أن تتعدد مواقعنا على شبكات ( الإنترنت )  
و التي تبث معارف الحق عن الإسلام و ترفع الظلمة عن العقول  
و الران عن القلوب ، و تنتشر الفكر المستنير و المعرفة الراشدة التي  
ينتفع بها أبنائنا أولاً ، و تكون سلاحاً نواجه به أعدائنا ثانياً .



## **الفصل التاسع**

### **مواجهة وسائل الاستشراق**

**ويتضمن المباحث الآتية :**

- ١ - تنشيط المناعة الداخلية لمجتمعاتنا الإسلامية .
- ٢ - مقاومة وسائل الاستشراق .
- ٣ - تغيير مسار التعامل مع الفكر الاستشراقي .

## مواجهة وسائل الاستشراق

الطبيب في معالجته لمرضاه يعتمد على عاملين أساسيين القضاء على المرض :

**الأول :** و هو تنشيط المناعة الذاتية لدى المريض .

**و الثاني :** سد المنافذ أمام المرض حتى لا يستفحل خطرہ و يشتد أثره .

و من هنا يلجأ إلى أدوية و غيرها من نصائح و إرشادات ، و وصايا و توجيهات ، و على قدر توفيقه في التشخيص و الوقوف على أسباب المرض و حقيقة أثره يكون نجاحه في اختيار العلاج المناسب ، لكن ثمة أمر آخر لابد من مراعاته حتى يشفى المريض و تنتهي العلة ، و هو وعي المريض ذاته ، و إحساسه بمسئوليته تجاه نفسه ، و التزامه بنصائح الطبيب و توجيهاته حتى يتكامل الأخذ بالأسباب فيمن الله – عز و جل – بالشفاء .

و من خلال الكلام عن الاستشراق و وسائله نستطيع أن نقف على حد ما وصل إليه هذا الداء ، و مدي تغلغل جراثيمه في مجتمعاتنا الإسلامية ، و التي دمر فيها آلاف الخلايا السليمة حتى علت الشكوى ، و دوت الصرخة من شدة الألم .

و حتى نبحث عن حلول لتخلص الجسد الإسلامي من جراثيم الغزو الفكري لابد أن نقدر الأمور بقدرها و نضع الأمور في نصابها .

و حقيقة إننا أمام واقع أليم ، و حال مرير ، لا نحتاج في ألم الواقع لقلم  
لاستبيان ، و لا نحتاج في مرارة الحال لتذوق بلسان ، بل إن الواقع  
يحكى ألماً لكل ناظر ، و الحال ينضح مرارة لكل متأمل ، و يكفي ما في  
الأمة اليوم من تمزق و تفرق ، و يكفي ما يعيشه بعض أبنائها من  
تشتت ، فقدوا ذاتيتهم فصارتوا للأعداء تبعاً ، و تغربوا عن دينهم فتحولوا  
أشلاء و قطعاً ، ضاعت هويتهم ، و فقدوا هيبتهم – إلا من رحم ربي –  
و لم يعد ينفع اليوم بكاء على ما فات و لا ندم ، فمهما تعالى الصراخ و  
اشتد العويل فلن نتقدم به أمم .

و مع سوء الأحوال و شدة البأس فلن نفقد الأمل و لن يملكننا اليأس ،  
و العلاج من آثار الغزو الفكري مع أنه صعب إلا أنه ليس مستحيلاً ،  
لكنه يحتاج لحسن إعداد و تخطيط ، و تكاتف للأيدي و توحيد للجهود ،  
يحتاج إلى إخلاص في العمل و رجولة في القيادة ، و حكمة في التوجيه  
لما ينهض بإسلامنا و يعمق معالم ديننا و يحتاج إلى تبصر و وعي ، فما  
زال بأيدينا النور ، و أماننا الطريق ....

و أرى أننا في معرض مواجهة الاستشراق عموماً و وسائل  
الاستشراق خصوصاً – و الكلام هنا عن الاستشراق المغرض صاحب  
الأهداف المشبوهة – لابد أن يتكامل العمل في ثلاثة محاور :

الأول : تنشيط المناعة الذاتية لمجتمعاتنا الإسلامية ، هذه المناعة التي  
نعتد عليها في مقاومة العلل التي تنتاب الأمة .

الثاني : مقاومة وسائل الاستشراق و الحد من فعاليتها .

**الثالث :** تغيير مسار التعامل مع الفكر الاستشراقي فنعرض لهذا الفكر عقيدة و تاريخاً ، ..... و نركز في ذلك على الأصول التي ينتمي إليها الفكر الاستشراقي لبيان حقيقتها ، و زيفها ، فمكان المدافع دائماً ضعيف ، و طالما وقفنا موقف المدافعين تستنفذ جهودنا و طاقتنا و لن نحقق شيئاً على أرض الواقع .

**الرابع :** الخطوات العملية التي من شأنها تفعيل المحاور الثلاثة السابقة .

و نعرض لبيان ذلك بشيء من التفصيل في السطور القادمة .

## أولاً: تنشيط المناعة الداخلية لمجتمعاتنا الإسلامية :

### إيقاظ الوعي و تنمية الإرادة .

الجسد في تخلصه من العلل و الأمراض يعتمد على مناعته الذاتية و مقاومته الداخلية ، و على قدر تنشيط هذه المناعة و تفعيل هذه المقاومة يستطيع الجسد تخطي الأزمات ، و كذلك الأمم و المجتمعات تحتاج أول ما تحتاج لتخطي أزماتها ، و مواجهة انتكاساتها ، لمناعة ذاتية ، و مقاومة داخلية ، تعتمد هذه المناعة و تلك المقاومة على مدي وعي أفراد المجتمع بحقيقة الأزمة ، و خطر الانتكاسة .

فالوعي أول مراحل اليقظة لنهضة المجتمعات المنكسرة ، فالجسد إن لم يشتك من مرارة الألم لن يبحث الإنسان عن دواء ، فلا بد أن يعي الجسد شدة الألم فيكون ذلك إشارة الانطلاق نحو التخلص من المرض و مقاومته .

### فالوعي الذي نطلبه لمجتمعاتنا الإسلامية وعي ذي شقين :

أ - وعي بمخاطر الغزو الفكري عموماً و الاستشراق خصوصاً حتى يتكشف أفراد المجتمع مخاطر هذه التيارات الفكرية المشبوهة ، و أثارها المدمرة و فكرياً و سياسياً و اقتصادياً و قبل ذلك خطرها على الدين و الحياة كلها .

لابد من وعي بهذه التيارات مفهوماً و نشأة و تاريخاً و دوافع ، و أهداف ، و وسائل ، لابد من وجود هذه التوعية المعرفية بحقيقة هذه التيارات الهدامة و المروجين لها و نزعاتهم و أهدافهم .....

فعلى قدر وعي المجتمع بمخاطر الشيء يكون التوجه و التعامل معه .  
ب - وعي بالفكر الإسلامي الراشد المستنير ، و الثقافة الإسلامية  
الواعية حتى يكون هذا الفكر و هذه الثقافة هي المرجعية للحكم على هذه  
التيارات الهدامة .

ان حركات التغريب الفكري في مجتمعاتنا الإسلامية اعتمدت أول ما  
اعتمدت في نشر أفكارها و مبادئها على جهل بعض أبناء المسلمين  
بدينهم ، و ثقافتهم الإسلامية و من كان هذا شأنه سهل غزوه لأنه افقد  
التحصين ضد الأوبئة الوافدة ، و على قدر الوعي الديني ، و تحصيل  
المعارف الإسلامية يصعب اختراق أصحابها ، و لذا لم ينجرف أمام  
تيارات الغزو الفكري من المسلمين إلا مضمحل الثقافة الإسلامية ،  
الجاهل لحقائق دينه ، أو من تربى في أحضان هذه التيارات و شرب  
ألبانها . ، أما أصحاب القدم الراسخة في فهم الدين ، و وعي الإسلام لم  
تكن هذه التيارات معهم إلا كتيارات هواء مرت على جبال رواسي -  
نسأل الله الثبات - .

يقول د / زقزوق : " و غني عن البيان أن الجسم الضعيف يكون أكثر  
تعرضاً لخطر الإصابة بالأمراض الفتاكة من الجسم السليم ، فالأمة  
الإسلامية لو كانت قوية مرهوبة الجانب و رائدة في مضمار التقدم  
و الحضارة لما كانت هناك على الإطلاق مشكلة قائمة حول الغزو  
الفكري و خطره على الإسلام .

فالإسلام في ذاته قوي في مبادئه و أصوله و أهدافه و تشريعاته ، و لا  
يخشى عليه من أية تيارات فكرية مناوئة أيا كان خطر هاو أيا كان

مصدرها ما دام هذا الدين قد وجد من أتباعه الفهم الصحيح لأهدافه و غاياته و تشريعاته . و لكن إذا افتقد الإسلام لدى أتباعه هذا الفهم ، لضعفهم و انهيار عزائمهم ، و انحلال عري وحدتهم فهذا يكون الخطر كل الخطر الذي يهدد كياناتهم كله " (١) .

و يشير هذا الكلام إلى ما نحن بصدد بيانه من ضرورة إيقاظ الوعي الذاتي لأبناء الأمة ، و لابد أن يكون الحل من داخلنا و لن ننتظر حلا لمشاكلنا و أزمتنا من الغير ، فلن يريد الغير لنا خيراً ، و السماء لا تمطر ذهباً و لا فضة ، و ما حك جلدك مثل ظفرك . فالقضية قضية المسلمين ، و حلها لابد أن ينبع من داخلهم و وعيهم بواقعهم .

و هنا سؤال يفرض نفسه من المسئول عن هذا الوعي ؟ و من المنوط به هذا الدور ؟

كلنا مسئول . و لا يستطيع أحد أن يفصل من هذه المسئولية ، خاصة و أن القضية قضية دين .. قضية حياة .... و كلنا يدفع الثمن و يسدد القسط !

المسئولية على عاتق الجميع بدءاً من قيادات الأمة و مروراً بمؤسساتها و هيئاتها على اختلاف مسمياتها و حتى قاع المجتمع ، بل و حتى رجل الشارع . الكل يتحمل من المسئولية جزءاً .

لكن حجم المسئولية يختلف حسب مكان الإنسان و تعليمه و مكانته و رتبته .

---

(١) هموم الأمة الإسلامية ص ١٧٨ و ١٧٩ بتصرف يسير .

فالقادة و أولوا الأمر عليهم الجزء الأكبر في مسئولية توعية مجتمعاتهم و تنمية طاقات أبناء الأمة ، فيبدهم القرار ، و لهم الرأي و التبعة من هنا ثقيلة .

و تشارك بعد ذلك المؤسسات و الهيئات خاصة ما يتعلق بالتوجيه و التعليم و التربية و التوعية كمؤسسات الدعوة ، و المؤسسات التعليمية و التربوية و الإعلامية و غير ذلك من المسؤولين عن صياغة الفكر و إثراء المعرفة .

إن النبي ( صلى الله عليه و سلم ) عندما تحدث عن المسئولية في المجتمع لم يلق بتبعاتها على فرد دون فرد ، أو على طائفة دون طائفة بل إنه ( صلى الله عليه و سلم ) وزع الأدوار و قسم المسئوليات ، فعلى كل فرد يعيش في المجتمع مسئولية و له من الأدوار ما يتناسب مع وضعه ، يقول ( صلى الله عليه و سلم ) : " كلكم راع و كلكم مسئول عن رعيته : الإمام راع و مسئول عن رعيته ، و الرجل راع في أهله و مسئول عن رعيته ، و المرأة راعية في بيت زوجها و مسئولة عن رعيته ، و الخادم راع في مال سيده و مسئول عن رعيته ، و كلكم راع و كلكم مسئول عن رعيته " (١) .

فالرسول ( صلى الله عليه و سلم ) يجمع في المسئولية بين الرئيس و المرعوس ، و السيد و الخادم ، و الرجل و المرأة ، و يؤكد على عموم المسئولية بتكرار " كلكم راع و كلكم مسئول عن رعيته " في أول

---

(١) متفق عليه اللؤلؤ و المرجان ص





الحديث مرة ، و في أخره مرة ، فلا يلقي أحد باللوم على أحد إذا ما غرقت السفينة ، بل إن الكل يساهم في غرقها إذا غرقت ! .

و من هنا فقد بين الإسلام مسئولية الأفراد و الجماعات ، الراعي و الرعية ، الرئيس و المرعوس ، و رسم حدود المسئوليات لكل مسلم ، فوجه الأبوين نحو مسئوليتهم نحو أبنائهما ، كذلك وجه العلماء نحو مسئوليتهم نحو مجتمعاتهم ، و كذا وجه القادة و الأمراء ، و العامة و الخاصة ، فلا يخطو المسلم خطوة إلا و يصحبه توجيه إسلامي عظيم في عمله و تعامله ، في نومه و يقظته ، في مرضه و صحته ، في ضعفه و قوته ، في نعمته و بليته و في سلمه و حربه ، في حله و ترحاله ، في طعامه و شرابه ، في تعلمه و تفكره ، .....

و المقام لا يتسع لاستقصاء مسئوليات كل فرد و مجتمع ، و ما وضعه الإسلام من حقوق و واجبات بين الأفراد و الجماعات ، و لكن ما أود التأكيد عليه هو أن اضطلاع كل فرد بمسئوليته نحو دينه و نفسه و مجتمعه يكسب المجتمع قوة ذاتية ، و حصانة داخلية ، و ينهض بالمجتمع حضارياً و تنموياً الأمر الذي يملك المجتمع به رأيه ، و تعلو به كلمته و يخشي به بأسه ، و هذا يسد المنافذ أمام تيارات الغزو الفكري من النفاذ لمجتمع علم كل فرد فيه واجبه فأداه ، و حقه فأأخذه .

إننا في المجتمعات الإسلامية اليوم نحتاج إلى إعادة صياغة لمؤسساتنا و هياتنا المسنولة حتى تتواءم مع روح الإسلام ، نحتاج إلى إعادة صياغة لمعنى القيادة و الرمز في حياتنا و التي قد شابها بعض الكدر بفعل تيارات العلمنة و الإلحاد ، نحتاج أن تنطلق أقلام الحق و السنة

الصدق ، و أن يحرر أصحاب الفكر الراشد المستنير من أسر التسلط لا  
و أغلال الظلم حتى يأخذوا بأيدي المجتمعات إلى طريق النور .  
و المقام لا يتسع كي نستعرض مسئوليات المؤسسات و الهيئات في  
مجتمعاتنا تجاه الغزو الفكري عموماً و الاستشراق على وجه  
الخصوص ، و لكن يكفي أن نتحدث عن دور مؤسسات الدعوة .

## مؤسسات الدعوة :

" مؤسسات الدعوة مفهوم واسع يشمل الأزهر الشريف و وزارات الأوقاف و المساجد التي تتبعها ، و ما تقوم به من دور كبير في التوعية الدينية ، و تشمل أيضاً معاهد التعليم التي تعني بالتكوين الإسلامي على اختلاف مراحلها - وبخاصة - الجامعية منها - و يدخل فيه كذلك إدارات الوعظ و الإرشاد و اللجان العليا للدعوة ، و لجان الشئون الدينية بالمجالس النيابية و المجلس الأعلى العالمي للمساجد و المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، و لجان الشئون الدينية بالأحزاب المختلفة و إدارات تدريب الدعاة ، و وسائل الإعلام الإسلامية مقروعة أو مسموعة أو مرئية مثل إذاعات القرآن الكريم و الصحافة الدينية سواء أكانت صحفاً يومية أو أسبوعية ، أو مجلات أسبوعية أو شهرية أو دورية ... الخ ، كما يدخل تحت مفهوم مؤسسات الدعوة أيضاً المؤسسات الأهلية و الجمعيات الدينية التي تعني بالتوعية الدينية ....

و أخطر ما في هذه المؤسسات جميعاً هي المؤسسات التي تتولى التربية و التنقيف ابتداءً من المراحل التعليمية الأولى حتى المراحل النهائية ، و يضاهيها في الخطر و الأهمية وسائل الإعلام ، لما لها من تأثير لا يقاوم في صياغة أفكار الناس و توجيه عقولهم " (١) .

(١) هموم الأمة الإسلامية ص ١٧٦

و المؤسسات الدعوية في سبيل مساهمتها في مواجهة الاستشراق  
كتيار فكري هادم و مخرب تستطيع أن تضطلع بدورين يتكاملان في  
هدفهما و يتلازمان في سيرهما و هما :

#### " ١ - تحصين الجبهة الداخلية :

يقتضي تحصين الجبهة الداخلية استنهاض عزائم المسلمين لنفض  
غبار التخلف عن كواهلهم و حثهم على المشاركة الإيجابية في صنع  
التقدم و الحضارة على أرضهم عن طريق العلم و الدراسة و الفهم ،  
حتى لا يظلوا - كما يراد لهم - مجرد مستهلكين لمنتجات الغرب -  
فالأمر المؤسف حقاً أن العالم الإسلامي - الذي حباه الله برقعة تحمل في  
باطنها كل خيرات الدنيا - ما يزال معتمداً في قوته على الدول الأجنبية  
بنسبة تزيد على ستين في المائة . و هذه الدول إذ تورد له قوته تورد له  
في الوقت نفسه أفكارها و قيمها و تقاليدھا و طرائق معيشتھا ، و معلوم  
بأن من لا يملك قوته لا يملك قراره " (١) .

فحقيقة الصراع الدائم اليوم بين الإسلام و أعدائه لم يعد على سلاح  
عسكري مباشر بل إنه أصبح صراعاً على شربة الماء و لقمة الغذاء  
و قرص الدواء و خيط الكساء ، أصبح صراعاً على الفكر و المعرفة  
و على الحضارة و الثقافة ، صراع يتحكم فيه من يملك أدواته ،  
و يستجمع طاقاته ، و لا شك أن التقدم الاقتصادي يوفر هذه الأدوات مما  
يفرض السيطرة و التحكم لمن يمتلكه .

(١) المرجع السابق ص ١٨١ .

كيف ننشر فكرنا و غيرنا يتحكم في إعلامنا و أدواته و يحتكر  
( تكنولوجيا ) الاتصال و المعلومات ؟ ! .  
كيف نقول لا لمن نتسول منه لقمة العيش ؟ ! كيف نعبر عن ذاتيتنا  
و نحن مكبلون بأغلال الفقر و التخلف و التبعية ؟ ! .  
" و من أجل ذلك يجب أن تقوم مؤسسات الدعوة بتنشيط الدافع الذاتي  
لدي المسلمين و إبراز القيم الإسلامية العنسية مثل : العمل و الوقت  
و الحق و الخير و الجمال و ترسيخ هذه القيم في النفوس .  
إننا عند التأمل في كتابات المستشرقين نجد أن أغلبهم قد ركز على  
تيارات الفرقة و التمزق ، و دعوات الهدم و المعارضة و الخروج على  
الإسلام و المسلمين ، و كما اهتم بتيارات القعود و الدعة و راح يصيغ  
الإسلام بها حتى تأخذ مكانها في مجتمعاتنا الإسلامية على أنها من  
الإسلام و لذا فمن الضروري أن توجه مؤسسات الدعوة جهودها - كل  
منها بأسلوبه و طريقته الخاصة - لإيقاظ الهمم لدي كل فئات الشعب ،  
و حفز العزائم للعمل على انتشال العالم الإسلامي من الركود الذي يحيط  
به - و هذا أمر يتطلب وضع خطة للتنمية الدينية و الأخلاقية على  
غرارها تقوم به الدول من الخطط الاقتصادية و الاجتماعية ، و ذلك من  
أجل ترسيخ المفاهيم و القيم الإسلامية في النفوس لتنتقل إلى العمل  
بهمة و نشاط . فهذه التنمية الدينية و الأخلاقية هي الأساس الحقيقي لكل

أنواع التنمية الأخرى اقتصادية كانت أم اجتماعية أم تربوية أو سياسية ..... الخ " (١) .

فليس من المعقول أن تقع دولنا الإسلامية خططا اقتصادية واجتماعية ولا تقع خططا للتنمية الدينية والأخلاقية وهي أساس نجاح غيرها من خطط ، ومن العجيب أن نتعامل مع الإنسان كجسد يحتاج إلى الطعام والشراب واللباس ونهمل فيه روحه ونفسه وعقله ! من العجيب أن تتوالى حملات شلل الأجساد - الأطفال - ولا تنظم حملة واحدة لشلل العقول والأفكار وضمور القيم والأخلاق ! .

و خطط التوعية وحملات التنقيف لا نقصد بها أي ثقافة ومجرد المعرفة ، بل إننا نقصد بها الثقافة الإسلامية الأصيلة " الثقافة التي محورها الإسلام ، مصادره ، أصوله ، علومه المتعلقة بهذه الأصول المنبثقة عنه " (٢) " فالتربية على أساس القيم والمبادئ الإسلامية ، التوعية الدينية بأسس الإسلام وغاياته يشكل حصانة قوية ودعم أساسية تستطيع أن تواجه أية تيارات فكرية أجنبية .

و يجب أن يبدأ هذا التحصين من مرحلة الطفولة ، وذلك بغرس الانتماء الحقيقي إلى الإسلام في نفوس الناشء وإبراز صور البطولات الإسلامية أمام عينه وقلبه ، وصقل مواهبه وتنمية مداركه في إطار من أخلاق الإسلام وآدابه .

(١) المرجع السابق ص ١٨١ ، ١٨٢ .

(٢) ثقافة الداعية د / القرضاوي ص ٩ ط مؤسسة الرسالة بيروت ط ١ / ١٩٧٨ م .

و لابد أن تتحقق أمامه القدوة الحسنة التي تجعله يتعايش مع الإسلام ممثلاً في نماذج حية لا في مجرد التلقين بكلام نظري ، فإن من أخطر الأمور في مجال التربية أن يجد الطفل في مربيه أو في والده المحيطين به ذلك الانفصام الممقوت بين القول و الفعل . قال تعالى : ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ (٢) كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ) (١) ، ( اتَّامِرُونَ النَّاسَ بِالْبُيُوتِ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ نَسْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ) (٢) .

كذلك من المهم أن يستمر التحصين المطلوب في جميع مراحل التعليم . و من هنا تأتي أهمية تدريس الثقافة الإسلامية في الجامعات الإسلامية حتى لا يترك الطالب في هذه المرحلة الحاسمة من مراحل حياته نهياً لشتى التيارات الفكرية دون أن تكون لديه حصانة كافية من دينه و تراثه و قيمه ، و دون أن يكون لديه الانتماء الراسخ لعقيدته و تاريخه . " (٣) .

## ٢ . المواجهة الواعية و المستمرة :

و هذا هو الدور الثاني الملقي علي عاتق مؤسسات الدعوة ألا و هو المواجهة المباشرة و المستمرة لتيارات الغزو الفكري و على رأسها الاستشراق ، و هذا الدور ملازم للدور الأول فلا بد أن يتكامل العمل بين الدورين فالأول يمثل طور البناء و المتمثل في تحصين الجبهة الداخلية ،

(١) سورة الصف ٢ ، ٣ .

(٢) سورة البقرة ٤٤ .

(٣) هموم الأمة الإسلامية ص ١٨٢ ، ١٨٣ بتصرف .



و الثاني يمثل الهدم لهذه التيارات و بيان زيفها و ضلالها حتى لا يندفع بها أحد من أبناء الأمة .

و العمل في كلا الدورين لابد أن يقوم على تنظيم محكم ، و تخطيط متقن ، فالحرب ضروس ، و العلة مستحكمة و لابد في مواجهة ذلك من استعداد و حسن إعداد .

إن المستشرقين لم يصلوا لما وصلوا إليه اليوم من فراغ بل إنه كان نتيجة دراسات و أبحاث و خبرات متراكمة ، و جهود متكاملة ، و رحلة طويلة من الكد و العناء و لولا ذلك ما حققوا شيئاً مما حققوه ، و نحن في مواجهتهم لابد من لعب نفس الدور ، من عمل دعوب ، و كفاح مستمر ، و مواجهة محسوبة ، و تكاتف بين أصحاب الشأن و الأمر .

و حتى نواجه الاستشراق لابد أن نعرف من نواجه حتى نقف على نقاط الضعف و القوة ، فنتعامل مع كل حسب وضعه و تأثيره ، " و لن يتأتى ذلك إلا بدراسة واعية لشتى التيارات الفكرية ، و إدراك أسسها و أهدافها و وسائلها حتى يمكن نقضها و بئنيدها و حماية المسلمين من أخطارها ، و لنا في أسلافنا مثل يحتذى ، فقد كانت التيارات الفكرية الأجنبية القديمة - التي كانت تمثل لوناً من ألوان التحدي للإسلام و الفكر الإسلامي الأصيل في عصور الإسلام الزاهرة - كانت حافزاً للمسلمين في تلك الأيام الخوالي الوقوف أمامها بقوة و صلابة . و قد كانت المواجهة على مستوى التحدي بل تفوق . فقد هضم الفكر التيارات هضماً دقيقاً و استوعبها استيعاباً تاماً ، ثم كانت له معها وقفته الصلبة و بالأسلحة الفكرية نفسها ... " (١) .

(١) هموم الأمة الإسلامية ص ١٨٤ .

و الدراسة الواعية لتيارات الغزو الفكري تقتضي دراسة متأنية استيعابية " فلا يقف الدارس على فساد نوع من العلوم من لا يقف على منتهى ذلك العلم حتى يساوي أعلمهم من ذلك العلم ، ثم يريد عليه و يجاوز درجته فيطلع على ما لم يطلع عليه صاحب العلم .... و إذ ذاك يمكن أن يكون ما يدعيه من فساد حقاً " (١) .

" و قد طبق الإمام الغزالي هذه القاعدة على نفسه حين تعرض بالنقض و التنقيد للأفكار الفلسفية اليونانية في عصره ، و للأفكار الباطنية و غيرها من تيارات فكرية .

و قد فعل الإمام بن تيمية الشيء ذاته حين تعرض بالنقض و التنقيد للتيارات الفكرية الأجنبية في عصره " (٢) .

و حتى نستطيع توجيه سلاح المواجهة للاستشراق و كذا التيارات الفكرية لابد من التأكد من السلاح المستخدم حتى لا تأتي النتيجة عكسية ، و أعني بالتأكد من السلاح المستخدم هو سد الثغرات التي نفذ منها الاستشراق لتراثنا الإسلامي و ثقافتنا الإسلامية ، و هنا لابد من النقد الذاتي لتراثنا حتى نعرف أين نقف و من ثم نعرف كيف نواجه .

إن الثقافة الإسلامية قد شابها بعض الأكدار ، و وجد في التراث الإسلامي ثغرات ضعف لا دخل للإسلام فيها ، بل إنها جاءت بفعل غفلة أو دس خارجي أو سلامة نية ..... المهم أنها موجودة و تمثل ثغرات

(١) المنقذ من الضلال للإمام الغزالي ص ١٠٣ بتصرف ت د / عبد الحليم محمود القاهرة .

(٢) هموم الأمة الإسلامية ص ١٨٤ .

عظم الأعداء فجوتها ، و صورها على أنها هي الإسلام ينظر اليه من خلالها . و هنا لابد من وقفة لتتقية التراث الإسلامي من هذه الأكدار ، و سد هذه الثغرات حتى لا تؤخذ علينا خاصة و أننا نواجه عددا يتربص بنا الدوائر ، و يتلمس لنا العورات .

و حتى تكون المواجهة مثمرة و بناءة لابد أن لا نرهب عدونا ، و ننق بأنفسنا و أن نحرر لدينا إرادة التغيير ، و أن يتنامي عندنا شعور الطموح ، و لن يحدث ذلك إلا إذا تخلصنا من مركبات النقص التي غرسها الاستشراق في نفوسنا ، هذه المركبات التي صورته بأنه ذا مكانة و تقديس ، و أنه صاحب منهج رفيع ، و دراسات لا تعرف الخطأ ، فصار البعض يقدر كل ما هو غربي ، و يحترم كل ما هو أجنبي دونما نظر و لا تأمل .

" إنه إذا كان علينا أن نضع عن أنفسنا أغلال الوصاية الفكرية فإن علينا من ناحية أخرى أن نتحرر من عقدة التخلف التي تسيطر علينا في جميع مناجي حياتنا و التي تسد على الكثيرين منا منافذ الأمل في الخروج من أزمتنا . فقد تحررنا من الاستعمار العسكري و لكننا لم نتحرر من القابلية للاستعمار . " (١) .

إن الدارس للاستشراق المغرض و المتدبر في كتابات المستشرقين يكشف بسهولة عن مدي ضعفها و قهاقتها ، فلا تستطيع أن تنهض أمام منهج علمي ، و لا تقوم أمام الحجة و البرهان ، هذا الضعف من ذاتها حيث قامت على الزيف و الخداع ، و سلكت مسلك الأباطيل و رضعت

---

(١) المرجع السابق ص ٨٥ يتصرف .

البيان الباطل ، ، و كل ذلك لا يستقر أمام الحق ، و يتلاشي أمام الحجة  
و البرهان ، فالحق لديه من القوة الذاتية ما يزيغ الباطل أمامه و يفر من  
مواجهته ، لكن الحق لن يدافع عن نفسه إلا باستخدام رجاله له و فالحق  
قائم و ثابت و لكنه ينتظر الرجال !

## الداعية و الاستشراق :

يتمتع الداعية في المجتمع المسلم بمكانة عالية ، و درجة رفيعة أكسبه إياها طبيعة عمله و إرثه للتبليغ عن الله بعد الأنبياء ، و انتسابه في عمله لمنهج الله - عز و جل - و حذوه خطا الأنبياء و المرسلين رفع شأنه و علا قدره و أكسبه احتراماً و تقديراً ، و ثقة من الناس فيه و تصديقهم له ، فصار بذلك ربان السفينة و قائد المعركة أينما أشار ذهب جمهوره ، و أينما توجه توجه مدعووه .

و من هنا فالداعية في مجتمعه لسان حال المجتمع ، و تعتبر الواقع ، و هو روح التوجيه و الإرشاد ، و الأخذ بين العباد مما يحيق بهم من هلاك و فساد ، أمنهم من فزع ، أملهم من يأس ، شفاؤهم من علة ، ثباتهم قائداً في مجتمعه . و هذه مهمة من الصعوبة بمكان ، تتأى عن حملها الجبال ، و لا يعرف قدرها إلا الرجال ! .

و لذا زكى الله سبحانه و تعالى - الدعاء في أقوالهم و أفعالهم باعتبارهم شواطئ الأمان و مرافئ السلامة فقال تعالى : ( وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ) (١) .

و الدعاء إلى الله - عز و جل - علماء " العلماء ورثة الأنبياء ) (٢) كما أخبر ( صلى الله عليه و سلم ) و حتى يرجى من الدعاء دوراً فاعلاً و توجيهاً راشداً لا بد من رحلة شاقة في البنيان

(١) سورة فصلت ( ٢٣ ) .

(٢) رواه أبو داود و الترمذي و ابن حبان في صحيحة أنظر المغني عن الأسفار

هامش الأحياء ج ١ ص ١٦ .

و الإعداد ، بنيان الفكر و إعداد الثقافة و المعرفة ، و هذا الأمر يبدأ بحسن الاختيار لمن يقومون بهذا العمل ، و تغرس القيادة في نفوسهم و الذكاء في عقولهم و الوعي في مداركهم و الصدق في لهجتهم و الحرارة في عاطفتهم و الجرأة في قلوبهم و التزكية في أخلاقهم و الفصاحة في لسانهم و البلاغة في تعبيرهم ..... و غير ذلك من مواصفات الدعاة إلى الله - عز و جل - . . .

و يعيننا في إعداد الدعاة هنا ضرورة التزود بسعة الثقافة و شمول الاطلاع حتى لا يكون الداعية أسير فكر أو مذهب ، و لا عبداً لكتاب أو مؤلف ، و حتى يكسبه سعة الثقافة و شمول الاطلاع انطلاقاً فكرية و تحرراً عقلياً يستطيع من خلاله رؤية الأشياء بصورة أوضح ، و استجلاء الحقائق بصورة أدق ، و الداعية واحد من أفراد المؤسسات الدعوية و التي يتفرع دوره من دورها ، و يصب عمله في عملها . فإذا كانت المؤسسات الدعوية في مواجهتها للاستشراق تسلك مسلك التحصين للجبهة الداخلية ، و المواجهة المباشرة فإن الداعية منوط بنفس الدور .

و حتى نطالب الداعية بدوره في التوعية الدينية و التوجيه الراشد و تنشيط المناعة داخل المجتمع المسلم لمقاومة أوبئة الاستشراق و جراثيم التيارات الفكرية المناهضة للإسلام لابد أن يتزود هو نفسه بنفس المناعة و أن يكتسب نفس التحصين ، و أن يحصل درجة الوعي بأعلى درجاتها حتى لا يكون دلوه فارغاً فلا يروي ظمأ و لا يشفى غليلاً

فأفقد الشيء لا يعطيه ، و لن ننتظر من الداعية نجاحاً و هو لا يملك أدوات النجاح ، و لن ننتظر تغييراً و قد ماتت عنده إرادة التغيير .  
و الداعية في طريق اكتساب سعة الثقافة و تحقيق شمول الاطلاع كالنحلة تكتسب من كل زهرة رحيقاً لتعضمه بداخلها و تخرجه عسلاً مصفى فيه شفاء للناس ، و كذا الداعية إنه يقرأ في جميع المجالات ، و يطلع على شتى المعارف ليرتشف من بحر كل علم و نهر كل معرفة ، و يدخله عقله و يعيه قلبه و يعصره بفكره ، ثم يوظف هذه المعارف و العلوم لخدمة دعوته فيسوقها في إطار واضح المعالم بين السبل لتخرج بذلك دعوته إلى الله على بصيرة .

و تختلف الثقافات التي يتناولها الخطيب بالوعي و الاطلاع في درجة أهميتها و ترتيب أولويتها ، فهناك من الثقافات ما تمثل أساساً لأبد من حذقه و وعيه و عياً تاماً و هي الثقافة الإسلامية ، و هناك من الثقافات التي تأتي في رتبة بعد الثقافة الإسلامية كالثقافة العلمية و الإنسانية و التاريخية ..... و لا نطالب الداعية فيها أن يكون في درجة المتخصصين بل يكفي بتحصيل ما يمكن له في دعوته و ينير الطريق لرسالته .

إن الثقافة الإسلامية هي المرجعية الأصلية التي يرجع إليها الداعية في تناول قضاياها و في اكتساب معارفه و تحصيل ثقافته المتعددة ، و هي ميزان غيرها من ثقافات فيمرر الداعية ما حصله من ثقافات عليها .

فما وافقها أخذه ، و ما خالفها لفظه . و هي بذلك طريق الوعي  
و الرشد بالنسبة للداعية المسلم .

و من هنا حتى يتسنى للداعية تحصيل وعى راشد لا بد من الاهتمام  
بتتقيفه بالثقافة الإسلامية أولاً ثم بعد ذلك بالثقافات المتنوعة مما يحتتم  
ضرورة توفير أدوات التنقيف لهؤلاء الدعاة بتوفير مصادر هذه  
الثقافات ، و تحسين اقتصاديات معيشتهم حتى لا تشغلهم لقمة العيش  
فيأتي على حساب الفكر و الوعي ، و حتى لا يجدوا صعوبة في  
الحصول على المعرفة و العلم ، و لننتظر فيما ينفق في إعداد المبشر  
لدي النصارى لنجد البون شاسعا بين ما ينفق عليه و ما ينفق على  
دعاة الأمة !

و يحتاج الدعاة توفير أصحاب الخبرة و رموز القيادة و اعلام  
الدعوة حتى يضعوا لهم ضوابط التنقيف بما يتلاءم مع رسالتهم  
و يكتسب الدعاة من خبراتهم ما ييسر لهم سبل دعوتهم .  
" و الثقافة الإسلامية هي الثقافة التي محورها الإسلام ، مصادره ،  
أصوله ، علومه المتعلقة بهذه الأصول المنبثقة عنه ..... " (١) لا بد أن  
يلم الداعية بكل ذلك بدرجة إجادة و إبداع و لا مجرد تحصيل و اطلاع  
حتى يستطيع أن يؤسس في مجتمعه توعية راشدة و التي تمثل تحصينا  
ضد تيارات الغزو الفكري .

(١) ثقافة الداعية ص ٩ .



و تأتي ثقافات أخرى بعد الثقافة الإسلامية و منها الثقافة الادبية و اللغوية ، " و الثقافة الأدبية لازمة المقاصد و الغايات ، و الثقافة اللغوية لازمة لزوم الوسائل و الأدوات " (١) .

إن الداعية يحتاج إلى فصاحة اللسان و بلاغة القول حتى يستطيع افهام جمهوره و مراعاة أحوال مخاطبيه فيعطي لكل فئة على قدرها ، و مما يحتم عليه الإمام بفنون الكلام ، و تصاريف القول ، كما أنه لن يستطيع فهمًا للثقافة الإسلامية و لا لغيرها بغير إتقان لغته و تنمية ملكة البيان عنده ، كما أنه لن يستطيع في مواجهته الاستشراق و غيره من تيارات هدامة بغير الإمام بلغته و معرفة أسرارها ، فكثيراً ما يكون في كتابات المستشرقين أغلاطاً و أخطاء مردداً إلى جهلهم باللغة العربية و عدم معرفتهم بأسرارها فإذا اشترك الداعية معهم في ذلك كان معهم في الهم سواء ، فلن يستطيع أن يكشف زيفاً و لن يستطيع أن يدفع شبهة .

و الثقافة اللغوية و الأدبية أساسها القرآن و السنة ، فهما النبع الطاهر للارتقاء بالحس اللغوي و الذوق البلاغي فضلاً عما يحدثانه من طلاقة اللسان و قوة البيان ، و تأتي علوم اللغة العربية تدلو بدلوها في الثقافة الأدبية من شعر و نثر و نحو و صرف .....

إن اللغة العربية هي قوام هذا الدين ، بها يمكن له و ينتشر ، و بها يقوي و يظهر ، فهي لغة القرآن و لن يفهم بدونها كلام الله – عز

(١) المرجع نفسه ص ١١٤ .

و جل - و لن يفهم كلام النبي ( صلى الله عليه و سلم ) فتقطع الصلة بين الأمة و مصدر التشريع بل و مصدر الحياة .  
إن أعداء الإسلام فهموا ما للغة العربية من دور في قوة هذه الأمة ،  
و لذا عملوا جاهدين للفصل بينها و بين أبنائها ، فإذا ما ضاعت لغة قوم ضاع معها كل شيء .

و لا يخفي ما للاستشراق من دور خطير في إضعاف اللغة العربية في نفوس أبناء الأمة ، فعمل المستشرقون جاهدين في ترجمة المؤلفات و المخطوطات العربية إلى لغاتهم ، و قاموا بتأليف آلاف الكتب التي تطعن في اللغة العربية - لغة القرآن - و آدابها حتى تنقطع الصلة بين القرآن و السنة و لغة العرب ، و قد أثمرت جهودهم مستغلين جهل بعض أبناء المسلمين بحقيقة دينه و لغته حتى " نبتت في مطلع القرن العشرين فئة خاسنة نهلت من كتب الغرب و لقنت أراجيف الاستشراق فأخذت تنتكر للبلاغة و البيان ، و تري الديباجة الناصعة و الأسر القوي آثاراً متخفية تعرض و لا تشتري ، و تقرأ و لا تحتدي ، ثم فاض بها الضغن الكريه فأعلنت أن الأدب العربي شيء و القرآن شيء آخر " (١) .

فاللغة العربية أساس في حفظ الدين ، كما أنها أساس في إيقاظ الوعي لدي أبناء الأمة ، و من هنا لا يخفي أثرها في مواجهة الاستشراق . و هي سلاح من أسلحة الدعوة إلى الله مع الدعاة ، و أداة فاعلة في إقناع العقول و استمالة القلوب .

(١) الخطابة في موكب الدعوة ج ١ ص ١٣٧ بتصرف .

و الداعية في تحصيله الثقافة اللغوية و الأدبية لابد أن يتناول الثقافة المنضبطة بأخلاقيات الدين ، و تهذيب النفوس و استقامة السلوك ، ليرقي بها الذوق فلا ينحدر ، و يعلو بها الإنسان و لا يندثر .  
و تأتي الثقافة التاريخية أحد أهم الثقافات في حياة الداعية في مواجهته للاستشراق ، " فالتاريخ ذاكرة البشرية و سجل أحداثها - و ديوان عبرها ، و الشاهد العدل لها أو عليها . و التاريخ يوسع أفق الدارس و يطلق على أحوال الأمم و تاريخ الرجال ، و تقلبات الأيمل بها و بهم ، فقد يرى الإنسان بعين بصيرته كيف تعمل سنة الله في المجتمعات بلا جور و لا محاباة ..... " (١) .

" فالداعية يحتاج إلى حقائق التاريخ الإسلامي ، و ملامح في تاريخ الإنسان عامة ليجنب المسلمين مخاطر الافتراء على الدين ، و مخاطر تزوير تلك الحقائق ، و ليتمكن من تصحيح المفاهيم الخاطئة مع ضرورة الابتعاد عن الجدل في الأمور التي لا تقدم و لا تؤخر في نهضة الأمة و لا في كبوتها " (٢) .

إن كتابات المستشرقين عن التاريخ الإسلامي مليئة بالمغالطات التاريخية المتعمدة ، و التي راموا من ورائها تشويه حقائق التاريخ الإسلامي ، و تغييب رموز الإسلام كقدوة من ساحة الاقتداء و العمل ، و قد تنامي هذا التيار في الآونة الأخيرة ، و الداعية في ذلك قبله السائلين ، و وجهة الحائرين ، يتلمس الناس عنده إجابة ، و يلتمسون

(١) ثقافة الداعية ص ١٠٢ .

(٢) المرجع نفسه ص ١٠٢ بتصرف .

لديه تثبيتنا ، و لذا لابد أن يكون على أهبة الاستعداد بتحصيل ثقافة تاريخية واعية خاصة بإسلامه و تاريخ المسلمين ، ليكون بذلك على ثغر من ثغور الإسلام .

و من الثقافات الهامة في حياة الداعية الثقافة الإنسانية ، و هي ما تتصل بتحصيل و معرفة العلوم الإنسانية كالاقتصاد و علم النفس و المنطق و الاقتصاد ، و غيرها من علوم تتصل بحياة الإنسان و مخاطبه فرداً و مجتمعاً و مخاطبه في أزماته المتنوعة و أماكنه المختلفة . مما يتيح للداعية فرصة التعرف على طبيعة مجتمعه الذي يعمل فيه .

هذه العلوم الإنسانية ليست حكراً على الداعية ليطلع عليها و ينتقف بها ، بل إنها في تناول كل قارئ ، و الأمر يحتمل أن يكون في هذه العلوم من أباطيل و افتراءات على الإسلام و المسلمين ، وضعها أعداء الإسلام عمداً بقصد إفساد المسلمين و تزييف تراثهم و حضارتهم ، و يتزايد وقوع هذه الأمور في تلك العلوم خاصة في العصور المتأخرة و نشاط تيارات الغزو الفكري ضد أمة الإسلام ، هذه الشبهات و تلك الأباطيل قد يفتن لها بعض القراء و قد لا يفتن لها الكثير ، خاصة و أنها توضع كالسم في الدسم ، هذا الكثير يحتاج لمن يأخذ بيديه . و هنا يتجلي دور الداعية أهمية و يعظم أثرها خاصة و أنه لابد أن يكون على رأس المتبصرين بهذه التيارات ، الواعية لهذه الافتراءات بما يملكه من ثقافة إسلامية واسعة و أصيلة يستطيع بسهولة أن يمرر عليها هذه

المعارف الإنسانية فيكشف غثها من سميتها فيضئ الطريق أمام الناس ،  
و يكشف لهم طريق الهداية و الرشاد .

يقول د / القرضاوي : " إن لهذه العلوم الإنسانية في كثير من  
الأحيان رشحات ضارة على الثقافة المعاصرة ، و سموماً تنفثها في شتى  
المجالات ، و لا يكاد يسلم منها كتاب أو مجلة أو صحيفة أو إذاعة أو  
غيره من أدوات الإعلام ، و من لم يعرف مصادر هذه الرشحات  
و السموم لا يستطيع أن يقاومها بأسلوب علمي رصين ، و هذا اللون من  
العلوم يخضع لكثير من التفسيرات تبعاً للمدارس المختلفة ، و تبعاً لفكر  
الدارس و ثقافته و اتجاهه ، و قد تتسرب إليها الإسرائيليات الحديثة مثل  
إسرائيليات ( فرويد ) في علم النفس ، و ( ماركس ) في علم الاقتصاد ،  
كما تسربت إلى كتبنا من قبل الإسرائيليات القديمة .

و هذه العلوم فيها مجال رحب للذاتية و الاستنتاج الظني لأن  
موضوعها الإنسان المتحرك و ليس المادة الجامدة و هذه العلوم للطلاب  
الدعاة و لخطباء المساجد بأقلام إسلامية مأمونة لا يخشى معها من تأثير  
الغزو الفكري و الإسرائيليات الحديثة على عقولهم " (١) .

و تأتي الثقافة العلمية من الأدوات الهامة التي ينبغي أن يتسلح بها  
الداعية اليوم . هذه الثقافة التي تتصل بما يقوم على الملاحظة و التجربة  
، و يخضع للقياس و الاختبار من علوم و معارف كعلوم الفيزياء  
و الكيمياء و الأحياء ، ( و الجيولوجيا ) ، و الفلك و غيرها مما يتصل

---

(١) ثقافة الداعية ص ١٢١ بتصرف يسير .

بعلوم الأرض و الهواء و الماء ، و كذا علم ( التكنولوجيا ) و ما يتصل به ، و كذا علوم الطب و الصيدلة و التشريح و غيرها .  
و لا نطالب الداعية بالتعمق في دراسة هذه العلوم كالمختصين فيها ، فلن نطالبه أن يكون طبيباً أو فلكياً أو فيزيائياً ..... و إنما نطالبه بتجصيل معارف عن هذه العلوم كي تخدم رسالته و تفعل دعوته ، و تكشف له عن واقعه المتجدد ، و قضايا المعاصرة .

إننا نقرأ اليوم و نسمع عن قضايا مثل ( الاستساخ ) ، ( تأجير الأرحام ) ، و الكشف عن الأنساب بما يسمى ( DNA ) ( الشرائط و الجينات الوراثية ) و غير ذلك ، و كذا نسمع عن أمصال و لقاح تغير في حالات الإنسان و في وظائف أعضائه ، و كذا نسمع و نقرأ عن ظواهر كونية في الأرض و غير الأرض تحتاج من الداعية إلى دراية و علم يمكنه من استخدامه في دعوته ، خاصة و أن هذه الأمور مما يشغل الإنسان و يحتل نصيباً وافراً من عقله و حياته .

إن الحقائق العلمية الحديثة التي يكشف عنها العلم كل يوم تمثل آيات بينات و دلائل واضحات على قدرة الله – عز و جل – بها يؤمن الكافر ، و يهتدي الضال ، و يتوب المذنب ، و يزداد الذين آمنوا إيماناً ، فكيف يتحدث الداعية عن ذلك دون الوقوف على أهمية هذه الحقائق و تلك الاكتشافات ؟ !

و تتأكد الثقافة العلمية في هذا العصر و ينبغي أن يتزود بها الداعية حتى يستطيع أن يتعامل مع السيل الجارف و الشبهات المتوالية التي تطعن في الإسلام قرآناً و سنة و لغة و تاريخاً و ..... و التي تعرض من

خلال وسائل الاتصال الحديث و التقدم الإعلامي - كشبكات الإنترنت -  
فتغزو كل بيت و تؤثر في كل عقل ، و يأتي إلمام الداعية بالثقافة العلمية  
المتعلقة بهذا المجال فيتمكن بها من استخدام هذه الوسائل الحديثة  
فيتعرف على حقيقة ما تعرض و من ثم يتمكن من تفنيد الشبهات و رد  
الافتراءات .

يقول د / القرضاوى : " و الثقافة العلمية مهمة لأسباب عدة

أهمها :

- إن بعض ما ينسب إلى العلم و تحتويه كتبه و مقرراته يتخذ  
اليوم كوسيلة للتشكيك في الدين مثل نظرية ( النشوء  
و الارتقاء ) لداروين ( المعرفة بنظرية ( التطور ) . فلا بد  
إذن من معرفة شيء عن مثل هذه النظرية و قيمتها من  
الناحية العلمية ، حتى يتمكن الداعية من اتخاذ موقف محدد  
منها ، بناء على دراسة صحيحة لا على خيالات أو إشاعات ،  
و الحكم على الشيء أوله فرع من تصوره .
  - إن من الحقائق العلمية ما يمكن استخدامه في تأييد الدين ،  
و توضيح مفاهيمه ، و نصرة قضاياه ، و الذب عنه بدفع  
شبهات خصومه و مفتريات أعدائه .
  - إنها مهمة لفهم الحياة المعاصرة " (١) .
- و الداعية بعد ذلك يحتاج إلى الثقافة الواقعية بجوار ما ذكر من  
ثقافات ، و الثقافة الواقعية هي التي نعني بها الثقافة المكتسبة من معايشة  
(١) ثقافة الداعية ص ١٣٢ بتصرف .

الواقع . واقع الداعية كفرد ، و واقع المجتمع ، و واقع الامة و النبوة و الداعية ينظر إلى هذا العالم كمنظومة واحدة كل يؤدي فيه رسالة و دورا سواء كان فردا أو مجتمعا أو أمة ، " و على الداعية أن يعرف عالمه الذي يعيش فيه ، و ما يقوم عليه من نظم ، و ما يسوده من اديان و مذاهب و ما يحركه من عوامل ، و ما يضطرع فيه من قوي ، و ما يجري فيه من تيارات و أحداث . و ما يعاني من متاعب ، و بخاصة العالم الإسلامي بالامة و أماله ، و أفراحه و مأساه ، و مصادر قوته و عوامل ضعفه ، و قبل ذلك بلده الصغير و بينته المحلية و ما يسودها من اوضاع و تقاليد ، و ما تقاسيه من صراعات و مشكلات ، و ما يشغل أهلها من قضايا و أفكار " (١) .

هذه الثقافات على اختلافها و تنوعها ينبغي أن تنطلق من الإسلام و تعود إليه ، فيكون الإسلام هو المرجع الذي يرجع الداعية إليه هذه الثقافات فيصحح خطأها و يقيم عوجها ، فيكون لها ميزانا ، و له عليها حسابا و سلطانا ، و حتى تؤتي هذه الثقافات أكلها ينبغي أن تتكامل فيما بينها لتخدم الإسلام و المسلمين و يستطيع الداعية بها أن يجمع بين التحصين للجبهة الداخلية ، و المواجهة المباشرة لتيارات الغزو الفكري و منها الاستشراق .

---

(١) المرجع السابق ص ١٤٠ بتصريف .



## ثانياً : مقاومة وسائل الاستشراق

مثلت وسائل الاستشراق المنافذ التي أطل بها المستشرقون على المجتمعات الإسلامية ، و الطريق الذي اخترق به الاستشراق الدراسات الإسلامية ، و رأينا كيف كان التأثير واسعاً و خطيراً لمجالات التأليف و الترجمة و طبع المخطوطات ، و كذا للتدريس الجامعي و عقد المجامع و المؤتمرات . و الوقوف أمام هذه الوسائل أحد عوامل المقاومة للاستشراق ، فمواجهتها و تقييض دعائمها فيه حد من خطرها و غل ليدها عن أن تنال من مجتمعاتنا و دراساتها و ثقافتنا الإسلامية ، و لا بد في مواجهة هذه الوسائل من حكمة و ترو خاصة و أنها وسائل طال استخدامها أجيالاً و أجيالاً ، و اتت أكلها في البيئات الإسلامية بصورة لا يستطيع واحد أن ينكر أثرها و خطرها ، و لنتتبع هذه الوسائل واحدة تلو أخرى و كيفية مواجهتها .

### ١ - التأليف :

كان من أهم الوسائل التي اعتمد عليها الاستشراق في غزوه الفكري للمجتمعات الإسلامية ، و يكشف عن ذلك العدد الضخم الذي ألفه المستشرقون عن الإسلام و في الدراسات الإسلامية و الذي بلغ في الماضي كتاب لكل يوم ، الأمر الذي يعني أن المستشرقين قد أولوا التأليف جهدهم ، و صبوا فيه فكرهم و سمومهم ، و نحن في معرض مقاومة هذه الوسيلة لا بد أن نسلك التأليف المضاد لكشف الزيف و دحض الأباطيل و رد الشبهات و دفع الافتراءات ، و افتضاح أمر

السموم التي نفت بها المستشرقون في دراساتهم الإسلامية و حتى يكون العمل مثمراً لابد من الاهتمام بأمور منها :

#### ١ - المؤلف :

لابد في العقلية المؤلفة أن تكون عقلية نابهة واعية متعمقة في الدراسات الإسلامية و الاستشراقية حتى يستطيع صاحبها كشف الاعوجاج في هذه الدراسات الاستشراقية و الرد عليها من خلال ثقافته الإسلامية الواعية ، فليس كل واحد مؤهل للكتابة في الاستشراق و معرفة أهداف المستشرقين الأمر الذي يعني اصطفاء كوكبة ممن برزوا في هذا المجال و توليهم هذه المهمة و توفير الوسائل و السبل التي تعينهم على الإبداع و الإجابة حتى تخرج الدراسات هادفة و مثمرة .

#### ٢ - التخصص :

مما يساعد على الإجابة و الإبداع التخصص في مجالات العلوم و المعارف ، فالكتابة الواسعة عن أكثر من مجال تأتي على حساب الدقة و الثبوت ، و رأينا كيف كان المستشرقون يسلكون مسلك التخصص في كتاباتهم فمنهم من تخصص في الكتابة عن القرآن و منهم من كتب في السنة ، و منهم من تناول التاريخ.....

فلا بأس من أن ننظم العمل بين علمائنا و ليتخير كل منهم مجالاً في الدراسات الاستشراقية مدرسة مدرسة و إرسال كتابنا لهذه المدارس في بلادها لتكوين رؤية واقعية يستطيع أن يكشف بها عن خبايا و توجهات هذه المدارس ، فالدراسة الميدانية في ذلك أكثر إفادة .

### ٣ - تكامل الجهود :

في الأعمال الضخمة لا يعرف الإنسان الفردية و الانعزالية بل لابد من التعاون و تكامل الجهود ، و المعركة مع الاستشراق معركة حامية الوطيس ، تحتاج إلى التكتاف ، فلا بد في مواجهته - تأليفا - من تكامل الجهود حتى لا تنكرر الأعمال و تستنفذ الطاقات فيما لا طائل من ورائه ، و حتى يتعرف كل واحد من الكتاب الموضوع الذي وقف عنده . و تكامل الجهود يعين في اكتساب الخبرات و تناقل المعارف و حل المشكلات و يساعد على تنظيم العمل و إجادته .

### ٤ - المساندة الدولية و الاجتماعية :

و أعني بها وقوف الدول الإسلامية خلف هؤلاء العلماء الذين وقفوا على ثغر من ثغور الإسلام ، و تذليل العقبات أمامهم بشتى السبل ، و نشر مؤلفاتهم و إعطائهم الفرصة الواسعة للتوجيه و الإرشاد .

إن جهود الأفراد مهما نشطت لن تؤتي أكلها بلا مساندة من مجتمعاتهم و دولهم ، فالقضية قضية مجتمعات و دول و ليست قضية أفراد فحسب ، فلا بد أن يشعر كل واحد بمسئولية تجاه قضيته ، و نحن نري كيف تقف الكنيسة خلف التبشير و تبذل كل ما بوسعها لمساندته ، و نري كيف تقف أوربا خلف الاستشراق و يكفي عدد المراكز الاستشراقية التي تدرس الإسلام و أحوال المسلمين و التي فاق عددها أكثر من مائة معهد و مركز للدراسات الاستشراقية .

استخدم المستشرقون الترجمة في الكشف عن مصادر و تراث الثقافة الإسلامية ، و معرفة ما يتعلق بأحوال المسلمين ، فأتى البعض ليعيش في المجتمعات الإسلامية و العربية حتى يتقن لغة العرب و المسلمين ليس حياً فيها و إنما للطعن فيها و في الإسلام .

و لاشك في أن كثيراً من الأخطاء و المغالطات التي وقع فيها المستشرقون جاءت نتيجة لعدم فهم اللغة ، و سوء الترجمة فجاءت أحكامهم و أفكارهم معوجة نتيجة سوء فهم و نية .

و لن نستطيع أن ندرس ما لدي المستشرقين بدون إلمام بلغاتهم و الوقوف على بياناتهم و من هنا فينبغي الاهتمام بطانفة يوكل إليها تعلم هذه اللغات ، و معرفة هذه البيانات و الاستعانة في سبيل ذلك بشتى الوسائل ، من إرساليات ، أو إنشاء أقسام في جامعاتنا لتعلم هذه اللغات و تبني من فيها و تأسيس روح العمل المنشود فيهم حتى يضطلعوا بهذه المهمة .

و كلما كان الكاتب عن الاستشراق صاحب لغة كان ذلك أجمل و أحسن في الفهم و الاستيعاب و التأليف و هذا كله يكسب العمل جودة و رونقا .

إن الغرب اليوم يعتمد على تشويه صورة الإسلام في أعين المسلمين عنده على افتقاد الرؤية الصحيحة عن الإسلام لدي هؤلاء المسلمين ، و اللغة أحد العوامل التي تحول بين وصول هذه الرؤية الصحيحة

لإخواننا هناك ، و الترجمة تزيل هذه العقبة ، و ترفع هذا العائق ليتم التواصل بيننا و بينهم فلا يقعوا فريسة في أيدي الأعداء مستغلين عامل اللغة في تشويه الإسلام في أعينهم .

و تحتاج الترجمة ما ذكر من أمور يجب مراعاتها في التأليف من :  
اختيار العقل النابه ، و التخصص في العمل ، و تكامل الجهود ، و كذا  
المساندة الدولية و الاجتماعية .

إن أول ترجمة تمت للقرآن الكريم تمت على الأرض الإسبانية بتوجيه من ( بيزوس فينر ابيليس ) رئيس دير ( كلوني ) بأسبانيا و كان ذلك خلال القرن الثاني عشر ، و توالى ترجمات القرآن بعد ذلك بأقلام و ألسنة أجنبية و ليست عربية و إسلامية مما ينذر بالخطر خاصة و أن المترجمين الأجانب يترجمون يدفعهم التعصب الأعمى و الحقد الدفين على الإسلام و المسلمين .

و من هنا إذا ترجمت معاني القرآن بأقلام إسلامية مأمونة كان ذلك أدعى لوصول الإسلام بصورته الصحيحة إلى أي مكان الأمر الذي يجعل من ذلك نصراً و فتحاً .

#### ج - جمع المخطوطات و عمل الموسوعات :

تدين الحضارة الأوروبية اليوم في تقدمها المادي و العلمي لما نقلته عن الحضارة الإسلامية في القرون الماضية من علوم و معارف ، و المخطوطات الإسلامية كانت أحد مفاتيح الحضارة الإسلامية و الأمر الذي عني بها الأوروبيون و أولوها اهتماماً شديداً ، و قد اتخذ

المستشرقون المخطوطات العربية و الإسلامية وسيلة من وسائل الانطلاق نحو الحضارة الحديثة ، كما استخدموها أيضاً في بث سمومهم و تحقيق أهدافهم في الكيد للإسلام و المسلمين ، فقاموا بترجمة منات و آلاف المخطوطات و تحقيقها حتى يتحقق لهم ما يأملون .

و قد وجه المستشرقون جهودهم نحو عمل الموسوعات العلمية في الدراسات العربية و الإسلامية ، و بذلوا فيها طاقاتهم و مجهوداتهم لتكون قبلة الباحثين و الدارسين من المسلمين : و مما يثير الدهشة أن الكثير من الباحثين و الدارسين في بلاد المسلمين من المسلمين على هذه الموسوعات و الدوائر المعرفية فتصير لهم مرجعاً و لدراساتهم و أبحاثهم سنداً و مصدراً ، و لم يكن هذا الجهد المبذول من المستشرقين في الموسوعات من قبيل النزاهة العلمية و البراءة من الهوى ، بل إنهم في عملهم لم يغيب عنهم تعصبهم لحظة ، و لم تتوار دوافعهم المغرضة ساعة ، و لذا جاءت موسوعاتهم تتضح حقداً و كرهاً بدليل ما فيها من أخطاء متعمدة و أغلاط مقصودة .

و لمواجهة هذه الوسيلة ينبغي أن تكون هناك توعية لدارسينا و متقينا بحقيقة هذه المخطوطات و الموسوعات و حقيقة ما بذله المستشرقون فيها ، و الأهداف التي رموا إليها من خلالها ، حتى لا يندفع البعض بهذه المخطوطات بعد تحريفها ، و بهذه الموسوعات بعد نشرها فيكون التعامل معها تعاملًا حثيثاً نابعاً من بصيرة نافذة و عين ناقدة .

و لابد أن يتلازم البناء مع الهدم ، فإذا ما أبرزنا الوجهة النكدة التي سلكوا المستشرقون في التعامل مع المخطوطات و الموسوعات فلا بد من

أن نخرج نحن المخطوطات و الموسوعات الخاصة بنا بصورة منهجية صحيحة حتى تكون لدارسينا مرجعاً أصيلاً ، ، و لأبنائنا سنداً واعياً مأموناً .

" فهناك ضرورة ملحة ليس فقط على مستوي العالم الإسلامي ، بل أيضاً على المستوي الفكري العالمي لإخراج موسوعة إسلامية عالمية باللغة العربية و ثلاث لغات أوربية على الأقل تعرض الإسلام عرضاً علمياً و بطريقة موضوعية تنأى عن الخلافات المذهبية الضيقة و ترد في الوقت نفسه على المزاعم التي تثار ضد الإسلام ، و تحل هذه الموسوعة محل دائرة المعارف الإسلامية التي أخرجها المستشرقون و ما يزالون يقومون بإخراج الطبعة الثانية منها ، أو على الأقل تكون بجوار هذه الدائرة ، و الباحثون لدينا يعتمدون على تلك الدائرة الاستشراقية و هم معزورون ، فكل فراغ فكري لدينا لا تشغله بأفكار من عندنا يكون عرضة للاستجابة لأفكار منافية ، و ربما معادية لأفكارنا فلا نلوم من حينئذ إلا أنفسنا .

و هذا العمل المطلوب لإخراج موسوعة إسلامية بأقلام المسلمين يقتضي تكوين هيئة علمية للموسوعة تضم خيرة العلماء من جميع أنحاء العالم الإسلامي تتوفر على إخراج هذا العمل العلمي الضخم من منطلق الانتماء للإسلام وحده و العمل من أجله لا من منطلق انتماءات إقليمية

ضيقة . و لابد أن تتوفر لهذه الهيئة شتى الإمكانيات المادية لتقوم بعملها على خير وجه " (١) .

#### د - التدريس الجامعي :

لا يخفى للأستاذ الجامعي من مكانة في جامعته و مجتمعه ، يتخذه أبناء المجتمع قدوة ، و أبناء الجامعة رمزا ، يتطلع إليه الجميع باهتمام و احترام ، و تحلم الأجيال المتعاقبة أن تكون في مكانته و مكانه أو حتى القرب منه و الاستماع إليه ، و قد استغل المستشرقون هذه النظرة المهيبة في مجتمعاتنا الإسلامية أساتذتهم و دراساتهم هائلة زائفة من الجدية و الإتقان و الاحترام ، ..... و دقوا طبولهم على هذه النعمة حتى افتتن الكثير من أبناء المسلمين بذلك فتطلعوا إلى دراسة الإسلام من المستشرقين و قدموا كتاباتهم على كتابات المسلمين أنفسهم .

و اجتهد المستشرقون على أن يكون لهم في كل جامعة جندا منهم ، و في كل معهد و مؤسسة تعليمية ذراعا لهم ، حتى يتمكنوا من إدارة مؤسساتنا التعليمية لخدمة أغراضهم .

كما استغل المستشرقون افتتان البعض من أبناء الإسلام بحضارتهم و حرص هذا البعض على الدراسة في جامعاتهم و معاهدهم للحصول على شهادات ( الماجستير و الدكتوراه ) فجند المستشرقون هؤلاء لخدمتهم فعادوا مستغربين عن دينهم ناقلين على مجتمعاتهم ، مرجعين كل تخلف و تأخر إلى الإسلام ..... - إلا من رحم ربي - .

(١) هموم الأمة الإسلامية ص ١٨٨ بتصرف يسير .



و نحن إذ نجعل من التدريس الجامعي سلاحاً نقاوم به الاستشراق  
لابد من تأسيس الوعي في نفوس أبنائنا بقيمة تراثنا و حضارتنا ،  
و أصالة معارفنا و ثقافتنا ، لابد أن نربطهم بالانتماء الديني و أن نصصح  
لهم مفاهيم العلم ، فالبعض ينظر إلى درجات ( الماجستير و الدكتوراه )  
هي نهاية العلم و المعرفة ) و حصوله عليها من جامعات الغرب هي  
نهاية المطاف مع أن الأصل أن هذه الدرجات بداية الطريق و خطوة  
على الطريق ينبغي أن يكون الإنسان على قدر المسؤولية بعدها .

ينبغي أن نعمق في نفوس أبنائنا عراقة جامعاتنا ، و أصالة دراساتها  
و أن نكشف لهم عن حقيقة الزيف و الخداع البراق الذي تحيط به  
جامعات الغرب نفسها .

و مما يساهم في ذلك كله و الاعتماد على الأساتذة الأكفاء من بني  
جلدتنا و الاستغناء عن أساتذة الاستشراق و نحوه من جامعاتنا ، و لا  
شك أن لدينا جيشاً من العلماء و الأساتذة الأجلاء الذين يكفوننا هم  
الاستيراد و الاستشراق .

إنه من العجب أن يقوم الأجانب بتدريس الأدب العربي في جامعاتنا  
العربية ، و أن يقوم البعض منهم بتدريس التاريخ الإسلامي في جامعاتنا  
الإسلامية !! .

و من العجب أن يشرف الكثير من أساتذة الاستشراق في جامعاتهم  
الغربية على دراسات و بحوث إسلامية يقوم بها مسلمون ! فأبي تبيعة  
و أي ذلة هذه !

إنني أذكر أن الشيخ الغزالي - رحمه الله - دعي لنيل الدكتوراه الفخرية من أحد جامعات فرنسا في الدراسات الإسلامية فأبى الرجل وكانت وجهة نظره أن الذي يعطي الدرجة طبيعي أن يكون أعلى درجة وعلماً من الممنوح لها فمن من جامعات فرنسا يفوق الغزالي علماً وفهماً للإسلام والدراسات الإسلامية حتى يعطيه درجة علمية فيها؟! إن الرجل قد فهم الغرض من الدعوة المشبوهة ، و المنحة المغرضة و أثبت عليه عزته بدينه و إسلامه و نفسه أن يستجيب لطلبهم مهما تكن المغريات .

هكذا العلماء و يجب أن يكونوا . و ما أحوج أبناءنا اليوم لاتخاذ هؤلاء قدوة و مثلاً !

إننا في سبيل تصحيح الصورة الخاطئة التي رسمها أبناؤنا للأستاذ الأجنبي - بل و كل ما هو أجنبي - ينبغي أن ندفع بأساتذتنا إلى المكان اللائق بهم ، و نبذل لهم الثقة و العون حتى يتخذوا مكان الصدارة و الرمز لأبنائنا و بناتنا ، خاصة و أن لدينا ثروة ضخمة من الأساتذة و العلماء و كثير منهم قد فاق الأجانب بمراحل و مراحل في شتى المجالات ، و قد تنبه الغرب لذلك فعمل جاهداً لاستقطاب كل مبدع من علمائنا إليه ليكون في خدمته هو أولاً و يحرم المجتمع الإسلامي منه ثانياً ، و من يسافر إلى جامعات الغرب و ينظر في تعامل الغرب مع الأساتذة العرب و المسلمين يتأكد من ذلك .

إن تقديس ما هو أجنبي يعود علينا بالضرر في جميع المجالات ، فيجعلنا ذليلاً للأجنبي ، و يفقدنا الثقة فيما هو محلي مما ينذر بالتدهور

في أحوالنا و التأخر لمجتمعاتنا ، فما بالنا إذا كان التقديس لأساتذة و علماء ، و من طرائف ما يحكي في ذلك ما ذكر د / زقزوق فيقول " و يبدو أن ( عقدة الخواجة ) و التقدير الفائق لقدرات الأجنبي أمر ضارب بأطنابه في بعض الجوانب من تاريخنا . فقد حكي الجاحظ .. عن طبيب عربي مسلم يسمي ( أسد بن جاني ) أكسد - توقف عن العمل لعدم ذهاب الناس إليه - مرة . فقال له قائل : السئة و بيئة ، و الأمراض فاشية ، و أنت عالم ، و لك صبر و خدمة ، و لك بيان و معرفة . فمن أين توتي هذا الكساد ؟ ! قال : أما واحدة فإني عندهم مسلم ، و قد اعتقد القوم قبل أن أتطبيب ، لا بل قبل أن أخلق أن المسلمين لا يفلحون في الطب . و اسمي أسد و كان ينبغي أن يكون اسمي صليبا و مراسل و يوحنا و بيرأ . و كنتي أبو الحارث و كان ينبغي أن تكون أبو عيسى ، و أبو زكريا و أبو إبراهيم ، و علي رداء قطن أبيض ، و كان ينبغي أن يكون علي رداء و حرير أسود ، و لفظي عربي و كان ينبغي أن تكون لغتي لغة أهل جند يسابور " (١) .

و لا أحد يعرف ما كان يقوله ( أسد ) لو عمر إلى اليوم !!! .  
و في تنقية المجتمع المسلم من الأستاذ الأجنبي في جامعاته يجب أن نتنبه أن المستشرقين قد خلفوا ذبولا كثيرة ممن يحملون أسماء المسلمين و يعتنقون فكر الاستشراق فيجب أن يوضع هؤلاء في الحسبان فتراجع

(١) هموم الأمة الإسلامية د / زقزوق ص ١٨٦ بتصرف ، الاستشراق و الخلفية الفكرية للصراع الحضاري ص ١٥٣ ، ١٥٤ و قد ذكرها الجاحظ في كتابه البلاء ص ١٠٩ ، ١١٠ طليدن .

أفكارهم و مؤلفاتهم و يضيق عليهم في التدريس لأبنائنا و بناتنا ، و ضرورة مراعاة غلق الدوائر الإعلامية أمام هؤلاء حتى لا ينتشر فكرهم المسمم ، و من ثم تفتح هذه الدوائر أمام الأساتذة الصادقة في وجهتهم المخلصين في عملهم و لدينهم ، فهؤلاء أحرى أن يمسكوا بزمام التوجيه للأجيال المسلمة . و فيما يتعلق بالتدريس الجامعي ينبغي أن يعمم تدريس مادة الاستشراق و التبشير و كذا التيارات الفكرية المعاصرة على جامعاتنا كلها و ليس بعض الأقسام العلمية في جامعة الأزهر الشريف ، يقوم الأساتذة المتخصصون ببيان هذه التيارات و حقيقتها و أثرها و سبل مقاومتها فتكون هذه الدراسات حصناً لشبابنا من الافتتان بهذه التيارات في الجامعة و بعدها ، و من ثم فعلى قدر الاهتمام بهذا الشباب و حمايته من هذه التيارات الهدامة تكون حماية الأجيال المقبلة .

#### هـ - المجامع و المؤتمرات العلمية :

المؤتمرات العلمية التي عقدها المستشرقون سواء منها المحلي أو الإقليمي كانت إحدى القوي الفاعلة التي نشطت من خلالها الاستشراق ، و انتشرت الأعمال الاستشراقية ، فتجمع الجهود و العقول و تناولها موضوعاً معيناً يعطي فرصة لاتساع المعرفة و تعمقها في هذا الموضوع ، و قد استغل المستشرقون هذه المجامع أيما استغلال ففي بلادهم عقدوا الكثير من المؤتمرات العالمية التي نظموا فيها العمل و الجهد ، و وقفوا على كل جديد في دراساتهم و بحثوا ما استجد من

أزمات و عقبات و عملوا على تذليلها ، فتكاملت أدوارهم بعد أن وجدوا وجهتهم .

و من هنا و حتى نستطيع مواجهة الاستشراق من خلال المؤتمرات لابد أن يكون لنا ممثلين في هذه المؤتمرات كما كان لهم تواجد في مؤتمراتنا ، و لنأمل ما يحدث فيها فلا ننتظر حتى يخرجوا علينا بتوصياتهم و وصايتهم و نحن مكتوفي الأيدي .

إننا لن نستطيع كشف حقيقة هذه المؤتمرات بلا تواجد ، و تواجد فاعل يرقب بعين ناقدة بصيرة و بحس إسلامي عميق .

و ينبغي أن نعلم مؤتمراتنا لتكون أكثر وعياً ، و ينبغي أن تعقد بصفة دورية على الصعيد المحلي و الإقليمي و لا ننتظر أن تعقد حسب الحاجة - للرد على هجمة شرسة أو بيان موقف من قضية مثلاً - بل لابد أن تخصص مؤتمرات للدراسات الاستشرافية و ما وصلت إليه حتى نستطيع المواجهة بعد كشف ما وصل إليه الخطر فتكون الخطا ثابتة و المواجهة فاعلة .

و يجب أن نهتم بالإعداد لهذه المؤتمرات و نشجع على مشاركة الباحثين الجادين فيها حتى توتي أكلها . و من المهم بحث موضوعاتها بترور و حكمة ، و الأهم تبني توصيات و اقتراحات المؤتمرات من الدول و الهيئات لتنفيذها و الإنفاق عليها ، فلن يجد مؤتمر نهاية ما فيه بعض التوصيات يعلن عنها إعلاناً عابراً في وسائل الإعلام ثم بعد ذلك تظل الأبحاث و التوصيات حبيسة الأدراج و في طي النسيان ! .

## و - وسائل الإعلام و الاتصال الحديثة :

لا يخفي ما للإعلام من تأثير في الأفراد و الجماعات ، فربما كان أداة توجيه و إرشاد ، و ربما كان أداة تدمير و إفساد ، و عند الشعوب المتحررة يخضع الإعلام في سياسته لما يتفق مع مصالحها و يخدم أهدافها ، و يربي أبناءها ليكون إعلاماً هادفاً و مثمراً ، أما الشعوب الحائرة التي لا تملك قراراتها و فقدت عزتها و سيطرتها نجد أن سياسة إعلامها تخضع لأعدائها ، فهم للإعلام يديرون ، و للعقول و الأفكار يحركون .

و قد أدرك أعداء الأمة من أمد بعيد ما للإعلام من صلة في توجيه الشعوب فعملوا جاهدين في إحكام السيطرة على مؤسساته و الأخذ بقيادته و إدارته و حتى أصبح إعلاماً يخدم أهدافهم و يخضع الشعوب لإرادتهم ، و أصبح الإعلام لا يمت إلى الإسلام بصلة إلا فيما ندر . و التقدم العلمي الذي نعيشه اليوم إعلامياً زاد من خطورة الإعلام و أصبح تناقل الأفكار و ذبوع التيارات ، و نشر التوجيهات لا يكلف الإنسان شيئاً إلا ضغطة زر و مما يعطي للإعلام مهمة خطيرة في بناء الأمة أو تدميرها .

فالإعلام صلاح ذو حدين يتحكم في طبيعته القائمون عليه و المحركون له ، و لذا إذا أردنا استخدام الإعلام و وسائل الاتصال الحديثة في مواجهة الاستشراق فلا بد من اختيار القادة الصالحين لهذا الغرض ، المقدرين لتلك المسؤولية ، لكن ما قيمة أن نختار من يقدر

الاستشراق و فكر المستشرقين لقيادة إعلام دولة مسلمة ؟ ! مما لا شك فيه أنه سيعمل على نشر ما يقدره و الدعوة لما يرغب و ينتمي .

فالأزمة في إعلام الدول الإسلامية أزمة قيادة ، و لن يتغير إعلام الدول المسلمة إلا بتحرر قادته من أسر تيارات العلمنة و التغريب ، و وضع قيادات مسلمة تحيي الإسلام في نفسها و تريده لمجتمعاتها .

و لا يشفع أن نحتج بوجود شبكات دينية كالقرآن الكريم ، أو قنوات دينية ، إننا في مواجهة الحرب الضروس مع تيارات الفكر الهدام نحتاج إلى ما هو أكثر من ذلك بكثير نحتاج أولاً لتفعيل ما هو موجود من برامج دينية و كذا الإذاعات أو قنوات ، نحتاج فيها لإعادة صياغة حتى تبني المسلم الفاعل الإيجابي المحب للعمل ، و العدل ، و الخير ، و الحرية ... نحتاج فيها لعرض الإسلام بصورة أكثر عمقا تستوعب العصر ، و تحكم الواقع ، و تعيش مع المسلم في كل لحظة ..... .

و كما نخصص قنوات ترفيهية و أخرى رياضية و أخرى إخبارية .... فلا بأس أن نخصص قناة للدراسات الاستشرافية تكون رسالتها بث الوعي بين أفراد المجتمع المسلم بمخاطر الاستشراق و التيارات الفكرية المناوئة للإسلام ، و كذا عرض الإسلام بصورته الواضحة الصحيحة حتى لا ينخدع أبناؤنا بما يلقيه الأعداء على الإسلام من مطاعن و شبهات ، و قناة كهذه تكون فتحة مبيّنة للإسلام في الداخل و الخارج .

و من الواجب أيضاً تخصيص المواقع المتعددة في شبكات ( الإنترنت ) لتقوم بما تقوم به القناة الإعلامية المشار إليها سابقاً ،

و لتكن لكل هيئة دعوية و مؤسسة دينية موقعاً أو أكثر تدافع من خلاله عن الإسلام ، و تعرض في صورته المثلى ، و يجد أبنائنا فيها ملاذاً من تيارات الإلحاد و العلمنة التي انتشرت على الساحة الإعلامية و ملأت الكثير من المواقع في شبكات ( الإنترنت ) . الأمر الذي فتن البعض من أبنائنا و حير الكثير منهم ، و يبحث عن ردود فلا يجد لافتقار الساحة الإعلامية من الناشطين في هذا المجال ! .



### ثالثاً : تغيير مسار التعامل مع الفكر الاستشراقي

يقولون إن خير وسيلة للدفاع الهجوم ، و مكان المدافع دائماً ضعيف مهما قوي في دفاعه و حقق من نجاحات ، و عندما نتأمل في معظم من كتب في مواجهة الاستشراق كختيار هدم للإسلام نجد أنهم تبنوا الفكر الدفاعي بمعنى دفع الشبهات و رد الافتراءات و دحض الأباطيل و عندئذ يتوقف المداد و ينتهي الكلام ، و قد استغل عداء الإسلام ذلك ، فبالغوا في شبهاتهم و مطاعنهم ضد الإسلام ، و ألفوا الكتب ، و كتبوا المقالات ، و وجهوا الإعلام ، و في كل شبهة ، و طعن تتبري اقلام الفكر الإسلامي تكتب و ترد و تدحض و تفند. الأمر الذي يستنفذ الطاقات و الجهد ، و يشغل عن أولويات الحركة و البناء الفكري و تهدر فيه الأموال ، و لا تتوقف الشبهات و لا تنتهي المطاعن و مع أنها من معين واحد و تصب في إناء واحد ، و يحكي المحدثون ما هذي به الأقدمون ! و صورة الدفاع المستمر من جانب علماء الأمة ضد غزو التيارات الفكرية تظهر هذه التيارات بالقوة و رسوخ القدم عند البعض و يشعر البعض بأن هذه التيارات قامت على دعائم قوية و أصيلة ، و هذا أحد سليات استمرار الفكر الدفاعي .

" إن أعداء الإسلام حينما تيقنوا من عجزهم عن الانتصار في المغارك المسلحة ابتكروا استراتيجية جديدة تحت ما يعرف بالسياسة المسلحة فأكثرُوا من الدس و الكيد و قذفوا بمئات الاتهامات و الأباطيل حتى تنال من الإسلام و رسوله ( صلى الله عليه و سلم ) . فنهض علماء

الأمة للدفاع و إبطال تهمة الأعداء فنشأ ما يسمى بالفكر الدفاعي الذي استهلك فيه طاقات عقلية و فكرية هائلة و ألهي فيه منظرو الأمة عن مشاغلها الحقيقية ، فتأخرت في بنائها الداخلي " (١) ، و هذا ما تمارسه القوي العالمية اليوم في حربها مع الإسلام ، فإذا ما أرادت تنفيذ مخطط ما تجاه دولة مسلمة عملت أولاً على إشغال الرأي العام المسلم بأي قضية ما فينتشغل بها و تسير هي في تنفيذ مخططها بلا مواجهة من أحد .

" إن الأدب الدفاعي يمكن أن يحقق للأمة مرحلة التمييز نوعاً ما لكنه على كل حال يبقى عاجزاً عن البلوغ بها إلى مرحلة الرشد ... يمكن أن تكون مرحلة الأدب الدفاعي هي البداية و النهاية فهنا تكمن المشكلة و تحصل الخطورة " (٢) .

و لا أعني بذلك أن نتوقف عن الدفاع عن الإسلام لرد الشبهات و دحض الافتراءات إطلاقاً ، و إنما أردت أن نهتم بالفكر الهجومي اهتمامنا بالفكر الدفاعي ، خاصة و أن تناولنا للفكر الهجومي لن يقوم على ما قام عليه الفكر الاستشراقي من مجافاة للمنهجية العلمية و اختلاق الأباطيل و إلقاء التهم و الأكاذيب ، بل إننا في مواجهتنا لما عند القوم من

(١) فقه الأولويات دراسة في الضوابط ص ٣١ د / محمد الوكيل سلسلة الرسائل الجامعية ٢٢ ط المعهد العالمي للفكر الإسلامي هيرندن - فيرجينيا ١٩٩٧ م .  
(٢) كتاب الأمة الثامن : نظرات في مسيرة العمل الإسلامي ص ٦٢ د / عمر عبيد حسنة ط رئاسة المحاكم الشرعية و الشؤون الإسلامية الدوحة قطر ١٩٨٥ م .

تراث ، و ما قام عليه فكرهم ، و ما تأسست عليه ثقافتهم ضعيف في ذاته ، لا ينهض بأدلة واقعة و موضوعية ، و لا يستند إلى حجج دامغة يقبلها العقل و يطمئن لها القلب .

" إن الاستشراق ما استمد قوته إلا من ضعفنا ، و وجوده نفسه مشروط بعجز العالم الإسلامي عن معرفة ذاته ، فالاستشراق في حد ذاته كان دليل وصاية فكرية . " (١) .

و الاستشراق في أصوله و أسسه كالشجرة الخبيثة التي تعصف بها الرياح ، و تقتلعها الأعاصير فسرعان ما تجث من فوق الأرض ما لها من قرار .

يقول د / مصطفى السباعي " سيأتي يوم نقلب فيه نحن إلى دراسة تراث الغربيين و نقمنا عندهم من دين و علوم و حضارة ، و سيأتي اليوم الذي يستعمل فيه أبناؤنا و أحفادنا مقياس النقد التي وضعها هؤلاء الغربيون في نقدنا عند هؤلاء الغربيين أنفسهم من عقيدة و علوم ، فإذا هي أشد تهافتاً ، و أكثر ضعفاً مما يلصقونه اليوم بعقيدتنا و علومنا .

تري لو استعمل المسلمون معايير النقد العلمي التي يستعملها المستشرقون في نقد القرآن و السنة في نقد كتبهم المقدسة - في نظرهم - و علومهم الموروثة ، ماذا كان يبقى لهذه الكتب المقدسة

---

(١) أوروبا و الإسلام د / هشام جعيط ص ٦٨ . ترجمة د / طلال عتريس - دار الحقيقة - بيروت ١٩٨٠ م .

و العلوم التاريخية عندهم من قوة ؟ . و ماذا يكون فيها من ثبوت ؟ ! " (١) .

و لذا من السهل جداً نقض بنیان الاستشراق من أساسه ، و من الممكن غزوه و تعريته فيما قام عليه من عقائد أياً كانت ، و من مناهج مهما تنوعت ، و من أصول مهما زعم أصحابه صحتها ، و من وسائل مهما ظن أتباعه قوتها و نحن في بيان ذلك لا نحتاج إلي الباس أو تدليس ، أو خروج عن المناهج العلمية مثلاً فعل المستشرقون في دراستهم الإسلام ، بل فقط نحتاج لدراسة ما لدي القوم من تراث عقدي ، و فكر ثقافي و بيئة اجتماعية و عرض ذلك كله بحيدة علمية على التاريخ حتى يحكم ، و على العقل حتى يقبل أو يرفض ، و على المنطق حتى يسلم أو ينكر .

إن القوم زعموا صحة معتقداتهم و صدق كتبهم ... لا بأس .... و لكن لنناقش هذه المعتقدات ، و لنبحث صدق هذه الكتب في حوار هادئ ، و أسلوب علمي ..... لنبحث مع اليهود رؤيتهم العقدية ، و ما ادعوه علي الذات الإلهية و ما الصقوه بأنبيائهم ، و ما حرفوه و بدلوه في توارثهم ، ..... و لنبحث في التوراة ذاتها التي معهم ، و لنبحث عن سندها و نشأتها و ألفاظها و معانيها ، و ما فيها من قيم و مبادئ - حسب زعمهم - ، .... لنبحث طبيعة الشخصية اليهودية ، و مرتكزات الفكر اليهودي ، و كذا التراث اليهودي ..... و التشريع اليهودي .....

(١) الاستشراق و المستشرقون د / السباعي ص ٦٦ ، ٦٧ طدار البيان الكويت

١٩٦٨

لنبحث مع النصارى تصوراتهم العقيدية و صحتها و بطلانها ،  
و أناجيلهم ثبوتها من عدمه ، تناقضها أو اتفاقها لنبحث الشخصية  
النصرانية و طبائعها ، و متغيرات الفكر المسيحي و ثوابته ، و لنبحث  
تاريخ القوم و تشريعاتهم و أخلاقياتهم ، .....

لنبحث ذلك كله ، و نعرض فيه كلمة حق حتى تتضح الرواية  
و ينكص المتطاول على عقبيه ، و نخرس السنة الحاقدين و نحن في ذلك  
نحتاج لتكامل الجهود ، و تنظيم الأولويات ، و وضع المناهج السليمة في  
التناول و العرض و كذا النشر و الطبع ، ..... نحتاج لما ذكر عند  
حديثنا عن وسائل الاستشراق و مقاومتها خاصة فيما يتعلق بالتأليف ،  
و لعلماء الإسلام باع كبير في إطار بيان عقائد القوم ، و ما لديهم من  
فكر و تراث الأمر الذي يحتم علينا اليوم من الاستفادة بخبراتهم ،  
و استرجاع أعمالهم ، و درسها درساً واعياً لتتير لنا الطريق .



الصفحة	الموضوع
٨-١	الفصل الأول : مدخل للتبشير .....
٣-١	المبحث الأول : التعريف بالتبشير .....
	- التبشير في اللغة .....
	- التبشير في الاصطلاح .....
	- مفهوم البشر ووظيفته .....
٤	المبحث الثاني : دائرة التبشير المسيحي .....
٦	المبحث الثالث : ميزانية التبشير .....
٧	المبحث الرابع : تاريخ التبشير في العالم الإسلامي .....
٣٨-٩	الفصل الثاني : المؤتمرات التبشيرية الموجهة للمسلمين .....
٩	المبحث الأول : مؤتمر القاهرة التنصيري ١٩٠٦ .....
١٠	- أهم المسائل التي تباحث فيها المؤتمر .....
١٢	المبحث الثاني : مؤتمر أدنبرج التنصيري ١٩١٠ .....
١٣	- أهم المسائل التي تباحث فيها المؤتمر .....
١٦	* تعقيب .....
١٦	المبحث الثالث : المؤتمر الألماني التنصيري .....
١٨	المبحث الرابع : مؤتمر لكنو التنصيري بالهند ١٩١١ .....
١٨	- برنامج مؤتمر لكنو التنصيري .....
١٩	- خطبة زويمر الافتتاحية في مؤتمر لكنو .....

٢٠	..... أعمال لجان مؤتمر كنو
٢١	..... قرارات مؤتمر كنو
٢٣	المبحث الخامس : مؤتمر كلورادو والوسائل التنصيرية التي ..... اتخذها ١٩٧٨
٢٤	..... الأبحاث التي قدمت لمؤتمر كلورادو
٢٧	..... * تعقيب
٣٠	..... الوسائل التبشيرية التي اتخذها مؤتمر كلورادو
٣٠	..... أولاً : استغلال فقر المسلمين
٣٣	..... ثانياً : استغلال كوارث المسلمين
٣٤	..... ثالثاً : محاولة تنصير المرأة المسلمة
٣٥	..... رابعاً : استغلال الإذاعات التنصيرية
٣٦	..... خامساً : التزلف لكسب المسلمين
٣٧	..... سادساً : التنصير عن طريق المراسلة
٤٢-٣٩	..... الفصل الثالث : الجمعيات والهيئات التبشيرية
٣٩	..... أولاً : الفرنسيون
٤٠	..... ثانياً : الآباء الدومنيكان
٤١	..... ثالثاً : جماعة اليسوعيين (الجزويت)
٧١-٤٣	..... الفصل الرابع : منطلقات التبشير وكيفية الرد عليها
٤٣	..... أولاً : تبشير العالم فرض على المسيحيين
٤٣	..... * التفنيد والرد
٤٥	..... ثانياً : حقيقة الدعوة إلى التثليث



٤٥	..... * التقنييد والرد
٤٩	..... ثالثاً : المسيحية دين المحبة الأولى
٤٩	..... * التقنييد والرد
٥٢	..... رابعاً : الإدعاء بأن المسيحية أنصفت المرأة
٥٣	..... * التقنييد والرد
٥٧	..... خامساً : إدعاء المبشرين بأن القرآن صدقهم
٥٨	..... - الرد على هذا الإدعاء
٦٦	..... * إنجيل متى
٦٧	..... * إنجيل مرقس
٦٩	..... * إنجيل لوقا
٧٠	..... * إنجيل يوحنا
٩٦-٧٢	..... الفصل الخامس : الأهداف التبشيرية
٧٦	..... أولاً : هدم الإسلام في قلوب المسلمين
٧٦	..... ثانياً : إخضاع الإسلام لسيطرة الاستعمار
٧٦	..... ثالثاً : تنصير أكبر عدد من المسلمين
٧٦	..... رابعاً : بذر الاضطراب والشك في المثل والمبادئ الإسلامية
٧٧	..... خامساً : الإيحاء بأن المبادئ والمثل النصرانية أفضل من أي مثل
٧٧	..... سادساً : الإيحاء بأن تقدم الغربيين بفضل تمسكهم بالنصرانية
٧٨	..... سابعاً : تعميق فكرة سيطرة الرجل الغربي
٧٨	..... ثامناً : ترسيخ فكرة قيام وطن قومي لليهود

٧٨	.....	تاسعاً : التغريب
٧٩	.....	عاشراً : إدخال النصرانية إلى عدد كبير من البلاد الإسلامية
٨١	.....	* شرح الهدف الأول
٨٣	.....	١- مقاومة الأزهر الشريف
٨٤	.....	٢- تحريف فهم القرآن والطعن فيه
٨٥	.....	٣- الطعن في نبوة النبي
٨٥	.....	٤- بث الدعوات المسمومة
٨٨	.....	٥- إفساد أخلاق المسلمين
٩١	.....	* شرح الهدف الثاني
١١٧-٩٧	.....	الفصل السادس : أساليب التنصير ووسائله
٩٨	.....	أولاً : استخدام الطب
١٠١	.....	ثانياً : استغلال التعليم
١٠٥	.....	ثالثاً : التنصير الخفي (أي أصحاب المهن)
١٠٦	.....	رابعاً : التنصير عن طريق الكنيسة الوطنية
١٠٧	.....	خامساً : التنصير عن طريق الإعلام
١١١	.....	سادساً : التنصير عن طريق البعثات إلى الدول المسيحية
١١١	.....	سابعاً : التنصير عن طريق النساء
١١٤	.....	ثامناً : : التنصير عن طريق المؤتمرات المسيحية
١١٤	.....	تاسعاً : التنصير من خلال نشر المبادئ والأفكار الهدامة
١١٤	.....	١- الدعوة إلى العلمانية

١١٥	٣- الدعوة إلى اللهجات العامية .....
١١٦	٣- الدعوة إلى تحديد التسل بين المسلمين .....
١١٦	عاشراً : بناء أكبر عدد ممكن من الكنائس .....
١١٦	الحادي عشر : التنصير عن طريق العلاقات الاجتماعية .....
١١٧	الثاني عشر : التنصير عن طريق الفنادق العالمية الكبرى .....
١١٨	الفصل السابع : العقائد التي يعتمد عليها التبشير وتفنيدها .
١٢٠	المبحث الأول : عرض عقيدة الفداء وتفنيدها .....
١٢٣	* تفنيد عقيدة الفداء .....
١٢٦	المبحث الثاني : عرض عقيدة الصلب وتفنيدها .....
١٢٨	* تفنيد عقيدة الصلب .....
١٢٨	أولاً : مسح جسد المسيح بالصليب .....
١٢٩	ثانياً : العشاء الأخير .....
١٣٠	ثالثاً : حادث القبض وملابساته .....
١٣٥	رابعاً : المحاكمة .....
١٣٦	خامساً : أحداث الصلب .....
١٤١	المبحث الثالث : عرض عقيدة بنوة المسيح لله وتفنيدها .....
١٤٤	تفنيد عقيدة بنوة المسيح لله تعالى .....
١٤٥	البراهين الدالة على بطلان هذه العقيدة .....

## تابع الفهرس

الصفحة	الموضوع
	<b>الفصل الثامن</b>
١٥٦	وسائل الاستشراق .
١٥٦	أولاً: التأليف و الترجمة و جمع المخطوطات .
	المنهج الذي اتبعه المستشرقون في دراساتهم و كتاباتهم عن الإسلام .
١٦٦	أسباب مجافاة جل المستشرقين المنهجية العلمية في دراساتهم عن الإسلام .
١٨٧	١ - تباين المنطلقات الفكرية بين المسيحية و الإسلام .
١٨٧	٢ - الخوف من الإسلام .
١٩١	٣ - التعصب الأعمى .
١٩٣	٤ - الجهل باللغة العربية .
٢٠١	ثانياً: التدريس الجامعي .
٢٠٨	ثالثاً: الجامعات العلمية .
٢١٨	وسائل الاستشراق و العصر الحديث .
٢٢١	
	<b>الفصل التاسع</b>
٢٢٦	مواجهة وسائل الاستشراق
٢٢٩	أولاً: تنشيط المناعة الداخلية لمجتمعاتنا الإسلامية .
٢٢٩	إيقاظ الوعي و تنمية الإرادة .
٢٣٥	مؤسسات الدعوة .

٢٤٤	الداعية و الاستشراق .
٢٥٦	ثانياً : مقاومة وسائل الاستشراق .
٢٧٢	ثالثاً : تغيير مسار التعامل مع الفكر الاستشراقي .
٢٧٧	الفهرس .

